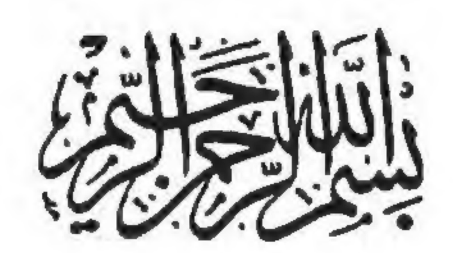
محمد جلال كشك

الحوار أو خراب الديار

بعض ما أمكن نشره





مكتبة التراث الإسلامي



٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة ت : ٣٩١١٣٩٧ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

مدخل صدق .. !

فى كتابى « ألا فى الفتنة سقطوا » الصادر فى يناير ١٩٩٢ والمكتوب قبل ذلك التاريخ بالطبع قلت بالحرف الواحد : « إن عناصر مأجورة عن وعى وعناصر تحركها أحقاد رخيصة وعناصر تتبع كل ناعق ، تسيطر على أعلامنا وتجنده لمحاربة الاسلاميين فى مشارق الأرض ومغاربها غير محققة من هدف إلا إزالة دور مصر وزعماتها للعالم الإسلامى ، بل وعزلها عن المسلمين ..

ولكن لمصلحة من ؟!

هذا هو السؤال الذى نعرف جوابه جيداً .

وهذه العناصر تستغل أعمال التطرف التى تقوم بها جماعات مشبوهة لا نستبعد أن تكون تحت سيطرة عناصر غير إسلامية ، تحرك هذا الذى يسمونه النشاط المتطرف للإسلاميين ، وبالذات الجانب الارهابى منه ، ولكن هذا لايعفى الإسلاميين من المسئولية إذ يجب إعلان الرأى صريحاً بإستنكار عمليات الارهاب على الاطلاق .. وقد كتبت مرة أنه لم تقع حادثة إغتيال واحدة من قبل المسلمين فى مكة قبل أن تعلن الدولة الإسلامية فى المدينة ، وإنه مالم تقم الدولة لايحق لأحد ممارسة الإغتيالات الفردية . وبعد إن أفضت فى تفصيل ذلك قلت : « ولا أريد أن أطيل لأن تبذل فقهاء السلطان يجعلنا نتحرج من هذا الضرب من النصح ، وكيف ننصح أو نحاور جماعة تقتل رمياً بالرصاص بلا إنذار وتسلط عليها أحط وسائل الإعلام لتشويه حتى حياتها الخاصة » حرفيا ص٨

فموقفنا سابق على حادثة الإغتيال الأخيرة ، نعم موقفنا بشقيه : استنكار

الارهاب والاعتقاد الثابت بأنه أكبر خطر على العمل الإسلامى ، فلم نتخذ هذا الموقف تقية ولا فزعنا من صيحات الحرب التى إنطلقت من أعداء الإسلام وكأنهم كانوا على موعد مع الحادث لإستغلاله فى شن حربهم الصليبية ، ضد كافة أشكال التعبير الإسلامى ، بل إن الذى يقرأ بياناتهم ويسمع أهازيجهم يظن أنهم كانوا فى إنتظار الحادث أو حتى دبروه تدبيراً ! وليست هذه أول مرة تدبر فيها قوى متآمرة حادثاً من هذا النوع لتستغله فى التنكيل بخصومها أو تنفيذ مخططها المعد سلفا ، منذ حادثة المالطى والحمار التى إتخذها الأسطول البريطانى المصوب مدافعه مبررا لضرب الأسكندرية ١٨٨٢ وإغتيال السير لى ستاك سنة ١٩٢٤ التى إستغلها الإنجليز لتقديم مطالبهم المعدة سلفاً والإطاحة بحكومة الوفد ، وأخيراً أطلاق النار على السفير الإسرائيلى فى لندن لتبرير إحتلال بيروت ..

المهم إننا إستنكرنا وأدنا الأرهاب قبل أن يكشروا على أنيابهم فلم نفعله تقية ولا رعبا ولا تغطية ، فنحن والحمد لله لا نخفى غير مانعلن ، ومواقفنا معروفة منذ عشرين سنة .

ونفس الشيء عن موقفنا من هؤلاء الشباب ، فنحن نعتقد أن القاعدة العريضة شريفة القصد سليمة النية ، تعانى من شعور بالحصار على جميع المستويات ، بل شعور بالفناء يهدد دينها وهويتها ، وأمتها ، شعور بأنها تعامل كأقلية منبوذة فى مجتمع يقوم على القهر وإنكار حقوق الأقليات ، يعتدى على كل مقدساتها ومقومات شخصيتها ، بحيث لم يبق من وجهة نظرهم إلا الذبح لأستئصالهم !

هناك هجمة عالمية على الإسلام والمسلمين ، بقيادة الولايات المتحدة ومشاركة أوربا وروسيا ، تنفخ فيها وتؤجج نارها إسرائيل ، فتعبير أصولى هو ترجمة كلمة **Fundamentalist** وهى كلمة صكت فى معامل الغرب وراجت وذاعت بعد نجاح الثورة الاسلامية فى إيران ، وهى تعنى فى القاموس الغربى ،

الاسلام الثورى أو الاسلام المعادى للغرب ، أو الاسلام المعادى مع إسرائيل أو الإسلام الرافض للأوضاع السياسية والفكرية فى بلاد المسلمين ، وهى تعنى ذلك كله .

وقد قام المسلمون بحكم تخلفهم بترجمة الكلمة إلى الأصولية واشتقوا منها الأصوليين وأصبحت رمزا على الحركات الإسلامية النشطة أو قل المشتغلة بالسياسة ، وشاع إستعمال الكلمة وأصبحت مقبولة من الإسلاميين وخصومهم .. وحلت الكلمة الجديدة فى قاموس الاعلام الغربى محل الكلمة التى سادت قرون الاستعمار القديم وهى **Fanatic** التى ترجمت وقتها بالتعصب والمتعصبين ، وكان أول من إستخدمها هم رجال الحملة الفرنسية فى وصف أو قل التشهير بالمقاومة المصرية للإحتلال الفرنسى ، ثم شاعت وذاعت فى وصف المقاومة من جانب الشعوب الإسلامية للغزو الإستعمارى الأوربى الغربى والروسى ، فالمقاومة الهندية للإستعمار البريطانى يشنها المتعصبون والحركة الوطنية بقيادة عرابى ومصطفى كامل بل وسعد زغلول كلهم « فاناتك » أو مسلمون متعصبون ! لأن الإنسان السوى غير المتعصب يكون سمحاً شاكراً نعمة خضوعه للإستعمار المتحضر ، ولما كان من غير المعقول ولا المقبول أن يكون الإنسان الملون فى أسيا وأفريقيا يحس أو يتحرك بدوافع وطنية مثل المسيحى الأبيض ، لأنه لا يمتلك هذه المشاعر السامية وما ينبغى له ، فلابد أن يكون هناك دافع شيطانى مرضى (من المرض) يدفعه لهذا السلوك المعيب ، وأي مرض أسوأ من التعصب لدينه الباطل والدموى ! ورغم أن أول تسميه للحرب بالدينية والمقدسة جاء من هؤلاء الأوربيين فهم الذين أخترعوا تعبير الحروب الصليبية و **Holy War** إلا أنهم بكل صدق وطهارة الحضارة الغربية جعلوها من إختراع وصفات المسلمين وحدهم ، فالأحرار فى أوربا يستشهدون دفاعاً عن حق تقرير المصير البولندى واليونانى وهم بأشخاصهم يعذبون ويقتلون المسلم فى أسيا وأفريقيا إذا طالب بنفس الحق !

هكذا أصبح الوطنى المسلم متعصباً ، والذين يقاومون النشاط التبشيرى الذى يحول المسلمين إلى المسيحية هم مسلمون متعصبون. متخلفون يجب أن تضربهم قوات أوربا المتدينة المتحررة تمكينا لرجال الدين المسيحيين من هدايتهم وتحريرهم وتخليصهم من تعصبهم للإسلام لكى يتعصبوا للبروتستنتية أو الكاثوليكية .. إلخ .

وكان عملاء روسيا قد تولوا محاربة الإسلام خلال الحرب الباردة ، فلما سقطت الشيوعية وأتت بها الصهيونية منقادة إلى مربط الغرب ، تناقش صانعو السياسة الغربية علنا عن حتمية البحث عن علو يحل محل الشيوعية التى كانت توحدهم وتعبئ طاقاتهم أو قل تمثل التحدى الحضارى والقومى الذى بنى عليه المؤرخ البريطانى توينبى نظريته فى تفسير التاريخ ، وقد شرحنا هذه النظرية فى كتاباتنا منذ كتاب « القومية والغزو الفكرى » الصادر عام ١٩٦٦ وقلنا إننا نواجه تحديا غربيا تشكل إسرائيل كتيبة صدامه ، وإنه لايمكن تحقيق بعث ولا تقدم حقيقى إلا إذا عشنا هذا التحدى الحضارى ، ولكن عملاء إسرائيل والمخابرات الأمريكية والروسية والفرنسية ، بذلوا كل جهد ممكن ، وما أكثر ما أتيح لهم من إمكانيات ، لكى يعموا عيون الشباب عن هذا التحدى ، وبشروا بوحدة الحضارة وحتمية الاندماج فى الحضارة العالمية السائدة ، بينما سادتهم يرفضون هذا المنطق ويصرون على حتمية الانقسام الحضارى وحتمية التحدى ومواجهته لمن أراد الحياة ، واتفقوا على أن الإسلام هو العدو الطبيعى ، والمطلوب ، الذى تحقق محاربته الأهداف المرجوة .

ورغم الإعلان عن هذه الحرب وهذا الاختيار إلا أن بعض « الحكماء العملاء » يصرون على توعيتنا بأنه ليس صراعاً دينياً ، بدليل أن الناس فى أمريكا وأوربا ليسوا متدينين ! وهم يرفعون شعار التحذير من الإسلام لأهداف دنيوية وليست دينية ! وبعضهم يصر على التوعية بأن المذبحة فى البوسنة ليست دينية بل قومية أو اقتصادية .. إلخ ! وبعضهم اشترط ألا يستنكر المذبحة إلا إذا تنازلنا عن وصف شعب البوسنة بالإسلام ووافقنا على حذف أية إشارة للإسلام مع أن

حكومة بلغراد تعلن أنها تنقذ أوربا من خطر قيام دولة مسلمة أصولية ، وجميع التحذيرات والتحليلات الصادرة من واشنطن وعواصم أوربا تعلن حربها ضد الإسلام والأصولى بالذات ، ورئيس إسرائيل يطوف أوربا يحذر من الإسلام الأصولى ويطلب أن تندب أوربا إسرائيل لضرب هذا الإسلام الأصولى .

ونحن نعرف أنه حتى الحرب الصليبية التى نادى بها البابا وقاد أولى حملاتها راهب ، وكانت ترفع راية الصليب ، حتى هذه الحرب يمكن القول أنه كان لها أسبابها غير الدينية وأن الحرب العالمية الثانية لم تكن تدور حول حقوق الإنسان وإنما على تقسيم المستعمرات وأسواق العالم ، ولكن عندما يعلن خصمك أنه يحارب الاسلام والمسلمين تغدو بلاهة منك أن ترفض استنفار المسلمين للدفاع عن أرضهم ، ويغدو من الصعب بل المستحيل منع المسلمين أو بعضهم من الاحساس بالخطر والتحرك للدفاع عن النفس ولو بغريزة حب البقاء التى تحرك حتى العجماوات .

وهناك بالطبع عوامل عديدة لاختيار الغرب للاسلام بالذات كعدو ، أهمها استمرارية المواجهة بين الغرب والعالم الإسلامى ، استمرارية التطلعات الاستعمارية عند الغرب واستمرارية القابلية للاستعمار عند المسلمين ، فإذا كان بترول العالم القديم كله فى أرض المسلمين ، فإن هؤلاء المسلمين هم وحدهم تقريباً الذين لم ينجزوا الثورة الصناعية والذين لم يدخلوا القرن العشرين ، ولذلك فهم لايمتلكون وسائل الدفاع عن أرضهم وثرواتهم وهويتهم . وهناك العنصر الإسرائيلى الذى يعتبر البعث الإسلامى هو أخطر مايهدد أحلام وطموحات إسرائيل الكبرى ، فإسرائيل تؤجج العداوة للإسلام وتجند الغرب فى معركتها ضد المسلمين ، ولكنها لاتفتعل ذلك ولاتخلقه خلقا بل تستثمر عداوة موجودة ، وتطلعات تدعى للغرب أنها أفضل من يحققها ، وهكذا أصبحنا نرى كل من يريد أن يتقرب لأمريكا أو الغرب يرفع راية ضرب الإسلام ، من عميل الروس فى كابول الذى نقل الإعلام الأمريكى آخر رسالة وجهها قبل فراره من قصاص الشعب ، إلى الرئيس بوش ، يقول فيها : ادخرنى لعدوك .. أو كما قالت الوشنطن

بوست : « عرض استخدامه من قبل أمريكا ليكون الصخرة التى تعترض المد الإسلامى فى آسيا ! » إلى عصابات الصرب أعداء الإنسانية الذين يظهر قائدهم على شاشة التليفزيون الأمريكى يقول : « إنهم مسلمون ونحن نحاربهم باسم المسيحية ، إنها الحرب الصليبية للقرن العشرين ، وأوربا معنا ولكنها منافقة » وتنقل نيوزوييك (٣١ أغسطس ٩٢) عن دوسان سيميك زعيم الصرب فى كوسفو قوله : « الصرب حاربوا هنا لإنقاذ أوربا من الإسلام ومازلنا نحارب لمنع الإسلام من الانتشار فى قلب أوربا » .

ويقول بول جوبل مستشار شئون القوميات الروسية فى وزارة الخارجية الأمريكية : « إن الصرب يحاربون لمنع خضوع المسيحيين للمسلمين وهو الهدف الذى يلقى تجاوبا واسعا مع مشاعر الكثير من الروس فى الاتحاد السوفيتى » .

وعندنا يسف أنصار بلغراد فى دفاعهم عن الصرب ــ وإن تظاهروا بأنهم ضد الحكومة الشيوعية هناك وضد مذابحها بعدما فضحناهم ــ ويحتالون لتبرئة ساحتها وشد أزرها ليس فقط بادعاء أن الحرب ليست دينية وليست موجهة ضد المسلمين بل يتطوع أحدهم باتهام المسلمين بشنها فيقول : « إنها حرب أهلية تطالب بالحرية وإسقاط الشيوعية » ويخشى ألا يكون ذلك كافيا لتبرئة ساحة سفاح بلغراد الذى وصفه بالشيوعية ، ولا يعقل أن يكون هو الذى شن الحرب على نفسه للقضاء على الشيوعية بل يشنها المسلمون ضده طلبا للحرية ! يعود يكرر نفس الدس والاتهام الرخيص فيقول « هى حرب بين الشيوعية والديموقراطية للقضاء على الأولى ونشر الثانية » .

أى والله هكذا يتكلم من يحرص على أن يسبق اسمه دائماً لقب سفير لعله يعتقد أن ذلك يكسب كتاباته الحصانة ! من الذى يريد القضاء على شيوعية من حدده هو بالاسم « سلوبدان ميلوسيفتش الملحد وآخر زعيم شيوعى » من الذى يشن حربا للقضاء على الشيوعية ونشر الديموقراطية ؟ البوسنة طبعا !

إلى هذا الحد يسفون فى عداوتهم لمسلمى البوسنة !

أولاً هى ليست حرباً أهلية ، لا يعقل أن نصف ضرب الجيش الروسى لأذريبجان أو الرومانيين أو الأوكرانيين الآن بالحرب الأهلية ، فقد كانت هناك دولة اتحادية وتفككت وأعلنت ثلاث جمهوريات استقلالها وأعترف بها دولياً ومن الأمم المتحدة التى يرأسها غالى صديقه ، ومن ثم أصبح من الفجور والعدوان السافر وصفها بالحرب الأهلية إلا إذا كان يروج أحط أكاذيب بلغراد عن أنها ليست مسئولة عن القتال تلك الأكذوبة التى لايصر عليها الصرب أنفسهم !

ثانياً البوسناويون لم يشنوا حربا للقضاء على الشيوعية ولا اخترقوا حدود صربيا ولا شأن لهم بالنظام الشيوعى هناك ، ولا حاولوا نشر الحرية فى صربيا والجبل الأسود بل كل ما طالبوا به هو احترام استقلالهم ، وقد نزعوا سلاحهم فى البداية ورفضوا التسلح تجنبا للحرب فصمم الصرب على إزالتهم تحقيقا لصربيا الكبرى ، ألم يسمع السفير عن سياسة الإبادة العنصرية أو التطهير العنصرى ؟ هل لأن القتلى مسلمون لا يجوز أن نتضامن معهم ؟! وهب أنها حرب جنسية مثل حرب طروادة نشبت لأن صربيا يعشق مسلمة هل يمنعنا ذلك من أن نتألم للمسلمين الذين يبادون ؟ هل نرتكب جريمة إذا استصرخنا المسلمين لنجدة إخوانهم فى الدين والإنسانية .. ما هذا الاستفزاز الرخيص والوقح ؟!

وتكشف لنا الصحف أن أول تعاون تم بين الأمريكان والروس الجدد كان ضد المسلمين وعلى يد يهودى !

فالغرب يخشى تحرر المسلمين وقوتهم ، كما كان يخشى انبعاث القومية العربية فى الخمسينات ، لأنها كانت تعنى إخراج النفط العربى من سيطرته ، بل وكما حارب الليبراليين فى مطلع القرن ، لأنهم أيضاً كانوا يشكلون ولو محاولة فاشلة لإنهاض الأمة ، كذلك يخشى الغرب نفس البعث تحت راية إسلامية ، بل وخشيته أشد لأن ساحة المواجهة تصبح أكبر ؛ ولأن خبرة الغرب تؤكد له

أن حركة وطنية معارضة للسيطرة الأجنبية تحت راية الدين ، والإسلام بالذات ، هى أكبر وأقوى وأخطر وأقدر على النجاح من أية حركة أخرى ..

روسيا العدو التاريخى للإسلام والتى لم يجد جورباتشوف مايتوسل به للغرب إلا التذكير بدور روسيا التاريخى فى الدفاع عن المسيحية فى مواجهة الإسلام ، وروسيا التى أقامت إمبراطوريتها على أشلاء الممالك الإسلامية فى آسيا الوسطى منذ سقوط قازان فى مطلع القرن السادس عشر حيث أجبر القيصر ايفان الرهيب أميرها المسلم على التنصر بتعميده فى مياه الفولجا المتجمدة تحت إشرافه ، كما أشرف القيصر على تنصير ابنة الأمير الأسيرة وضمها إلى حريمه ، روسيا التى كانت إلى ماقبل شهور تسيطر على أكبر عدد من المسلمين وأكبر مساحة إسلامية لاتريد أن تتخلى فعلياً عن مستعمراتها الإسلامية الغنية بالنفط واليورانيوم . روسيا التى استولت على إمبراطورية التتر فى شبه جزيرة القرم وشتتت شعبها المسلم فلم يبق فى وطنهم تترى واحد ، تخشى أى انبعاث إسلامى يخرج الجمهوريات الإسلامية من نفوذها ، بل ويطرح مطلب تصحيح التاريخ واسترداد مااغتصبه ونصّره وروّسه القياصرة والبلاشفه .. ولذلك نرى روسيا الجديدة الديموقراطية يتسع انفتاحها لكل مايطلبه اليهود ، ولكنها متعصبة ضد المسلمين والاسلام ![*] .

صيحة الإمبراطورة كاترين وإيفان الرهيب لإبادة المسلمين الوثنيين الشهوانيين ! أصبحت فى عهد الجلاسنوت هى الدعوة لمقاومة الإسلام الأصولى .. الرجعى المتشدد والمتزمت .. إلخ .

وهذه مقالة بقلم الكاتب الأمريكى جيم هوجلاند كتبها بعد زيارة قام بها لموسكو وقد جعل عنوانها ... « معا مع موسكو فى ميدان التخابر » ولو صدق عنوانه مع مقاله لكان : معا مع موسكو فى محاربة الإسلام ..!

(*) انظر كتابنا : (المسلمون والروس يقررون مصير العالم) ، مكتبة التراث الإسلامى .

تنقل بعض ماجاء فيها حرفيا : « لم يكد بوريس يالتسين يستكمل السيطرة الكاملة على مقاليد السلطة منذ ستة شهور حتى اختار إيفيجنى بريماكوف(*) للإشراف على الاستخبارات الخارجية الروسية ، وبريماكوف هو خبير فى شئون الشرق الأوسط ومتخصص فى الأصولية الإسلامية أيضاً ، وقد تبين أن هذا التعيين تعبير واضح عما يعتقد يالتسين أنه الخطر الأكبر والعاجل على مصالح روسيا ، فالخوف على حدود روسيا الجنوبية من المسلمين هو الهاجس الذى يسيطر على الروس الآن ، والذى حل محل الخوف من هجوم يشنه الغرب ، ففى رحلة لى هذا الشهر لموسكو وجدت أن تطلعهم للتعاون مع الغرب فى تطويق الإسلام الأصولى يأتى فى قائمة اهتمامات الروس قبل أى مخاوف من البنتاجون أو المخابرات الأمريكية .. فهل ياترى ستتعاون الـ سى أى أيه (المخابرات الأمريكية) مع الـ كى جى بى (المخابرات الروسية) السابقة لمنع الاضطرابات فى القوقاز ووسط آسيا والخليج الفارسى من الامتداد لروسيا ؟ هذا هو السؤال الذى سيعرف بريماكوف الجواب عليه إذا التقى مرة ثانية مع روبرت جاتس رئيس المخابرات الأمريكية .

« بريماكوف الصحفى والأكاديمى زمن الاتحاد السوفيتى كان من أوائل المتحدثين السوفيت الذين أعلنوا أن وشنطن وموسكو لهما مصلحة متوازية فى محاربة الإسلام الأصولى فى الشرق الأوسط وآسيا ، وبريماكوف وصناع السياسة فى موسكو يحذرون من أن الحركة الأصولية إذا لم يكبح جماحها فقد تسبب الإضطرابات أو القلاقل أو عدم الاستقرار بين الأقليات المسلمة داخل روسيا وبين الشعوب الإسلامية التى تسيطر الآن على الجمهوريات السوفيتية سابقا فى وسط آسيا .

« موسكو ووشنطن تعترفان بوجود فراغ (فراغ فى التعبير الاستعمارى هو عدم وجود سلطة مسيحية بيضاء مباشرة أو غير مباشرة) فى المنطقة الممتدة

(*) قالت جريدة الشعب المصرية أنه يهودى ، ولم نستطع التحقق من ذلك .

من القوقاز إلى الصين ، ولكنهما تختلفان حول المواجهة المطلوبة ، فوشنطن تفضل ترك المجال للعلمانية التركية لمواجهة التأثير الإيرانى ، بينما تنظر روسيا لتركيا بعين الشك ، وإذ كنا لانعرف رأى بريماكوف عن دور تركيا إلا أننى لاأعتقد أنه يختلف كثيراً عما قاله لى المستشار السياسى للرئيس يالتسين سيرجى ستانكفتش الذى قال : الغرب يرى فى تركيا عضوا صغيرا فى الناتو ، ولكن تركيا تسترجع طموحاتها وتعيد النظر فى أهدافها ومصالحها ، تركيا بدأت تنمى موقفا مستقلا ونظرة مستقلة ومن الممكن أن ينشأ وضع تصبح فيه تركيا مركزا لاتحاد يمتد فى وسط آسيا مما يشكل عامل خطورة جديد فى العالم .

« ويعتقد مستشار الرئيس الروسى أن ظهور قوة علمانية مدعومة من روسيا يمكن أن تتغلب على الأصوليين وتمنع فى الوقت نفسه تدخل تركيا وإيران فى دول الشرق الأوسط المجاورة لروسيا ، إن آمال المستشار فى ظهور قوة ثالثة لاتزال مجرد تصورات ولكن تحليله هو أفضل ماسمعت فى موسكو حول المشكلة ، والخلاف حول دور تركيا يلقى ظلاله حول إمكانية التعاون الدفاعى الأمريكى الروسى ضد الإسلام الأصولى » بحروفه(*) .

فالاتفاق قائم على مواجهة الإسلام ، على ضرب أية محاولة لتحرر المسلمين وسيطرتهم على مصيرهم وبالتالى ثرواتهم ، والتنسيق قائم ، وإنما الخلاف هو حول أفضل الوسائل لذلك .

أمريكا ترشح تركيا عضو حلف الناتو والخاضعة تماماً للنفوذ الأمريكى والعدو التاريخى للروس ، والتى تستطيع مزاحمة إيران قوميا .

وتركيا علمانية بالمعنى السوق الذى طرحه كمال أتاتورك وهو محاربة الإسلام ، وحده ، وليس بالمفهوم الغربى ، الذى يعنى فصل الدين عن الدولة أى العودة لمفهوم المسيحية الأولى : أعطوا ما لله وما لقيصر لقيصر .. وأن يكون الحكم للعلمانيين أى لغير رجال الدين ، وليس لهذه التسمية أى علاقة

(*) الوشنطن بوست بتاريخ ٢٥ يونيه ١٩٩٢ م .

بالإلحاد ولا بالعلم ، بل هو تعبير شائع فى كل مهنة ، فإذا تكلمت أنت فى الطب ولست طبيبا فهذا كلام علمانيين ، كانت العلمانية فى أوربا تعنى إبعاد رجال الكنيسة عن الحكم أى الكهنوت ، رجل الدين الذى يؤمن ويلزم المسيحى أن يؤمن معه بأن القس هو ممثل السلطة الإلّهية ، فكان الهدف هو منع ممثل السلطة الإلّهية هذا .. من ممارسة الحكم ، لأنه لا يمكن تصور ديموقراطية إذا كان الحاكم يدعى الألوهية أو تمثيل السلطة الإلّهية ، لأن قرارات ممثل السلطة الإلهية لا تناقش ومعارضتها كفر ! ولذلك عزلت المسيحية الحقة نفسها تماماً عن قضايا الدولة ، ولكن الكنيسة تطلعت للسلطة واستولت عليها باسم الله ، وجاء الإسلام يسد الطريق على أى محاولة من هذا النوع بتجريد البشر كل البشر من أى أساس لادعاء الألوهية ، ومنذ وفاة الرسول صلوات الله عليه ، ليس لبشر الحق فى النطق باسم الله أو أن يحكم نيابة عن الله أو ممثلا للسلطة الإلّهية ، ولا أن يضيف حرفا لتشريعات الله ، وعندما قضى عمر بن الخطاب بحكم أعجب مسلما فصاح : هذا ما قضى الله ورسوله ! اغتم عمر ونهره قائلا .. لا تقل هذا بل قل هذا ماقضاه عمر .. لا تجعلوا خطأ الرأى سنة الأمة ، وبعد ألف سنة قامت أوربا تتطلع إلى الأخذ بنظام الإسلام حيث لا أحد يمثل السلطة الإلّهية ، مهما ارتدى من أزياء لأن لا الألوهية ولا السلطة الإلّهية يمكن أن تتجسد فى بشر ، إنما يعرف الناس بالوحى وبالعقل حدود الله فينفذونها قدر اجتهادهم فيخطئون ويصيبون قدر جهدهم .

وبزوال العصمة عن البشر وإسقاط أى صفة إلّهية أو دينية عن الحاكم أمكن قيام الحكومة المسلمة أو الإسلامية التى يقيمها المتدينون ، وليس رجال الدين ، التى تحكم بهدى الإسلام وفلسفته وليس بتفويض إلّهى ، ومن ثم فكل قراراتها قابلة للخطأ أو الصواب ، والأمة هى الحكم إن شاءت أقرت أو قومت ولو بسيوفها ، وهكذا أقرت أسس الديموقراطية وبأية صيغة تختارها الأمة .

ومن هنا ترى أى فجور وأى فسق يرتكبه البعض فى بلادنا عندما يخلعون صفات المسيحية على ديننا ويخوضون حربا ضد السلطة الدينية والحكومة

الدينية فى الإسلام ! من هو رجل الدين فى الساحة الإسلامية اليوم ؟ هل كان جسن البنا رجل دين او أدعى إنه يمثل السلطة الإلهية ؟ هل شيخ الأزهر يملك أن ينتحل هذه الصفة ، إن جوهر الإسلام هو إلغاء السلطة الدينية وخلق علاقة مباشرة بين الإنسان وربه ، ونهضة أوربا التى تحققت على يد البروتستنت ثم الحركة العلمانية لم تكن أكثر من اقتباس سيىء النية من الإسلام وليقرأوا أى كتاب فى البروتستنتية(*) .

وقد ناقشنا ذلك كله فى تفنيدنا لفتنة « الحاكمية » . والغريب أن أولاد الأفاعى ، إذا ماتكلم أحد الشيوخ ، صاحوا : « لا كهنوت فى الإسلام » ! وهو قول صحيح وإن أرادوا به باطلا .

ولكن السؤال الذى يقفزون فوقه هو : فكيف يمكن أن تقوم حكومة دينية من أهل دين ليس فيه كهنوت ؟!

وهكذا نجد أن تركيا ، السوقية العلمانية ، التى تعيش مؤسساتها حربا دائمة مع أى تطلع إسلامى ، ترشحها أمريكا لغواية جمهوريات الاتحاد السوفيتى الإسلامية وجذبها بعيداً عن المدار الإيرانى أو الارتباط بالعالم العربى ولو بحكم وحدة الدين .

أما روسيا فتخشى النفوذ التركى القومى على مستعمراتها ، ومن ثم تقترح أن تواصل هى المهمة التاريخية التى نفذتها بنجاح فى قهر الإسلام فى تلك الجمهوريات وعزلها عن العالم ، وذلك من خلال قوة عميلة تشكلها روسيا وتديرها لاستئناس المسلمين .. وفى نفس الوقت ضرب أى محاولة للتحرر الإسلامى خارج مناطق نفوذها للخطر الذى تمثله بحكم تأثيرها على هذه المناطق .

---

* قال الأنبا غريغوريوس أسقف الدارسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمى : « إن الزواج هو رباط إلهى مقدس يجمع الله فيه بين الرجل والمرأة ، ومن هنا لا بد أن يتم هذا الربط بمعرفة الكاهن ، بوصفه ممثلاً للسلطة الإلهية ، ولذلك يجب أن يكون الكاهن ملتحفاً بملابسه الكهنوتية ، لأنه يعقد الزواج ممثلاً للسلطة الإلهية .

ومن هنا ترى أنه لا خيار لنا .. فعندما يقرر الطرف الأقوى أنك العدو ويجند قواه لمحاربتك لاتستطيع إلا أن تدافع عن نفسك ، إنها معركة مفروضة علينا شئنا أم أبينا ، وهى لا تهدد المسلمين الأصوليين وحدهم بل تبدأ بهم وتستهدف سحق وإخضاع كل من يحمل اسما إسلاميا أو كل من يسكن أرض المسلمين ، ولا يوجد مسلمون أكثر عزلة عن دينهم من مسلمى الدول الشيوعية ، وهاهم يبيدونهم بالكامل لايميزون بين أصولى وعلمانى أو ملحد شرس الإلحاد مادام ينحدر من جد مسلم !

المسلم عندنا لابد أنه يسمع أنباء هذا التربص به والتعاون ضده ، ولابد أن يهب للدفاع عن نفسه ، ولابد أن يربط بين هذه الأهداف المعلنة للدول الاستعمارية الكبرى وبين الحملات التى تشن فى بلادنا على الإسلام والمسلمين ، وبالذات التى تحرص على وصف كل نشاط إسلامى ، بالإسلام الأصولى أو السياسى أو المتطرف ، وكلها ألفاظ أو تسميات صكت فى ترسانة العدو .. كيف يمكن إقناع المسلم بأن ذلك هو مجرد تواتر خواطر !

فى ظل تقدم وسائل الإعلام يعرف المسلم أن العالم كله يعيش أزمة سياسية وعسكرية مع الإسلام ، بينما تتربع فى صحفنا وإذاعاتنا شخصيات وثيقة العلاقة بالغرب تؤكد لنا أن عصر الأديان قد انتهى ، وأنه لا أحد يهتم بالدين إلا المتطرف ، وأنه لا علاقة للدين بالسياسة !

كيف يصدقهم المسلم ؟! كيف لا يشك فى نواياهم .. ؟!

المسلمون وحدهم يذبحون من بورما إلى البوسنة .. وهؤلاء لايحتجون ولو من الناحية الإنسانية ، بل يدسون الملح فى جرح المسلم بالإصرار على الاعتذار للقتلة ، والتأكيد بخطأ اعتبار ذلك عملا موجها ضد المسلمين !

مدافع الصرب دكت ثم أزالت بالبولدوزر أقدم مسجد فى أوربا كلها ! ولم يحتج منهم ومنهن أحد !

حكومة ولاية أوتار براديش الهندية تستولى غام ١٩٨٦ على مسجد باباري الذى بناه المسلمون فى القرن السادس عشر وتفتحه للهندوس للصلاة فيه وأنف المسلمين فى الرغام وتعدادهم يفوق تعداد مسيحيى العالم الإسلامى كله عشرين مرة ! ثم فى ١٩٩٠ تأمر حكومة الولاية بهدم المسجد لكى يبنى الهندوس على أنقاضه معبداً للإله راما ويبدأ كهنة الهندوك الهدم وهم يرتلون أغانى تمجيد الإله راما (نيويورك تايمز ٢٦ / ٧/ ٩٢) الذى نصرهم على إله المسلمين !

« البوليس الهندى قتل ١١٥٠ من المسلمين فى كشمير التى يشكلون فيها أكثر من ثمانين فى المائة » عشرات الألوف من الجنود المسلحين أجبروا الناس على إنزال الأعلام الخضراء الإسلامية فى الأحياء الفقيرة ، وقال ضابط بوليس كبير : إن كانوا يمتلكون الشجاعة فليخرجوا لى هنا فى الشارع الرئيسى » .

جماعة الحرية والتقدم والعلمانية لا وقت لديها لكى تتألم لذلك لأنها منشغلة بإلغاء القرار الهمايونى ومنع الشيخ الشعراوى من تفسير القرآن ومنع المسلم من أن يعتقد أن دينه هو الصحيح .

هل فكر أحد فى مشاعر المسلم العادى وهو يرى بهائياً دينه مخالف للقانون رسميا ، ومع ذلك يتمتع بصفحتين كاملتين فى مجلة كبرى ولا يكتب حرفا .. حرفا .. واحداً فى استنكار إبادة وتشريد أربعة ملايين مسلم فى البوسنة ، بل ولا عن مأساة مسلمين فى أى مكان فى العالم ؟!

كل هذا الحقد فى قلبه على الإسلام ، ثم يمكن من مهاجمة المسلمين والمطالبة بمنع الدعوة للإسلام ؟! ما هذا الذل ..؟!

ماهو رد الفعل عند المسلم إذا قرأ فى مجلة قومية كبرى افتتاحية عن المسلمين تصفهم بأنهم « خارجون من ظلام العصور الوسطى » ، وفى نفس العدد يمتدح كاتب لا هو مسلم ولا هو قبطى وصف نفسه بأنه صبى مبشر ، الدكتور لويس عوض لكفاحه ضد ما أسماه « أزمة الارتداد إلى عصور

الانحطاط ، تحت أستار الصحوة الدينية » والعصور الوسطى المقصودة هى عصور ازدهار حضارتنا ! وعصور الانحطاط التى تدعو لها الصحوة الدينية هى الإسلام ! الشباب الذى يقرأ ذلك فى أبو قرقاص ، وليس لديه فرصة للرد فى المصور والأهرام حيث يكتب هؤلاء بإفراط ، هل نلومه إذا انفعل ضد من يسب دينه وتاريخه ! وإذا كنا نلوم صعيدى نصف متعلم على تعصبه فماذا نفسر موقف الذى يسبق اسمه لقب دكتور ؟ وإذا كنا نتحدث عن فتنة ودور إسرائيل والمخابرات الأمريكية فى صناعة هذه الفتنة ، فهل نستطيع أن ننسى أن الكاتب كان مندوب مجلة حوار التى كشفت تحقيقات الكونغرس أنها تصدر عن المخابرات الأمريكية ؟!

كيف يراد من المسلم أن يصدق جديتهم أو حيادهم ؟!

المسلم يرى عملية الإفناء تمتد فى ثلاث قارات ثم تزحف إليه فى عقر داره ، فهو يرى أجهزة التبشير تعمل جهاراً نهاراً على تنصير أطفالنا وشبابنا وفتياتنا وهو عدوان على الدين ، على الكرامة ، على العرض ، على الهوية ، هو تهديد بالإبادة .

إسرائيل منعت التبشير وطردت المبشرين الأمريكان ، ومصر لاتستطيع رغم أنها تضم أقدم كنيسة فى العالم ولاتحتاج لأى نشاط أمريكى أو كندى لكى تتعرف على المسيح !

نحن نعترف بوجود أقلية مثقفة متحضرة متمدينة متفتحة لا تبالى بهذه المسائل ولا يهمها على أى دين كان مصرعها ، ولكن المتخلفين الصعايدة يهمهم هذا الأمر جداً ، وإذا اعتقدوا أن الدولة عاجزة عن حماية دين بناتهم أو غير مهتمة ، لجأوا للدفاع عن النفس بالتجمع واللجوء للتنظيم ورد التفوق الساحق للمبشرين فى المال والإغراءات ، بعزل أولادهم وبناتهم ولو بالسلاح .

ففى اعتقادنا أن الحركة الإسلامية هى فى أحد جوانبها ، دفاع غريزى

عن النفس ضد ماسماه الأستاذ إبراهيم نافع نفسه ، مؤامرة ضد المسلمين ، ولو أنه طرحه فى صيغة سؤال ..

ومن جانب آخر هى بحث عن حل يحفظ الهوية ويطلق طاقات الجماهير فى آخر فرصة للخروج من عالم المتخلفين قبل أن نتحول إلى حيوانات يطعمنا عالم الأغنياء للحصول على قطع غيار آدمية !

ومن ثم فقد تصدينا للهيستريا المغرضة التى شنها البعض لاستئصال الإسلاميين ، ودعونا للحوار لمعرفة نقط الخلاف وأسلوب معالجتها وتحقيق مايمكن تحقيقه بل مالا مفر من تحقيقه إن أردنا حماية الديار ، وماكانت هذه الدعوة ليقبلها الذين يعملون بدأب لشطب دور مصر من خريطة المنطقة التى كفوا عن تسميتها بالعربية !

وكنت منذ مايقرب من العام ، قد عدت للكتابة فى الصحافة المصرية بعد انقطاع لا من جانبى بالطبع ، ويشهد الله أنه لم يكن أساساً من جانب السلطة المصرية بل بفعل الفساد وسيطرة الجهل والأنانية والمصالح والعناصر المشبوهة ، وبعض الحكومات العربية ، التى أبعدتنى عن الصحافة المصرية والعربية معظم سنوات عمرى ، فحتى فى زمن عبد الناصر لم يصدر من جانبه أى قرار بمنعى من الكتابة ، ولكن فعلها الشيوعيون وعملاء المخابرات والصحفيون الفاشلون الذين لم يكن يسعدهم أن يقارن الناس بين كتابات المجيدين ، والهبل الذى ينشرونه ، ولعل القارىء سيدهش لأننى احترفت الكتابة السياسية أكثر من ٤٥ سنة ويعتقد الكثير أنه لو عد عشرة من أفضل الصحفيين فى العالم العربى فأنا منهم ، ومع ذلك لم أكتب بانتظام فى الصحف إلا لفترات لا تزيد عن العامين فى كل مرة ولا تزيد فى مجموعها عن عشر سنوات ، وفى المرة الأخيرة فصلت من مجلة قومية بناء على مكالمة من سفارة عربية للمسئول عن المجلة الذى فضل منافعه مع هذا البلد عن شرف الكلمة وشرف الصحافة ، ومع ذلك فلا يجوز إعفاء النظام تماماً من المسئولية ، فهو الذى مكن هذه العناصر

من الصحف وحولها إلى مايشبه الوقف أو نظام الالتزام المملوكى ، فلم يعد هناك مالك حقيقى للصحف يهمه أن يستقطب الأقلام الناجحة ، وقد رأيت المرحوم إحسان عبد القدوس فى فترتين ، فترة ملكيته للمجلة ، حيث كانت الإجادة فى الكتابة هى المعيار الوحيد فى اختياراته للمحررين مهما كانت عواطفه نحوهم ، وهى الفترة التى استكتب فيها بهاء وصلاح حافظ وصلاح عبد الصبور وممدوح رضا وسليم اللوزى وجلال كشك ... إلخ ثم عندما عينوه طرطورا على المؤسسة وأصبح وجوده رهنا بأصوات عمال المطبعة فعين حتى محمود المراغى وحرمه مشرفين على التحرير لأنهما يستطيعان مزاحمة ممدوح رضا على أصوات العمال !

وقد عدت للكتابة فى ظروف وبمبادرة لا أريد أن أتكلم عنها الآن .. وأثارت مقالاتى رغم موضعها وحجمها ردة فعل واسعة ، لا لسبب إلا لأنها قالت ما تحرص القوى المشبوهة على منع نشره ، وما تخشى الأقلام المخلصة قوله صراحة .. وأنا قد ألزمت نفسى منذ أول سطر كتبته فى الصحافة عام ١٩٤٦ أن أقول ما أعتقد ، فلما حاولوا استثمار حادثة الاغتيال وشل الرعب ألسنة الجميع واندفعوا فى هيسترية الترويع ، فوجئوا بمقال صغير فى صفحة بريد القراء يتحدى ذلك كله ، وانطلقت تنهيدة إرتياح من المصريين المخلصين وصيحة رعب من المتآمرين سمعتا فى كل مكان .. فقد قيلت كلمة الحق فى إعلام جائر !

كل الذى حدث اننى قلتها فى الصحف كما أكتبها فى الكتب وكما يريد الناس أن يسمعوها أتفقوا معها أو اختلفوا ... وتفاعل هذا الصدى خاصة وقد لمس الناس الإخلاص فلم يستطع أى معارض أو حاقد أن ينسبها لأى جهة ولا غامر أحد بالرد عليها أو محاولة تفنيدها إلا الذى نشر تهديداً صريحاً لى بالاغتيال ولم يهتم أحد بمجرد سؤاله !

فوجىء الناس بمن يصرخ : أنتم عراة ياسادة ! أنتم لاترهبون أحداً ! أنتم لا تريديون الخير للوطن بل أنتم تريدون خراب الديار ، وكانت المناقشة مع الأهرام التى يرد تفصيلها فى هذا الكتاب ، وقد طالب الناس بأن أجمع هذه المقالات ، فكان هذا الكتاب الذى أخصه للشباب فى هذه النقاط :

● الوضع خطير على مستوى الوطن والشعب والهوية ولابد من الدفاع عن ذلك كله .

● إذا كانت هناك بعض القوى التى تريد خراب الديار فيجب التصدى لها بالدعوة إلى الحوار وليس بالإرهاب ولا بضرب النار .

● إذا أعلنت السلطة عن حرية القول فيجب أن نقول كل مانؤمن به ، وإلى الذين يخافون من الحوار ويخوفون السلطات منه ، أذكرهم بحكاية القط الرومى والقط البلدى .. قال الراوى :

دعا القط الرومى صديقه البلدى لزيارته فى محلة المختار عند جزار خواجه ، ولما وصلا صاح فيهما الخواجه وصبيانه : إكسو بره .. إكسو بره ! وظهر الاشمئناط على وجه القط البلدى وقال متعاليا : كيف تقبل هذه الإهانة ؟ وقيل ، بل قال : كيف تقبل هذا التسيب .. تعال معى .. وذهبا إلى الجزار البلدى الذى ما أن رآهما حتى غمز لصبيه : ناوله ! فقذف هذا بالساطور فأطار أذن القط الرومى الذى هرول يشجب دما وهو يقول : مليون إكسو بره ولا واحد ناوله ! فلنقل جميعاً : مليون مقالة وألف سنة حوار ولا واحد : ناوله !

المنفى ٣١ أغسطس ١٩٩٢   محمد جلال كشك

الباب الأول

العشماويات .. وأخواتها

بل هو دفاع عن الأزهر ...!

قبل أن تضيع الحقائق فى زحمة المولد نطرح بعض الأفكار حول زفة المصادرات التى يعيشها الفكر المصرى .. فنقول : فى كل جريمة يبدأ البحث عن المجرم بمحاولة الإجابة على سؤال : من المستفيد ؟ لأنه عادة يكون هو المتهم الأول ! وفى حكاية المصادرة العجيبة التى وقعت فى معرض الكتاب لا يصعب تحديد المستفيد ..

المصادرة والإعلان المجانى من شأنه أن يزيد توزيع كتب ظلت فى السوق فترة تتراوح بين عشر وثلاث سنوات ولم تثر الاهتمام الذى كانت ترجوه ولا البيع الذى توقعوه ، حتى جاءها التنشيط مجاناً يسعى به عصبة غريبة لم تشأ أن تصادر إلا علانية وعلى مرأى من مليون زائر وأمام كل وسائل الإعلام وفى يوم المولد كأن هدفهم الفضيحة لا المصادرة ..

وقد كان !

كذلك استفاد المؤلف الذي فتحت له أجهزة الإعلام وألقى القفاز فى وجه شيخ الأزهر يدعوه للمبارزة مع أن شيخ الأزهر لا علم ولا أمر . ورغم أنه مامن أحد يجرؤ على توجيه مثل هذه الدعوة لأصغر رجل دين خارج بلاد المسلمين ..

وإذا كان حامد علام ظهر فى النيوزويك فإن المستشار أصبح فى كل صحيفة وتحقق ماقصد إليه منذ البداية وهو استفزاز أية جهة لمصادرة كتابه « **الخلافة الإسلامية** » لتتكرر أمجاد على عبد الرازق ، ويأكل الجميع ملبنا .

المستفيد الثالث أو لعله الأول هو التيار الذي عبر عن قلقه من نجاح جبهة الإنقاذ فى الجزائر وأراد تغطية الإجراء غير الديموقراطى الذى جوبهت به فجاءت حادثة المصادرة تقول أن المسلمين أيضاً غير ديموقراطيين ، ولو حكموا لصادروا . ولذلك كان اختيار

شيوخ ومن الأزهر وباسم الإسلام ، مع أن مخبرا بعصاية كان يستطيع تنفيذ المصادرة إذا كان هناك حكم بالمصادرة ! ولعلنا لاحظنا أن حديث المصادرة والدفاع عن حرية المستشار قد غطى على أنباء إلغاء الانتخابات فى الجزائر واعتقال كل زعماء الجبهة .. وأنه ما من أحد سأل عن سلطات هذه الجماعة التى صادرت بل انهال الهجوم على الأزهر والاستبداد الدينى والحكومة الدينية وغزوة بدر .. إلخ .

هل لدي الأزهر صلاحية مصادرة الكتب وتنفيذ المصادرة ، هل تصادر الكتب فى بلادنا بغير السلطة القضائية والتنفيذية ؟ وهل الأزهر أحد هذه السلطات ؟

وإذا لم يكن كما أكد الجميع ألم يكن التصرف الطبيعى هو القبض على هؤلاء الذين انتحلوا صفة الضبطية القضائية واقتحموا ملكيات خاصة وصادروا منقولات بدون صلاحية ..؟

الغريب أن تحقيقاً لم يقع كأن البعض يخشى أن تتكشف عجائب مثيرة تخالف كل الصخب والضجيج الصادر من مولد حرية الفكر ، ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك . المهم أنه ما لم يقع تحقيق يكشف المحرك الحقيقى خلف هذه الحادثة وعلى ضوء المستفيدين منها فمن حقنا أن نرفض كل ما يقال وكل الغبار الذي يثار .

ثانياً : من قال أن الأزهر يحكم بالمصادرة فضلا عن أن يصادر ولا أدري كيف يقول ذلك مستشار يفترض فيه العلم بالقانون والنظم !!

الذي يحدث أن جهة ما تطلب من الأزهر وجهة نظره فى كتاب معين هل فيه ما يخالف الدين .. والأزهر يقول رأيه ثم يترك الأمر للقانون والسلطات . وقد يرى الأزهر من واجبه أن يبادر هو فينبه لمخالفة بعض الأفكار للإسلام بمفهوم الأزهر حتى لا يضل بعض العامة من المثقفين ويقولون هذا من عند الله مادام الأزهر لم يعترض ، تماماً كما أن كل من هب ودب حتى حامد علام يتطوع وينبهنا لخطأ ومخالفة مفاهيمنا للدين .. إشمعنى الأزهر لا !

ولكن الأزهر لا يملك قوة قانونية ولا تنفيذية تمكنه من المصادرة الفعلية فهل

المطلوب منع الأزهر من أن يقول رأيه .. وإذا كان السيد المستشار انطلاقاً من حرية التعبير والفكر قد ادعى لنفسه الحق فى القول بأن كتاب الله سبحانه وتعالى فيه أخطاء نحوية مما يخالف قواعد النحو التى درسها السيد المستشار ، فهل يستنكر على الأزهر الحق فى أن يقول أن كتاب المستشار فيه أخطاء فكرية مما يخالف فهم الأزهر للإسلام الذي درسه شيوخ الأزهر طوال حياتهم ؟! حقاً إن الإنسان ليطغى ..

وتعالوا نستطلع بعض الملاحظات ــ أكرر بعض ــ التى سجلناها على كتاب الخلافة الإسلامية أو الطبعة السوقية من كتاب الخلافة وأصول الحكم ، وتساءلوا معى ماذا يمكن أن يقول الأزهر فى كتاب يدعى الآتى :

١ ــ القرآن به أخطاء نحوية ولغوية !

٢ ــ أبو بكر أنشأ ديناً جديداً غير دين محمد[1] وخلط بين حقوق النبى وحقوق الحكام ، وخلافته حدث تم دون روية ولا إحكام . وحروب الصدقة التى شنها تعد منحنى خطيراً ومنقلباً سيئاً انحدرت إليه الخلافة عبر تاريخها ، وشرعت حق الخلفاء فى اغتصاب الحقوق الخاصة بالنبى (المستشار أفتى أن الزكاة أو الصدقات كانت امتيازاً خاصاً للنبى أو أجرة النبى مقابل صلاته على الذين يدفعونها !) وسنت قتل المسلمين للمسلمين . وصبغت الإسلام بطابع الميل للغزو ومنهاج يهدف للحرب والضرب فى كل مناسبة ويمسك الرمح والسيف فى كل حين . بل فتوحات أبى بكر لم تكن إلا لحرف أنظار وسيوف المسلمين عنه . واتبع مع عمر أسلوباً يتهم فيه الخليفة أي معاون له أو وزير بالضعف إن لم يوافقه على رأيه .(!)

٣ ــ الخلافة الإسلامية لا تقوم على حكم شرعى بل هو نظام فاسد رهيب نتاج ظلمات الجاهلية وتم فى ظل رغبة كل من المهاجرين والأنصار فى تصفية الطرف الآخر وسعى كل منهما للإمارة لحماية نفسه من الإبادة ، وفى الصراع المحموم لتنحية الطرف الآخر تشجع المهاجرون على الالتجاء للعنف . واعتدوا على سعد بن عبادة بالضرب(!)

---

(١) علشان نكون زى حكاية بولس والمسيح وماحدش أحسن من حد !

٤ ــ النبى إدريس هو أوزوريس وكان اسمه المحمد ولذلك سمى العرب أولادهم محمدا .

٥ ــ الصحيفة التى كتبها النبى مع الأنصار واليهود فى المدينة وثيقة شبه جاهلية وليست إسلامية .

٦ ــ الأخطل من المهاجرين (!!!) وعبر عن تيار فى المهاجرين يميل للحط من شأن الأنصار .

٧ ــ فى عهد الإسلام الأول ملئت الأرض جوراً وحشيت ظلماً .. وكان طغيانا لا حدود له ، ومظالم لا تكف وظلاما بلا أي أمل .

٨ ــ اغتيال المسلمين لبعض اليهود باعد بين اليهود والمسلمين بعد أن رأى اليهود فى ذلك مسلكاً عدوانياً ومنهجاً إرهابياً مما دفعهم إلى اعتقاد بأن الإسلام سياسة وليس دينا .

٩ ــ والاتجاه العسكرى فى الإسلام بدأ بغزوة خيبر ، ذلك أن أهلها ، لم يكونوا من المشركين كما أن أهل خيبر لم يكونوا قد أساءوا إلى النبى أو إلى الإسلام بشىء .

هذا رأي المؤلف ، وقد يكون ذلك سبيلا إلى جائزة شامير ولكن لابد من الاعتراف أنه يطلب شططا إذا أراد موافقة شيخ الأزهر على هذا القول . صحيح أننا اكتشفنا أن مصالحة اليهود سنة لأن رسول الله فعلها ، ولكن ذلك جاء بعد حوار دموي ، وأربعة حروب وشىء من حمزة البسيونى ونقص الثمرات والمرتبات والكرامات ، استغرق أربعين عاماً حتى فنى الجيل الذي اعترض .

فكيف يريدنا المستشار أن نصل فجأة وبكتاب واحد إلى التسليم بأن مصالحة اليهود ليست سنة بل فريضة ، وأن رسول الله صلوات الله عليه أخطأ بمحاربتهم فى خيبر ، (لا تؤاخذنا يا رسول الله !) . وعلى الأزهر قبول ذلك ودفع دية يهود خيبر ، ونترحم على « سيدنا » حيى بن أخطب ؟!

نحن لا نقول أن ذلك مستحيل أو أن العقل المسلم منغلق أو أسير أفكار عنصرية بالية عتيقة تتنافى مع النظام العالمى الجديد الذي ترفرف أعلامه من الجزائر إلى جورجيا

وكشمير . ولا نستبعد مبادلة أرض خيبر بالسلام ، فالحوار مفتوح ومتعدد المفاجآت والعقل المسلم منفتح على البحري وأكثر من ماسورة شبرا قبل الوثبة الحضارية التى أخرجتنا من كأس مدغشقر ..

ومادمنا فى سيرة اليهود فقد نشرت الهيرالدتريبيون الأمريكية ٩٢/١/٢٤ فى الصفحة الثانية فى آخر عمود على الشمال خبراً يقول « فى محاولة أخرى لمنع الاطلاع على وثائق البحر الميت أصدرت محكمة إسرائيلية قرارا بمصادرة ومنع كافة أشكال التداول لكتابين يضمان صوراً لم تنشر من قبل لهذه الوثائق ، وقد أصدرت الحكم محكمة فى أورشليم (**بلاش القدس ليزعلوا**) وقد علق الناشر الأمريكى أنه من المؤسف أن يحاول الإسرائيليون إعادة المارد إلى القمقم والوثائق تدور حول تاريخ اليهودية الحديثة وأصل المسيحية ». انتهى الخبر ولا تعليق من الصحيفة ولا غضبة من راديو لندن على مصادرة الكتب . ولو كان الناشر إسرائيليا لسجنوه ولكنه مقيم فى نيويورك .

لا غضبة ولا تشهير بمحاولة إسرائيل منع نشر التاريخ وإصرارها لنصف قرن على منع نشر وثائق عمرها يقرب من عشرين قرناً وتملكها شرعاً دولة الأردن واغتصبت بالاحتلال . ويقول البعض إنها تتضمن معلومات تثبت قول القرآن فى التوراة والأناجيل . ولكن لا أحد يغضب لحق اليهود أو المسيحيين فى أن يعرفوا تاريخهم . إنهم يحبون المسلمين فقط ويقيمون الدنيا من أجل حقنا فى أن نقرأ علاء حامد والعشماوي .. وإلغاء حق شيخ الأزهر فى الاحتجاج ولو بأضعف الإيمان !

ممكن قبول فتوى المستشار ، إنما نطلب فسحة من الوقت والمزيد من كلاب حمزة البسيونى نتحاور معها حواراً خلاقا حتى نوافق على تخطئة موقف رسول الله من اليهود .. شوية شوية حرام عليكم دي أول مرة يا بيه !* .

---

* الأخبار ١٩٩٢/١/٣١

أين ذهـب العلمانيـون ..

والجـن في التليفزيـون !

في الوقت الذي لا تفوت فيه العلمانيون والتقدميون واليساريون السابقون منهم واللاحقون شاردة ولا واردة من غيبيات المسلمين أو حتى خرافات عامتهم إلا انتقدوها وعيرونا بها وأرجعوا إليها كل متاعبنا وتخلفنا وهزيمتنا .. في نفس الوقت الذي يهتم أحدهم أين يضع المسلمون أصابعهم ! افتقدت أي تعليق فضلاً عن استنكار للأنباء التى تنتشر فى صحفنا عن معجزات تقوم بها الأرواح على يد مدربى أرواح هم فى الغالب من غير المسلمين ، قرأنا عن عملية استئصال سرطان قام بها شخص غير مرخص له بمزاولة مهنة الطب ، ومع ذلك استخدم الأرواح والقوى الخفية فى شق جسم إنسان ! وجرت العملية فى غرفة مظلمة .. الأمر الذى تصورنا أنه سيغضب فلاسفة التنوير ، أعداء الظلام .. ووجدت بعد العملية دماء وقطن ملوث ! (مما يؤكد أن الأرواح مصرية فهى وحدها التى تترك مثل هذه الزبالة وكنا نتوقع تدخل البلدية !) .

تصورنا أن الخبر سيثير غضب العلمانيين بل واحتجاج نقابة الأطباء وكلية الطب التى اشتهر عميدها بكراهيته لتنقب الطلبة فكيف سكت على تنقب الأرواح وهى تقوم بجراحة ؟ ! .

رفضنا تدريس الطب للمحجبات وسمحنا بممارسته للأرواح المنقبات ! (فى أرواح مؤنثة على الأقل للتمريض)

وبالأمس فوجئنا جميعاً ببرنامج تليفزيونى يقدم دجالة تدعى استخدام الأرواح لإجراء عمليات جراحية فى الظلام ، وتستخرج الحصى من الكلى ! ولم يرتفع صوت علمانى مستقبلى إليكترونى تكنولوجى بأي احتجاج ولا تحركت أجهزة الأمن التى

أعدت فى نفس التليفزيون ـــ منذ شهور ـــ كمينا لدجال مسلم يعالج بالقرآن وساقته فى الأغلال أمام عدسة التليفزيون .

أما مع الدجالة فكانت المذيعة شديدة التحمس ، وتعارض الدكتور عبد الصبور الذى استدعى فى آخر البرنامج ولم يكمل حديثه ، والمذيعة تؤكد أنها رأت آثار العمليات الجراحية .

أما سكوت العلمانيين فتفسيره وجدته فى تقرير المبشرين الذين اجتمعوا فى الولايات المتحدة سنة ١٩٧٨ لتنسيق الخطط لتنصير المسلمين واستقر قرارهم على أن العلاج بالأرواح هو المدخل الذي يمكن أن يضللوا به العامة من المسلمين ، فقد ورد فى تقرير مؤتمرهم بالحرف الواحد : « **أن غالبية المسلمين الذين يحتمل أن يتنصروا هم من الذين يعتنقون ما يطلق عليه إسلام العوام ، وهم يؤمنون بالأرواح الشريرة والجن ، كما يؤمن هؤلاء بدرجة كبيرة بالتعاويذ التى يعتقدون أنها تمدهم بالقوة لمواجهة شرور الحياة وتحدياتها ، والباب الذى يمكن من خلاله التأثير على هؤلاء وتنصيرهم هو أن يقوم شخص بتقديم منافع دنيوية لهم مثل ممارسة العلاج الروحى وطرد الأرواح الشريرة .. لقد سمعت عن تنصير أعداد كبيرة من المسلمين بهذه الطريقة أكثر مما تم بواسطة طريقة الوعظ وعلى يد عنصر لديه القدرة على العلاج الروحى وطرد الأرواح الشريرة** » ص ٧٥٧

هذا هو سر الرواج لأخبار الجن والمس والعلاج بالأرواح ، إنها طبول المولد أو الخناقة التى يفتعلها النشالون لنشل أموال الناس أو دينهم ، وهذا يفسر سكوت العلمانيين ولولا الحياء لأيدوا طب الأرواح . أما سكوت البوليس ونقابة الأطباء على ممارسة الجراحة من شخص غير مرخص له بمزاولة الطب بل لم يدخل كلية طبية فى رومانيا ، ولا حتى بالإعدادية ، ولا هو من نسل أطباء ، ويعترف علنا أنه قام بفتح كلية مواطن .. سكوت الأمن والأطباء عن ذلك فهو ما لم أجد له جواباً بعد .. أو قل وجدت ولكن فى فمى كوكاكولا !* .

* الأخبار ١٩٩١/١١/٢٢ م .

عودة الابن الضال .. والصيغة اللبنانية ..
وعميل كابول ينقل البندقيـة ..

رمضان يحب الطقاطيق وسنقدم بعضها ونبدأ ببشرى للإسلاميين المتطرفين منهم والمعتدلين وبالذات « للطابور الخامس الديني المدنس في وسائل الإعلام » فقد انضم إليهم مقاتل شرس من خصومهم ، وسبحان محول القلوب . حقا إن الله يهدى بالدولار من لا يهتدى بالحوار .. الحكاية أن كاتباً مشهوراً جداً بحملاته على كل من قال لا إله إلا الله سألوه فى مجلة ألمانية (على ذمة جمعية تبشيرية معادية للاسلام فى أستراليا) سألوه عن سر استمرار الحديث عن الإسلام فى أجهزة الإعلام فقال « يوجد طابور خامس ديني يعمل فى وسائل إعلام الدولة وممول من الخارج ، هؤلاء الناس يكتبون فى مطبوعات ممولة من العربية السعودية ..» كان هذا فى ٩/٩ /١٩٨٥ وقد كرر ذلك فى كل ماكتبه أو حاضره ضد الإسلاميين .. ولكن الحديث الشريف قال : من عاير أخاه برضع لبن كلبة لم يمت حتى يرضعها ، فقد أهل علينا رمضان المبارك وصاحبنا يكتب فى الصحيفة السعودية « الحياة » ..

مرحبا به فى الطابور الخامس !

لو أن هؤلاء يؤمنون بحرف مما يكتبون لما احتاجوا للكذب والتزوير ، إذ لا يمكن خدمة قضية حق بالتزوير .. والغريب أنهم جميعاً يكتبون فى الصحف السعودية ، ويتلقون الدعوات ، ونتمنى أن يعدوا قائمة بأسماء الإسلاميين الذين يكتبون فى جريدة أو مجلة سعودية أو حضروا مهرجان الجنادرية .. !

ومن الطابور الخامس إلى ناجى الشريف الذي اتخذ بوزا وقال أنه مثّل الفيلم لأنه يبرز تدمير لبنان بسبب صيغة التعايش التى كان يتميز بها لبنان . ونور لا يعرف مامعنى صيغة ولا الفرق بين التعايش والتعيش ، ولكنهم يضعون الكلمات فى فمه ، وذلك

لايعيه فهو ممثل يقول كلمات الملقن ، ولكن الكارثة تقع عندما يندمج ويتصور أنها كلماته .. ! .

بداهة نحن نوافق ناجى الشريف على أن من صميم أهداف الفيلم تمجيد صيغة التعايش هذه واستدرار البكاء عليها واتهام العرب بتدميرها ، ثم نسأله ماهية هذه الصيغة ...هل يقصد أن يتعايش مواطنون من مختلفى الأديان فى بلد واحد .. ولماذا ينفرد لبنان بهذه الصيغة واكتشافها وممارستها ؟!

ألا يوجد فى مصر تعايش ؟

ألا توجد فى سوريا طوائف عديدة متعايشة ؟!

ألم تكن الطوائف متعايشة فى العراق أفضل منها فى لبنان .. ؟! هل لبنان الذي كانت توزع فيه الوظائف حسب الدين والمذهب هو الصيغة التى افتقدها العرب ؟!

لبنان الذي اشتعلت فيه الحرب الطائفية بعد عشر سنوات فقط من ظهوره كدولة مستقلة ولم تتوقف قط ، هو نموذج التعايش أو إرم ذات العماد ؟!

أقول لكم ماذا يكون فى الصيغة اللبنانية ؟!.

إنها كانت دولة لا يرأسها مسلم ! وقد قلنا أنه فى الشرق الأوسط وجدت ثلاث دول لا يرأسها مسلم وهى التى لم تعرف التعايش بل التذابح وهى : إسرائيل ولبنان وقبرص ..

وأخيراً لبنان لم يدمرها العرب بل إسرائيل التى استطاعت غواية بعض قياداته لتقودهم جميعاً للانتحار ، لأن لبنان كان بسبب كفاءات اللبنانى الاقتصادية وموقعه وعلاقته بالغرب أخطر منافس للمشروع الإسرائيلى ..

ومن لبنان إلى الكويت حيث نجد أن كل الصحف التى دافعت عن فيلم ناجى العلى دافعت عن أحمد الجبر وأولهم صحيفة القبس التى كان يرسم فيها ، وآخرهم صحيفة القدس التى تصدر فى لندن والتى تعادي مصر عمال على بطال ، دافعت عن حق أحمد الجبر الصحفى الكويتى فى الحديث عن إصابة المسئولين المصريين بالإيدز .

على الأقل هذه الصحف منطقية مع نفسها ومع ادعاء حرية الصحافة ، ولكن الموقف الشاذكان لوريقة عم صالح فقد انبرت فى حماسة مريبة تهاجم الكويت وحكومة الكويت وحكومة عاطف صدقى لأنها خسرت عراق العروبة والمجد للدفاع عن الكويت وصاحت : « هل دفع جنودنا دماءهم من أجل أن تخرج مجموعة من السفهاء لتقابل الحسنة بالاساءة » .

الله ! ما قلتوا حرية فكر وحق النقد وإن الذي يسب المسئول المصري لايسب مصر ..

الله ! هو الإيدز أهم من حرب أكتوبر أو سب وزير مصري أسوأ من وضع جنرال مصري من أبطال أكتوبر على القصرية أمام قوات إسرائيل ؟ الله ! تبقى مش حكاية فكر ولا ناجي العلى . حكاية تار بايت وشيك ضايع .

ومن الإدارة الليبية إلى الإدارة الروسية فقد ذكرت الصحف أن خيبة الله أو نجيب الله العميل الروسى الذي يحكم أفغانستان يعرض خدماته على الأمريكان لمحاربة العدو المشترك : « الإسلام ..» أو كما قالت الهيرالدتريبيون على ستة أعمدة « أفغانستان تطلق صيحة محاربة الإسلام لتحصل على مساعدة أمريكا .. » وقالت أن الماجور جنرال نجيب الله ناشد الولايات المتحدة أن تساعد بلاده لكى تشكل صخرة المقاومة لانتشار المد الإسلامى فى وسط آسيا » ٩٢/٣/١١

ولاشك أن أمريكا التى اشترطت خروج الروس من كل مكان إلا أفغانستان لكى لا يحكمها المسلمون ستلبى الدعوة ولكن باسم من سيصدر الشيك .. انتظروا !

وكما بدأنا بجريدة الحياة نعود إليها فقد سجلت سبقا صحفياً إذ كانت أول جريدة عربية تذكرنا بمحاسن سلمان رشدي ، كتب فيها لبنانى اسمه « جوزيف » يدافع عن سلمان رشدي تحت عنوان « الأديب البريطانى سلمان رشدى » وقال : « كاتبان هزا العالم فى السنوات الأخيرة .. سلمان رشدى وفرانسيس فوكوياما .. » ويكيل التهم للذين لم يتعاطفوا مع « الكاتب المطارد الذى سبق له أن وضع قلمه وموهبته فى خدمة قضايا المهاجرين المسلمين فى أوروبا الغربية .. »

وأن « التيار العريض الرافض للكتاب ولحرية التعبير وراء ذلك اكتسب مواقع جديدة وبات مستعداً للانطلاق منها نحو تحقيق مكاسب إضافية تقدم حالات منع الكتب ومحاكمة الكتاب فى مصر دليلاً وافياً على استفادة هذا التيار من المعركة حول الآيات الشيطانية .»[1] .

لعلنا لانسمح لصناع فتنة لبنان بنقل نشاطهم إلى مصر* .

---

(١) الحياة ١٩٩٢/٣/٣ جوزيف سماحة ..

وصحيح أن موقف صحيفة الحياة من مذبحة البوسنة كان جيداً فى عمومه وبالذات كتابات مراسليها المسلمين وبعض تعليقات رئيس التحرير . إلا أن الأوغاد الذين حرقوا لبنان بتعصبهم ويحملون حقداً على المسلمين ، لم يكتفوا بموقف الشيطان الأخرس بل بدت البغضاء من كتاباتهم وما تخفى قلوبهم أقذر وصاحبنا هذا فقد رشده حتى رأينا شر البلية ! ففى الوقت الذي استنكرت حتى الكنيسة الصربية تجاهل الغرب لأبشع مذبحة عرفتها أوربا بعد الحرب العالمية الثانية بنص اعتراف الصحافة الغربية ، خرج علينا هذا الشويخص يتساءل عن سر حب الغرب لمسلمى البوسنة وعطفه عليهم وتحيزه لهم !

قال : « يوماً بعد يوم وتزداد الحماسة الغربية إلى فك الحصار عن سارايفو ومساعدة مسلمى البوسنة ـــ الهرسك .. فوراء هذا التعاطف يكمن سبب آخر منذ انتهاء الحرب الباردة وطى صفحة ملف الأزمة الأفغانية وهذا الغرب يبحث عن جسر حوار مع العالم الإسلامى ويقدم مسلمو البوسنة النموذج المطلوب دعمه فهم بعيدون جداً عن الأصولية ـــ على الرغم من أحاديث سابقة لعلى عزت بيكوفيتش عن الجامعة الإسلامية ـــ وهم فى صدام مع طرف غير منتم إلى الغرب الصناعى المتقدم . إنهم « حاجة » إيديولوجية ترث أفغانستان الثمانينات وتكسر انتظام الخطاب الأصولى فى حربه ضد « الصليبية » .

ياريت الغرب سمع كلامه ، ولكن للأسف هذه التفرقة بين العلمانى والأصولى تستخدم فقط لتضليل العلمانى إلى أن يقتل الأصولى فيكتشف أنه أكل يوم قتل الأصولى ، وما بين تخيلاته وتعليقنا عليها كان مسلمو البوسنة قد قتلوا جميعاً عملاً بمبدأ البابا : اقتلهم جميعاً وسيميز الله عباده الطائعين !

وحقاً احترق الوجه والقفا والعدو بعدما اشتفى !

عتابنا لشخصية لانشك فى إنسانيتها ولا إسلامها أتاحت الفرصة لعفن الطائفية اللبنانية لتنفث سمها من جديد !

---

* الأخبار ١٩٩٢/٣/١٥ م .

حــرية الخطأ في القرآن فقط !

من أشهر التعريفات للحرية أنها حرية الخطأ ، أي حق الإنسان فى التفكير دون الرعب من ارتكابه خطأ . ففى النظم الديكتاتورية يعتبر فكر السلطة هو الصواب المطلق والبديهى ، ومن ثم فمخالفته هى الخطأ ، الذي لا يمكن أن يقع فيه مؤمن ، بل هو من فعل الشيطان كما كان الحال أيام سيطرة الكنيسة الكاثوليكية فى أوربا ، أو من وحى العدو القومى أو الطبقى كما كان الحال فى النظم الفاشية والشيوعية وأشباهها فى العالم الثالث ، حتى وصلت الديموقراطية الغربية إلى إقرار حق الخطأ وحماية المعارضة من التنكيل بسبب اجتهادها ، ولطالما قلنا أن الإسلام تفوّق على ذلك كله قبل ألف وخمسمائة سنة عندما لم يقر فقط حق الاجتهاد بل أثاب على الاجتهاد الخاطىء . ولكن ليس هذا حديثنا وإنما عن واقعة بينى وبين الصنداي تايمس اللندنية ، ذلك أن سلمان رشدي – وهو أفضح من أن يعرف ــ نظم حملة دعاية للطبعة الشعبية التى ستصدر لروايته « الآيات الشيطانية » وهو يعرف أنه ما من مبرر لقراءتها إلا القرار غير الموفق الذي وضع ثمنا لرأسه يفوق قيمته بكثير جداً ، مما جعل رواية سخيفة مخبولة فاشلة لم تكن باعت إلا عدة نسخ ، تتحول إلى أشهر كتاب فى القرن العشرين ! ويؤكد البعض فى لندن أن القضية من أساسها قد تكون نظمت بعلم رشدى ، وبمعاونة مواطنه كليم صديقى الذي أصبح شوكة فى حلق المسلمين هنا بعدما نقل ارتباطه من السعوديين إلى الإيرانيين ليستفز الجميع إلى مواقف لاتفيد المسلمين . المهم أن رشدي لكى يبيع روايته عاد يتحدث عن مطاردته ومعاناته ، ويطالب الحكومة البريطانية بالضغط على إيران لسحب الفتوى . وعاشت لندن أسبوعاً من الدعاية لكاتب القرن الذي سيدحض الإسلام فى الإذاعة والتليفزيون والمؤتمرات الصحفية وحفلات التكريم وكان من بينها مقابلة على عدة صفحات فى الملحق الأدبى للصنداي تايمس ٩٢/٢/١٦ استعرض تحدياته

للمسلمين وانتقاداته للإسلام . وسألته أكبر صحيفة فى بريطانيا عن رأيه فى دعوة المسلمين البريطانيين لمدارس خاصة للبنات . فرفع حاجباً ورفع الآخر أيضاً وقال : ماذا سيتعلمون هناك « **سيتعلم البنات من القرآن رجم الناس إذا ارتكبوا الزنا .وقال أن الكتاب المقدس يصف كيف يجب انتقاء الحجر .. إلخ** » ولما كانت هذه القضية موضع بحثي فى كتابى « **خواطر مسلم فى المسألة الجنسية** » فقد بادرت وأرسلت خطابا للصحيفة هذا نصه : « بما أن مستر سلمان يحاول ترشيد المسلمين وتطوير الإسلام ، فلعله من المفيد نصحه بقراءة القرآن ولو مرة . ففى مقابلته معكم يوم ١٦ فبراير قال ان البنات سيتعلمن رجم الزناة من القرآن ، رجاء أن تطلبوا من المستر رشدى ان يضيف لمعلوماته أنه يوجد كتابان مقدسان واحد لليهود .والمسيحيين واسمه التوراة أو العهد القديم ، والثانى اسمه القرآن وهو خاص بالمسلمين . ورجم الزناة موجود فى الأول ، ولكن لا ذكر لرجم الزناة فى القرآن . فإذا كان المستر رشدى يستطيع أن يدلنا على أى ذكر لرجم الزناة فى القرآن فسأحرق كتابى (**خواطر مسلم ..**) وسأشترى مليون نسخة من كتابه ، وسأكتب عشر مرات : سلمان رشدي مفكر عظيم . فإذا فشل رشدي فى أن يجد رجم الزناة في القرآن فلا أطالبه إلا أن يتعود القراءة قبل الكتابة فضلا عن التوجيه . (ملحوظة ذكر الرجم فى القرآن خمس مرات منها ٣ مرات كتهديد من الكفار ضد أنبياء ومرتين ضد المؤمنين ، ولم يذكر الرجم قط فى القرآن ضد الكفار فضلا عن الزناة) .

هذا ما أرسلته للصنداي تايمس فلم ينشروه . فبعثت لهم أسأل لعل الرسالة لم تصل فردوا علىّ يوم ٢٤ فبراير أنهم تسلموا الرسالة وأحيطوا بها علما !! استفسرت من سكرتيرة السيدة دورثى رافنسوود المشرفة على باب رسائل القراء فقالت أن هذا معناه عدم النشر ، فكتبت الرسالة التالية وأرسلتها للمحررة فى نفس اليوم :

« لا أستطيع أن أفهم هذا الموقف المنحاز والمخالف لأصول المهنة ، هل تتسع حرية الفكر عندكم لأكاذيب سلمان رشدي عن القرآن ولكنها تضيق عن تصويبنا . كيف تقبلون تضليل قرائكم بالقول بأن رجم الزناة نص عليه فى القرآن وهى أكذوبة ! ثم

ترفضون تصحيحنا لمعلوماتكم . نحن نعلم مدى تأييدكم لرشدى .. ونعلم لماذا تؤيدون ولكن ليس لحد تضليل قرائكم ورفض نشر الصواب . أنا آسف أن أقول لكم إنه إذا لم تصحح أكذوبة سلمان رشدي عن القرآن فسأرفع الأمر إلى مستويات أعلى لأننى أومن أن أحدهم فى بريطانيا يؤمن أن حرية الصحافة لا تعنى حرية التضليل» .

وفى اليوم التالى قالت لى السيدة دورثى إنها لم تقل أن رسالتى لن تنشر ولكنها مازالت تبحث الأمر مع الرؤساء !

وإلى أن تتمخض المباحثات فى لندن عن نتيجة أحببت أن أشرك القراء فى القاهرة فى حكايتى مع حرية الصحافة في لندن ! خاصة وأنا أعرف أن هذه الحقيقة أعنى أن الرجم ليس فى القرآن شكّل صدمة لبعض وعاظ الجهل النشيط عندنا ، فهبوا يثبتون أنها كانت موجودة ونسخت .. وقد أشبعت ذلك نقاشا .. المهم أنه ليس فى القرآن الذي بين أيدينا رجم الزانى والزانية وإن رشدى أثبت بذلك أنه لايقل جهلا عن الذين ارتاعوا لما قلت ذلك أول مرة منذ ثلاث سنوات !* .

---

* الأخبار ١٩٩٢/٢/٢٨ . بعد نشر هذه المقالة فى الأخبار نشرت الصنداي تايمس بضعة سطور من رسالتى !

يريدون الوحدة الوطنية فى الجنــة !!

لا التفسير عصري ولا هو من اكتشـاف العشـماوي !

المستشار المنور (**من التنوير**) لم يأت فى كتبه بفكرة واحدة غير مسبوقة ، فنصفه من كتاب على عبد الرازق ونصفه من أفكار المستشرقين المحدثين والقدماء .. ورغم أن كتاب المستشار حافل بالغرائب والعجائب من إعراب القرآن إلى الدفاع عن يهود خيبر إلا أن بعض شيوخنا لم يجد ما ينقده فيه إلا حكاية المساواة بين الأديان ، فأعطى المتربصين من تلاميذ اليهودي هنري كورييل المطرود من الحزب الشيوعى الفرنسى بتهمتى الصهيونية والعمالة للمخابرات البريطانية ، أعطاهم الفرصة ليرفعوا عقيرتهم متباكين على الوحدة الوطنية أو بالأحرى أعطاهم الفرصة ليدقوا خنجراً فى ظهر هذه الوحدة .

والحكاية هى تفسير للآية ٦٢ فى سورة البقرة : **﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾** .

وهى حكاية قديمة رويناها قبل ربع قرن فى مقال لنا عن رفاعة رافع الطهطاوي ثم أعدنا نشرها فى الطبعة الثالثة من كتابنا « **ودخلت الخيل الأزهر** » اقتبسها المستشار واقتبس سوء استخدامها أو لعله قرأها فى تخليص الأبريز نفسه الذى نقلنا عنه وعلقنا مع ذكر المصدر طبعا كما يفعل الشرفاء المتخلفون وليس الخطافة التقدميون . المهم بادر الإنسان العشماوي لاقتباس تفسير المستشرق الفرنسى وصدره للمتخلفين كأنه من اكتشافه ! والحكاية كما أوردناها حرفيا : « **وفى الكتاب (تخليص الأبريز)** حكاية لا أستطيع أن أغفلها ، وهى تكشف عظمة أمتنا وأيضاً الدور الخسيس الذي كان يلعبه المستشرقون ، إنها حكاية المرأة المصرية بنت رشيد التى تزوجها « **مينو** » قائد جيش الاحتلال الفرنسى ، وبعزة إسلامها يضطر قائد جيش الاحتلال إلى إعلان إسلامه حتى يتزوج بنت حمامى من رشيد المحتلة .. وفى فرنسا يقول رفاعة (رجع إلى النصرانية

وأبدل بالعمامة البرنيطة ومكث مع زوجته وهى على دينها مدة أيام ، فلما ولدت وأراد زوجها أن يعمد ولده على عادة النصارى لينصره أبت زوجته ذلك ، وقالت لا أنصر ولدي أصلا ..) وأصر ابن الثورة الفرنسية على تنصير ابنه ثم يحتال على المرأة ، فيستدعى لها « البارون د ساسى (فإنه هو الذي يعرف ويقرأ القرآن) وقال لها سليه عن ذلك فسألته ، فأجابها بقوله : أنه يوجد فى القرآن قوله تعالى ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا .. الآية** ﴾ ص ٤٩٣ ، ولو كان دساسى يؤمن بتفسيرهم للآية لنهى الجنرال مينو عن تنصير ابنها ولقال له : كله بونو يا خواجه .. أى كل الأديان واحد فلماذا تخلق مشكلة وأنت ابن الثورة العلمانية ! ولكنه كان مزوراً خبيثا ، وجنراله منافقا صليبى القلب ..

المهم أنه ليس صحيحاً قول الدعى ولا نقل الجاهل أن هذا « **تفسير الدكتور العشماوى لأنه ينظر نظرة عصرية حديثة للأديان .. إلخ** » فهو ـــ كما رأينا ـــ تفسير الدكتور د ساسى وليس د عشماشى ، وهو تفسير ليس حديثاً وإنما عمره مائة سنة وازدادوا تسعين وليس تسعة فحسب !

وحقاً عمياء تخفف مجنونة وتقول حواجبك سود ومقرونة !

هذه الخدعة التى غرروا بها بنت الحمامي لينصروا ابنها فى مطلع القرن التاسع عشر يريدون التغرير بها اليوم بمصر كلها لإشعال الفتنة .. ما علينا ليست هذه هى القضية وما كان لها أن تكون .

القضية أن أيتام مخابرات هونيكر الذين لم يلجأوا بعد لسفارة شيلى جعلوها قضية وحدة وطنية ، فلابد أن يؤمن المسلم أن الدين المسيحى هو دين صحيح وأن المسيحى واليهودي سيدخلان جنات عدن .. وإلا مافيش وحدة وطنية ! وهذا فن خبيث أشرنا إليه فى دراستنا بعنوان « **ألا فى الفتنة سقطوا** » وقلنا أن زراع الفتنة وخبراء تمزيق الوحدة الوطنية يتركون القضايا الحقيقية ويطرحون مطلبا لا وجود له على قائمة مطالب المواطنين ، ولا خطر ببال طائفة ، ويثيرونه كشرط من شروط الوحدة الوطنية ! وهو مطلب مستحيل بالطبع ومن ثم تتعقد الأزمة وتصبح قضية الوحـدة الوطنية أبعد منالا

وأكثر إيلاما .. وضربنا مثلا بطرح عملاء الموساد فى لبنان مطلب الزواج المدنى وفسروه بحق المسيحى أن يتزوج مسلمة ، ونشط بعضهم فى عقد هذه الزيجات وقالوا أن معارضتها دليل التعصب والطائفية ، وأنه لايمكن قبول وحدة وطنية إلا إذا تحقق زواج المسيحى من المسلمة ! وقلنا أنه فى بلد لا يستطيع أن يحقق المساواة والعلمانية أو المدنية فى الوظائف والبرلمان ، يغدو فجورا وتخريباً ، المطالبة بالعلمانية فى الفراش !

ولكن الداهية التى بلينا بها أكبر مقتا وأشد خبثا وأقبح قبحا ، فهم يشترطون تحقيق المساواة فى الآخرة كشرط للوحدة الوطنية فى هذه الدنيا ! كلنا نعلم أن المسيحى يؤمن أن المسلم كافر لن يدخل ملكوت الله لأنه لايؤمن بألوهية المسيح ولا أنه ابن الله ، وهذا حقه . والمسلم يؤمن أن المسيحى سيصلى نار جهنم لأنه يؤمن بذلك ، وهذا هو معنى وجود دينين ووجود مسلمين ومسيحيين . ولكن هذا لايمنع وحدتهم ولا تعايشهم ولايفقد المواطن أمنه فى هذه الحياة ، فليست الآخرة هى التى تحدد حقوق المواطنين ، ولا يشترط للمساواة فى هذه الدنيا أن يلغى التمييز بين الأديان أو أن تلغى الأديان كلها ولايشترط إجبار المسيحى على الاعتقاد بصحة دين المسلمين .. والعكس أيضا صحيح !

نحن لا نستطيع أن نرفض حق المسيحى فى أجازة رسمية فى أعياده الدينية ونواب التجمع لايفكرون فى التقدم بمطلب الاعتراف بهذه الأجازات حتى يتساوى المواطن القبطى مع المسلم فى التمتع بأعياده ، ولكنهم يطالبون بالمساواة فى ملكوت الله ! هم يقفزون فوق المشروع والممكن ليطرحوا المستحيل ! فبدلا من البحث عن وسيلة لزيادة مقاعد الأقباط فى البرلمان بغير التعيين ، يثيرون معركة حول حصة المسيحيين وحقهم فى مزاحمة المسلمين فى أرائك الجنة وحور عينها ! ويشترطون على شيوخ الإسلام لا أن ينادوا بالمساواة المطلقة بين المواطنين بصرف النظر عن دينهم ، وأمن كل مواطن على دينه ورزقه وحرياته .. لا .. بل يشترطون عليهم أن يعلنوا صحة العقيدة المسيحية وإلا يكونوا قد خانوا الوحدة الوطنية ! هذا فن رفيع فى تخريب الوحدة الوطنية نجانا الله من شرورهم* .

---

* الأخبار ٩٢/٣/٨ .

من أولى بغضبك يا ســيادة الوزير

غضبت كاتبة كبيرة جداً لأن مدرساً مسلماً تجرأ وقال لتلميذته المسلمة أن المسلمين وحدهم سيدخلون الجنة ! وبكت التلميذة لأنها تريد صديقاتها من المسيحيين واليهود والبهائيين معها فى الجنة ، وانفعلت الكاتبة وسمت المدرس بالسماوي وطالبت وزير التربية بأداء مهمته فى استئصال السماويين من مدارسنا والتحقيق مع المدرس . وكما أكدت حرفيا « **غضب الوزير غضباً شديداً لهذا الأمر وطالب بالتحقيق فيه ومعرفة المدرسة واسم المدرس لاتخاذ الإجراءات اللازمة** » (المصور ٧/٣) ولا يصعب استنتاج الإجراءات اللازمة فهى إما فصل المدرس وإدراجه على قوائم الأصوليين ، أو استتابته حتى يعلن أن كل الأديان مثل بعضها وأنه لا يهم الطالبة أى دين اعتنقت فكله يودي الجنة !

ولكن الله لطيف بعباده تبين أن الحكاية لا أصل لها وهى من أدب الفتنة التوجيهى الذي سن سنته فى بلادنا السفير حسين أحمد أمين(*) .

ماعلينا لقد تعرضنا لنفس القضية فى مقالنا : « **يريدون الوحدة الوطنية فى الجنة !!** » الذي نشر فى الأخبار ٩٢/٣/٨ ، ويبدو أنه لا فائدة من الجدل أو تكرار القول بأن الوحدة الوطنية لا تكون إلا بين متعددي الأديان ، وأنه لا يمكن إلا بالتعذيب انتزاع اعتراف من المسيحى بأن المسلم الذي لا يؤمن بألوهية المسيح سيكون مع

(*) عندما وقعت بعض الأحداث فى إمبابة عام ١٩٩١ نشر السفير المصرى الأستاذ حسين أحمد أمين فى صحيفة الأهالى تحقيقاً عن مذبحة شنها المسلمون ضد الأقباط بقيادة شيخ ، وبطريقة تجعل من يقرؤها يظن أنها منقولة من الجبرتى ! ولم يعترض أحد كالعادة حتى تصدينا له نحن فإذا به يعترف أنها من اختراعه ، وأن هذا النوع من الأدب الاختلاق مشروع لمقاومة الفتنة ! وتدخل عند قيادة حزب التجمع حتى منع الراحل فيليب جلاب من نشر ردنا فكان أن نشرناه فى الشعب ثم فى كتابنا (ألا فى الفتنة سقطوا) وعلى سنة السفير قام أحد تلاميذ الأرملة الطروب وأحد أعوان حرامى المصحف بتأليف هذه القصة ! والبعض لا يصدق بوجود مخطط لزرع الفتنة ! .

المسيحيين فى ملكوت الله ! ولكنهم يريدون إجبار المسلم وحده على الاعتراف بأن اليهودي والمسيحى سيدخلان الجنة . وهو ذل لم يتعرض له المسلمون ولا فى محاكم التفتيش الأسبانية !

هو زرع للفتنة بترك الممكن وإثارة المستحيل وغير المطلوب ولا أثير أبداً خلال ألف وخمسمائة سنة وهو لا يخدم إلا الفتانين والمبشرين الذين يريدون التغرير بفتياتنا واستدراجهن بحجة أنه لا فرق بين الأديان ولا يضيرها إن تهودت أو أصبحت بهائية ، وها هو البهائى يتمتع بصفحتين يهاجم فيهما المسلمين ويطالب بالتخلص من كل مظاهر الدين الإسلامى ، وينعى على الدولة أنها تنافس المتطرفين فى التمسك بالإسلام !

لا فائدة من الجدل ولكن فقط نسأل السيد الوزير ومن غضب غضبه أيهما أولى بغضبك وأيهما أخطر على الوحدة الوطنية ؟

المدرس الذي يفرق بين المصريين فى الجنة والنار أم أستاذ التاريخ الذى يعلن أن الأقباط لم يشتركوا فى الثورة العرابية التى تعلّم جيلها ، وعلّمنا نحن ، بقدر ماأتيح لنا ، أن الوحدة الوطنية تجلت فيها بتكاتف شيخ الأزهر وبطريرك الأقباط وحاخام اليهود الذين وقعوا بيانها . وكان البعض يتطرف فى حب الثورة العرابية فيشيد بأنها لم تشر لدين الدولة فى برنامج الحزب الوطنى . ولكن ها هو أستاذ جامعى لمادة التاريخ يجعلها ثورة دينية طائفية ويبذل الجهد لإثبات عدم اشتراك الأقباط فيها وإن وثائق التأييد انتزعها عرابى ! نعم بهذا اللفظ وكأنه المتحدث باسم الأسطول البريطانى .

أستاذ التاريخ أشاد بتعاون الأقباط المزعوم مع الاحتلال الفرنسى وفى نفس الوقت يعلن أن الأقباط لم يشتركوا فى الثورة العرابية ولا مقاومة الاحتلال البريطانى ! والسبب هو إسلامية الثورة والمسئول عن هذه الجريمة جمال الأفغانى وتلاميذه « بكل بصماته التى خلفها على الفكر السياسى المصرى والتى أضفت على الثورة العرابية بعض صبغتها مما لايفسح للأقباط مكاناً فيها وقد استتبع هذه الصبغة أن نظر قادة الثورة للتدخل الأوربى الذى هبوا لمواجهته باعتباره عدوانا على دينهم كما أنه عدوان على وطنهم مما زادهم شكا فى العناصر غير الإسلامية ومما زاد الأقباط نأيا عن مجريات الثورة » .

وإذا كانت تهمة وجريمة خلقية أن يعتبر المسلمون التدخل الأجنبى عدوانا على دينهم !! فقد شهدت أيضاً أنهم اعتبروه عدواناً على وطنهم فكيف نفيت عن الأقباط حسهم الوطنى*، لماذا لم يشاركوا المسلمين إحساسهم بالعدوان على وطنهم، لماذا قبل المسلمون أن يحاربوا الخديو الحاكم المسلم بل والسلطان خليفة المسلمين وتزعم أن الأقباط رفضوا إلا القتال تحت راية المحتل الفرنسى وسكتوا والبريطانى يحتل وطنهم لأن المدافعين عن هذا الوطن مسلمون .. ألست تنفى بهذا الوطنية عن الأقباط ؟

هل يعقل أن يدرس للطلبة أن الأقباط رفضوا القتال ضد المسيحيين الإنجليز وتعاونوا مع المحتل الفرنسى ؟

بل إن أستاذ التاريخ يزوِّر وقائع التاريخ فيعلم تلاميذه الآتى : « صحيح أن بطريرك الأقباط وعددا من وجهائهم قد وقعوا على قرارات المجالس العرفية التى انتزعها عرابى وقيادة الثورة لتدعمه فى مواجهة الخديو والتحركات الأوربية إلا أن الجميع تنصلوا بعد ذلك من مسئوليتهم عن هذا التوقيع بحجة أنهم كانوا مرغمين عليه »[1].

انتزعت بالإكراه !!

ودليله أنهم تنصلوا منها بعد سقوط مصر وخضوعها للجيش الغازي وبدء التنكيل بكل من أيد مقاومة الغزو البريطانى ! حتى الشيخ الإمام سب الثورة العرابية وتنكر لها فماذا لو فعل ذلك بعض الأقباط ؟! هل هناك واقعة واحدة عن اضطهاد أو فتنة ضد الأقباط ؟!

حتى الحادث الذى دبرته المخابرات البريطانية الفاجرة لم تجد قبطيا واحداً تستخدمه فى الفتنة ولا مصريا على قدر من الثقافة يستجيب لاستفزازها فوقع بين حمار وصعلوك مالطي .

---

* وهذا جهل وتزوير لأن الغزو البروتستنتى البريطاني كان أكبر عدوان على كنيسة الأقباط ودينهم .

(١) « حرفياً من كتاب : الطائفية إلى أين » ..

وليس تاريخنا الوطني والحمد لله يقوم على أدلة النفى وحدها بل وهذه واقعة تثبت كذب الأستاذ الدكتور أنقلها عن وليم سليمان عن تادرس شنودة المنقبادي وهى بألفاظ الكاتب المسيحى : « كان عرابى حامى الديار مارا ذات يوم فى خط النار بجهة كفر الدوار فاستوقف نظره شيخ هرم قد حنت الأيام ظهره فاستدعاه وقال له ياأبت أنا أرى شيبك لا يسمح بوجودك بين صفوف المقاتلين فلك أن تستريح كما تشاء . فقال الرجل : كيف تحرمنى من أن أجود بدمى فدية عن بلادي من المغيرين عليها وأنا ولو أن أولادى الثلاثة هنا فى الجيش إلا أننى أود أن أشترك معهم . فقبله عرابى وسأل عن اسمه فقال جرجس بقطر من أهالى ملوي مركز المنيا » .

هل تريد اسم الدكتور ياسيادة الوزير إنه للأسف الدكتور يونان لبيب رزق أستاذ التاريخ الحديث جامعة عين شمس . (وعضو وفد مصر فى محادثات السلام !)

كلنا ننتظر غضبتك ولا نصدق مزاعم نفس الدكتور أنك اخترت لمنصبك « كدلالة خاصة على اتجاه الحكومة لمواجهة أصحاب هذا التيار (**التديين**) فى المدارس بحكم ما هو معروف عن الرجل من ماض تاريخى يؤكد كونه أحد أهم المؤمنين بدور الدولة المدنية » (أهرام ٢٤ /٦/٩٢)

نحن لا نصدق هذا .. لانصدق أن رئيسنا يختار وزيراً لمحاربة التدين أو الدين فى المدارس ، ونعتقد أنها محاولة شديدة السذاجة لتلبيس الدولة أهدافهم الخاصة ، وننتظر ردك ياسيادة الوزير على سؤالنا : من أحقُّ بالغضب والإبعاد من التدريس ؟ أيهما أخطر على الوحدة الوطنية ؟

إن كانت هى غايتنا !" *

---

* الأخبار ١٤/٧/٩٢ .

سب الدين .. تاكل ملبن ..

أو مسافة في شرف رجل !

بعد النوبارية والعبارة* جاء علاء حامد .. شخص باعتراف المدافعين عنه لا يجيد الكتابة ، لا يقرؤه أحد ، يطبع كتبه على حسابه ، وكتابه الذي جلب له السعد باع فى سنتين أقل من مائة نسخة ! ولكنه أخيراً اكتشف الطريق للمجد والشهرة والفلوس وأكل الملبن .. بسب الدين على طريقة سلمان رشدي ، فأصبح على الفور من رواد عصر التنوير والتزوير ، شهداء حرية الفكر وانعدام الضمير ، وقبض عشرة آلاف دولار من الأمريكان حماة الذمار ، وربما ينال الكارت الأخضر ويصبح مواطناً أمريكيا .. أليس هذا أفضل من عناء الثانوية العامة والكدح لدرس الأدب والتاريخ وشقاء معرفة النحو وأخوات كان وجواب الشرط ؟ تكفى أدوات النصب والعله وتصبح أشهر من محفوظ وابن بله .

لو حاولت أن تنتقد السد العالى لطالبوا منع الكتاب حماية لسمعة الزعيم الخالد ، حتى صلاح نصر من يتعرض لسيرته العطرة ينكل به حتى لو كان من مصدر « لصيق » الصلة !

أما إذا اقتصرت على سب الإسلام والنبى بالذات فقد جمعت المجد من أطرافه وأصبحت صاحب قضية وانبرت الجوقة إياها تستنكر وتشجب وتعارض .. وحذار أن تصدق أنها غضبة لحرية الفكر ومصادرة الكلمة ، فتغامر بالكتابة فى غير المطلوب ، فيقع المعطوب ، وما ينبئك مثل خبير ، فقد حكم عليَّ واثنين من أولادي بالسجن فى

---

* النوبارية إشارة للجسر الذى انهار وأغرق بعض المناطق فى الاسكندرية .والعبَّارة هى المركب التى غرقت فى البحر الأحمر كناية عن الكوارث .

قضية نشر ــ كما كنت أظن ــ ولم يغضب قلم بل لم تنشر جريدة واحدة الخبر ولا أذاعه راديو لندن قبل أخبار جرباتشوف ولا بعد طوف وشوف ..

وقد عرفت بعد ذلك وباستقراء التاريخ أن غضبتهم لحرية الفكر تشمل من يسب دين المسلمين فقط ، وأن الذين شنقوا وحكم عليهم بالسجن فى عهد الزعيم الخالد من الكتاب والقضاة والمستشارين لم يكونوا ضحايا جرائم فكر ولا نشر بل على الأغلب أدينوا فى قضايا تسعيرة ، وإلا لما فات حماة الحرية الغضبة لهم بل على العكس قال قائلهم مرة وهو يؤرخ « **وأعدم عدد لابأس به من زعماء الإخوان** » أى والله هكذا يتحدثون عن مخالفى اتجاههم أما إذا سب علاء حامد النبي فهى قضية حرية فكر يشهد على ذلك الدكتور فرج والدكتورة نوال وكفى بنا داء أو كما يقول المثل حداية ضمنت الغراب .

ودعاة حرية سب الأنبياء مازالوا يسجلون بين أشنع جرائم السادات أنه أخرج الإسلاميين من السجن ، وتأمل استغاثتهم المسعورة اليوم بأي جنرال جزائري أو مغاربى أو أمريكى أو فرنسى ليسحق إرادة الشعب الجزائرى لمجرد أنه اختار الإسلام ، تعلم أنهم آخر من يحق له الحديث عن الديموقراطية .

أما نحن فنؤمن حقاً بالحرية ونرفض محاكمة الفكر كل الفكر ، لا نستثنى ولا نختص .. وكما قال الأستاذ عبد الوارث الدسوقى أن الحكم صدر بموجب قانون الطوارىء وليس بموجب الشريعة . وكل الناس يعرفون من الذي يعارض قانون الطوارىء ، ومن الذين لايتذكرونه إلا إذا أصاب أحدا من شيعتهم .

يا للهول عندما يدافع وزير إعلام صلاح نصر وعبد الناصر عن حرية الفكر .. ياللدعارة الفكرية كما قال نجيب محفوظ مرة ! ورغم أن أحد كتبى التى صادرتها النيابة أفرج عنه القضاء بناء على شهادة مجمع البحوث الإسلامية ، وأن هذا المجمع يتمتع بحرية فكر وسعة أفق مفتقدة فى حماة الحرية هؤلاء ، ومع ذلك فأنا أعارض إخضاع الفكر لأية رقابة أو مراجعة ، ونرفض تماماً الحكم بالسجن على ناشر أو كاتب ، ولكن القضية هى كيف نمنع الاسترزاق بسب الدين .. فمنذ اشتهار سلمان رشدي تجرى محاولات مجنونة للتشبه به والسير على دربه .. والأكل على مائدة أعداء الإسلام .

نعم يجب ألا يصدق الحاكم العسكرى على الحكم .. بل ويجب ألا يمثل كتاب مهما كان ولا كاتب حتى لو كان علاء حامد أمام القضاء العسكرى .. ولكن يجب منع هذا الذى اتفق الجميع على خلوه من المعرفة والموهبة من الاستفادة من جريمته .. ففى الغرب يمنعون المجرم من نشر كتاب أو فيلم عن جريمته يتكسب به . فكيف نمنع الاسترزاق بسب الدين أو السير عاريا فى الطريق .. كيف يمكن تطبيق قوانين الصور العارية على الفكر الداعر دون أن نقيد حرية الفكر الحقيقى .. هذه هى القضية التى تطلب حلاً* ..

* الأخبار ١٩٩٢/١/١٠ م .

الرقص فوق الكعبة .. !

واحد اسمه منصور محمد وهو غير الشارع الشهير فى الزمالك ، فصاحبنا لم يك شيئا مذكوراً قبل شهر واحد ثم دخل التاريخ وأصبح مشهوراً ، وكان فى تراثنا أن من أرادوا تجريصه لفعل فاضح ارتكبه يقال عنه : أركبوه مشهوراً .. وسر شهرة الأستاذ منصور محمد أنه رقص فوق الكعبة أقدس مقدسات المسلمين ، وهزأ من الحجاج ثم أخرج من جوف الكعبة راقصة رقصت فوقها وانقلب الحج إلى حفلة رقص ثم انقلبت الكعبة فى لفتة ثورية إلى برميل نفط ! ولا أقول كما قالت الأستاذة صافيناز كاظم أنه تبول فى حلق المثقفين ، فحلقنا والحمد لله لم يبق فيه مكان لمنصور محمد سبقه إليها عكاشة وأبو باشه . ومنذ أن قدم هذا العرض وجحظت عيون المثقفين كما قال مقال المصور .. ووزارة الثقافة تطلق العشرات من بارد العذر التى تدور حول أن هذا الشيء منصور محمد قد غافلها ودس البرنامج على حين غرة منها ، أو لعله شمم المسئولين حاجة صفرا وربما سقاهم أيضا حاجة حمرا وفعل فعلته .. ومن هنا كان قلقنا ، ليس غضبة للكعبة والحج والتراث والتاريخ ، لا والله للبيت رب يحميه ونحن اختصاصنا الإبل .. ولابد من توفير مناخ الحرية للعيال لكى يلغوصوا فى ديننا وتاريخنا وإلا عادت عصور الظلام وانتفت حرية التجريب وتعذر على إسرائيل أن تبنى هيكلها وتنفيذ نصوص التوراة ، وبما أن ذلك كله مقرر فاتركوها فهى مأمورة ..

وأعترف أننى أضعت عمري مع الرجعية والتخلف وآن أن أواكب مسيرة التقدم والتحرر ، التى هى فى سب الدين فمن سب الدين فهو تحرري طليعى تقدمى .

ويمكن القول أننى تعلمت الدرس على كبر ولذلك أنا أطالب بإعادة العرض على الأوبرا وعلى المسرح التجريبى والمسرح التجريصى وإهداء المنتج الشاب جائزة الدولة العبرية التقديرية والتجريبية والتخريبية . أما وجه اعتراضى ومطالبتى بإقصاء المسئولين

فينبع من سبب مختلف تماماً عما أثار الساخطين والساخطات ، وينبثق من عذر هؤلاء المسئولين بأن المنصور محمد أدخل عليهم الغفلة .. لو صح ذلك فهذه هى المصيبة حقاً ، فهذه المرة قدر ولطف وانحصرت الإصابة فى الكعبة والحج ، بقايا الميتافزيق والتخلف .. أو إبل من لا كلاب له . ولكن ماذا يحدث ، لاقدر الله ولا كان ، لو استغفلهم مخرج آخر ، فخرج عن النص وأظهر على خشبة المسرح سيدة بحجاب ، تقول لبيك اللهم لبيك ..

ماذا يحدث ..

هل نتحمل نتائج ذلك فى الظروف العصيبة التى نمر بها ونحن على أبواب المنعطف التاريخى لتحقيق ترقيص الكعبة وليس فقط الرقص فوقها ؟! أليست الوقاية خيرا من العلاج .. من هنا كان لابد من استقالة المسئولين فى وزارة الثقافة .. اليابانية !* .

---

* الأخبار ٩/٩/١٩٩١ م .

وقد وجدت فى أوراق هذا التعليق بعنوان :

يفتقدون حتى لشرف الكافرين !

المخرج الذى استغفل المسئولين فى وزارة الثقافة ليهزأ بإحدى فرائض الإسلام الخمس وكعبة المسلمين ، يدافع عن نفسه فيتبين أنه كما توقعنا يفتقر للثقافة والعلم والفن معا فهو فى إحدى الصحف يحتج لأنه « مسموح لى داخل مصر بمهاجمة الأوضاع التى لاتعجبنى بينما داخل مصر أيضاً فغير مسموح لى بنقد الحكومات العربية » !!

هل يعقل أنه وصل إلى الأوربرا وتمثيل مصر بينما معلوماته أن الحج برنامج خليجى ، وأن الكعبة من منشآت حكومة خليجية ، وأنه عندما يسخر من الحج ويهزأ بالكعبة فهو يهاجم حكومات الخليج والنفط ! ولذلك هو يصنف الذين غضبوا من برنامجه إلى ثلاث فئات أولها حكومات الخليج ؟! .

أنا شخصيا أصدقه فهذا الزمن الردىء جدا الذى نعيشه وصنعناه أو صنع لنا لكى يعلو بنو إسرائيل علوا كبيرا ، هذا الزمن الناس فيه سواسية لايتميزون إلا بجهلهم فمن تفوق فى الجهل كان أسرعهم وصولا وأشدهم تألقا ، وأكثرهم فجورا ، حتى نصل إلى اليوم الموعود فتنطق الدابة وتنتج فنا تجريبيا .. ويحق عليها القول .

والغريب أنه يتهم البعض من ناقديه بأنهم يعتقدون أن « السعودية هى الإسلام ، والإسلام هو السعودية » رحم الله بغى السلف الصالح رمت بدائها وانسلت ، أما تحفة التجريب ، فرمت بدائها ونشرت ! .

فى كلمته الأولى أقر بفعلته وافتخر بها وإن كشف عن جهله كما وشى برؤوس الإفك فقال إنهم شاهدوا اللعبة وأقروها وماكان مغزاها بالذى يغيب عنهم أو كما قال « من المؤكد أن المعنى وصل لهم فلماذا هاجموا العرض بعد الانفتاح » .

ثم استمرت اللعبة ، فإذا به يصدر بياناً نافق فيه رؤساءه وقرر أن يشيل الجناية كما يقول أصحاب السوابق وصبيان معلمى المخدرات .. وكان يمكن أن تذكر له هذه الشجاعة لولا أنه انهار واعتذر وتبرأ من القصد وأشهر إسلامه عقيدة وهوية . وامرأة جحا طالق إن كان يعرف الفرق بين العقيدة والهوية ، ولكنه خطف القول .. و « إننى لم أكن ـــ أكرر ـــ (هو الذى يكرر) لم أكن أقصد على الإطلاق أى تشويه أو سخرية من مقدساتنا الإسلامية وأحد رموزها الكعبة المشرفة » .

قولوا لبتوع حرية الفن وحق الإبداع وحرية الرأى خدوا عزاكم فى كمكم .. هؤلاء لايتمتعون حتى بشرف الكفار ، هم إذا امتطوا السلطة فجروا وعاثوا فسادا وصالوا وجالوا .. أما إذا لاح احتمال واحد فى المليون أن هناك من يتصدى لهم تراجعوا ولحسوا قيئهم ، هم كما وصف الرحمن فأوجز إن تحمل عليه يلهث وإن تحمل عنه يلهث .

بقيت كلمة صغيرة لمن يعنيه مصير مصر .. أسمعتم كلمة مفتى ألبانيا ومافى قلبه من حب وتقدير لدور مصر الإسلامية ، أنبيع مكانة مصر الإسلامية مقابل حق هذا المنافق فى العبث .. لمصلحة من تجرد مصر من كل مقوماتها وأسس مكانتها ؟!

مـال النفـط لليسـاريين !

كان من حقى أن أفرح وأنا أرى هداية الدولار لمن أضلهم الحوار تنتشر وتمتد وتكسب للإسلاميين دكتورا مشهوراً فى عداوته لهم ، فيلسوفا فى نقد فكرهم ، عنيفا فى اتهامهم بالعمالة للنفط والقبض من النفط ، وإذا هو يسعى للنفط يطلب خمسين ألف دولار ، ويقبضها شاكراً مبتسما بل ويأخذ مثلها لأخيه الذى أشركه فى أمره ..

كان من حقى أن أسجد لله شكراً أن هدى الدكتور لنور النفط الذي طالما عير به الإسلاميين كذبا وبهتانا .. ورغم ذلك ففرحتى لم تتم بسبب الإهانة التى لحقت به . فهو مهما يكن ابن بلدى وأنا لا أطيق أن يُهان مثقف مصرى مهما كانت مواقفه وافتراءاته .

والحكاية أن مواطناً نفطياً اسمه سلطان العويس سمع عن جائزة نوبل فسأل من هذا النوبل أهو تحريف لشركة موبل التى تستخرج النفط من بلده ؟ ولماذا تأخذ النفط من الخليج وتجعل الجائزة فى السويد ؟! فعرفوه أنه كان ثرياً أراد أن يخلد اسمه فوضع هذه الجائزة وشد معاه السوق فاشتهر .. وقالوا أن السوق متقلب والتجارة شطارة وكلنا ولاد تسعة واللى معاه القرش ابنه يزمر ، ونوبل كان تاجر مفرقعات وأنت تاجر محروقات فما المانع ..؟!

وقرر الأخ عويس أن تكون له جائزة تنسى الناس جائزة نوبل واختار لها لجنة من مشاهير المفكرين على النطاق العربى وقيل العالمى من أمثال إبراهيم غلوم وجابر عصفور وخلدون النقيب وعلوى الهاشمى وعبد الغفار حسين وعبد الحميد أحمد ونصار جبران وعبد الإله عبد القادر وناصر حسين العبودى ومعهم بالطبع صاحبنا الذى له فى كل عرس قرص رجاء النقاش . ووفقا لنظرية أن الإسلام ينتشر بأموال النفط فقد اختص بالجائزة المفكرين والكتاب « الإسلاميين » ولن نعددهم سنترك ذلك لخصومهم .

وقد نال جائزة القصة والمسرح هذا العام الأستاذ ألفريد فرج يقاسمه فيها عبد الرحمن منيف[1] ونالها العام الماضى حنا مينا وعبد الله ونوس .. وألفريد يستحق جائزة نوبل بجدارة ولو على دفاعه عن الشهيد سليمان الحلبى .. أما عن الآخرين الفائزين هذا العام فنال جائزة الإنجاز الثقافى مائة ألف دولار الشاعر العراقى مهدي الجواهرى الذى جاوز التسعين والذى حفظنا أشعاره فى شبابنا والذى لم يرحم المثقفون فى دولة الإمارات شيخوخته بل سخروا منه عندما رأوه يتسلم المائة ألف دولار وهو كما وصفه محرر الحياة « فكان يبكى وأعرب مرات عن امتنانه واعتبر هذا اليوم أسعد أيام حياته وكتب قصيدة فى سلطان العويس وأصحابه الغرر ووصف سلطان بأنه القمر الصاعد من شطآن الخليج » .

ولكن فرحة الشاعر لم تدم فقد تقدم خبيث فى لحظة تسلم الشاعر إذن الصرف أقصد براءة الجائزة فهتف به : « تقبل لعنت خسيس الدولار .. » معرضا ببيت الشاعر الشهير : تقحم لعنت أزيز الرصاص ..

ولكن المفاجآت لم تنته هنا فقد منحت الجائزة لكاتبين « إسلاميين » مصريين ممن يروجون فكر النفط .. إلخ هل خمنت الأسماء ؟

غلط ..

إنهما الدكتور زكى نجيب محمود والدكتور فؤاد زكريا نالا جائزة الدراسات السلفية والأصولية وفقه ابن تيمية .. غلط غلط .. ماكان السلطان عويس ليعطى جائزة فى هذا الفكر المتخلف ، وإلا صار نفطه غورا فما استطاع ولا استطاعوا له طلباً وإنما الجائزة كانت عن الدراسات « الإنسانية والمستقبلية » عقبال البهائى إياه ..

---

(١) وهو كاتب شيوعى سعودي يؤلف ضد المملكة والنفط وإذا قرأته تظنه كاتباً مسيحياً فهو لا يستشهد بآية واحدة فى رواياته الخرس وحدهم يستشهدون بالقرآن أما هو فيستشهد بالإنجيل ! وليس لديه أية خلفية إسلامية. وليس اللغز في أن ينال هذا جائزة نفطى خليجى ، بل فى أن أبو ظبى لم تهتم بمشاعر السعودية وهى تحتفل بكاتب كل كتاباته ضد النظام السعودي بينما منعت المملكة أهم كتاب عن تاريخها مجاملة لدولة خليجية نقد الكتاب تاريخها قبل مائة سنة !

مائة ألف دولار مناصفة بينهما .. وقد اعتذر الدكتور زكى نجيب محمود شفاه الله عن تسلم الجائزة لا استكبارا ولا استنكاراً فشروط العويس لا ترحم ولا تترك مجالا لكى يقول أحدهم أنه منح الجائزة وما أردت ولا سعيت ! بل « كل مرشح يجب أن يوقع مقدماً على طلب ترشيحه لكى لا يرفضها ولابد أن يقدم مؤلفاته » لكى يقومها أو يثمنها العويس . وقال مراسل الصحيفة أن الحاضرين ظنوا أن الدكتور العلمانى الليبرالى سيرفض جائزة النفط « ولكنه ما لبث أن تلفع بالوشاح وحمل البراءة مبتسما للكاميرات التليفزيونية والفوتوغرافية » . (الحياة ١٩ /١٩٩٢/٣) .

ولكن الإهانة التى لحقت بمفكرنا العلمانى الكبير وتحملها بصبر وجلد بخمسين ألف مما تعدون ، هو أن بعض الخبثاء من المتطرفين زرع طريق الدكتور إلى المطار بلافتات تحمل عبارة واحدة من كلمات الدكتور هى حرفيا :

« إن الانتشار الواسع للاتجاهات الإسلامية بشكلها الراهن إنما هو مظهر صارخ من مظاهر نقص الوعى لدى الجماهير ولايمكن أن يكون علامة صحة وإنما هو حالة شاذة طارئة لم تعرفها مصر .. إلا فى العهد الذى فتح الباب لتسرب الفكر المتخلف الوافد من مجتمعات بترولية ، تستخدم الدين أداة للحفاظ على مصالحها فى الداخل ونشر أيديولوجيتها الهابطة فى الخارج » .

ويقول مراسلنا ــ الذى لم يحضر ــ أن مرافق الدكتور العلمانى لفت نظره للافتات وما عليها فقال الدكتور : شايف .. شايف .. اجرى بينا ليخدوا الشيك أصله أمانة نصه للفيلسوف الكبير .

وقال المرافق صدق من قال : لاتبصق فى البئر فقد تضطر للشرب منه .. شربنا يادكتور من بئر النفط .

تمتم الدكتور : النفط كويس صحى يمشى المعدة .. إنت عندك إمساك ؟!

ولكن المرافق عاد يغمز : وماذا عن فكرهم الهابط ؟

فقال الدكتور بعد أن شد حزام المقعد : نعم فكرهم هابط ولكن الدولار صاعد .. بكام النهاردة ! نحول هنا واللا فى مصر .. هى الجايزة عليها ضرايب ..

وفتح المرافق فمه فتابع الدكتور : الله « بتاعهم » قال خذ من أموالهم صدقة تزكيهم وتطهرهم .. آه لو كانوا يخلونا نطهرهم مرة كل سنة دا حتى الطهارة سنة .. واتسع فم المرافق حتى أصبح كالبلاعة فقال الدكتور : ثم إن الإمارات ليست مجتمعاً نفطياً لقد سمعت أنهم يصدرون البلح ! فهو مجتمع بلحى .

وإذا بمرافقه الفاجر يغنى للدكتور : يا بلحة يا مقمعة شرفتى عمامك الأربعة !

وفشل مراسلنا فى معرفة أسماء اثنين من هؤلاء الأعمام فاكتفى بالعم عويس والعم سام .

ومتابعة لأخبار المهتدين بالدولار بعد فشل الحوار اقرأوا هذا :

« وهكذا وصلنا إلى القرن الحادى والعشرين قبل موعده بثمانى سنوات كاملة . الدكتورة سعاد الصباح تمكنت من استحضار الفجر لنا قبل أن يهل على الدنيا .. » .

ياهنـانا .. !!

أين كتب هـذا الكلام ؟

على غلاف مجلة اليسار ! نعم اسمها « اليسار » وهى تضم جهبذة الكتاب الماركسيين واليساريين .. وليت الأمر اقتصر على ذلك .. إستنى فى هناء أكثر .. أنهت مجلة العمال والفلاحين والبؤساء صناع الحياة سابقاً أيام الموسكوف والراجل اللى كان اسمه الشيخ لنون أو الرفيق لنين .. حد فاكر .. أنهت مجلة اليسار مقالها عن دخولنا القرن قبل موعده بفضل الشيخة قالت : « هل يمكن أن ننسى أن الأثرياء المتحضرين هم الذين حملوا مشعل الحضارة فى عصر النهضة الأول ؟ » .

احنا مانسيناش أنتم الذين تذكرتم الآن .

ألف رحمة على الطبقة العاملة ! من ثلاثين سنة ونحن نقول أنهم لا يمين ولا يسار بل برادع الاستعمار ، وهاهم بعد أن أفلس الروبل يسبحون بالدور الحضارى للدينار !

فقط كفوا عن ترديد فرية أموال النفط فهى لا تصب إلا فى جيوبكم ![*]

---

* الشعب ٩٢/٣/٢٤ .

الحزب الشيوعى ضد التصدير

جاءت اليابان فى المرتبة الأولى بين ٢٢ دولة صناعية هى الدول الأصلح للبقاء أو الأقدر على المنافسة الاقتصادية ، بينما تراجعت الولايات المتحدة من الثانية إلى الخامسة واحتلت ألمانيا المرتبة الثانية ، رغم أعباء الوحدة وما تفرضه عملية تحضير شقها المتخلف . أو ماكان يعرف بألمانيا الشرقية التى كادت أن تصبح من دول العالم الثالث بفضل النظام الاشتراكى .

واحتلت المرتبة الـ ١٣ بريطانيا التى كانت عظمى قبل ظهور الجماهيرية الليبية التى انتزعت منها اللقب ..

وهذا التفاوت أو التقدم والتخلف يرجع إلى عدة عوامل أهمها ــ كما جاء فى التقرير ــ هو التعليم فبينما يعلن التقرير أن نظام التعليم فى اليابان هو الأفضل عالميا ، قرر أيضاً تدهور التعليم فى أمريكا وبريطانيا . فالتعليم فى بريطانيا هو الأسوأ فى جميع الدول المتقدمة ، وأن الشباب فى بريطانيا هم الأقل إقبالا على التعليم ويفضلون « المهيصة » ، ولا يقتصر ذلك على التلامذة ، فمن ناحية مهارة العامل تأتى بريطانيا فى المرتبة ٢١ والشركات البريطانية تجرى وراء الربح السريع ولا تفكر فى المشروعات الطويلة الأجل التى تحقق تطوير الصناعة . كما لاحظ التقرير تضخم قطاع الخدمات فى بريطانيا على حساب قطاع الإنتاج على نحو لا يفوقه إلا الوضع فى تركيا .

أما الولايات المتحدة التى هبطت من الثانية إلى الخامسة فالسبب الرئيسى هو تدهور مستوى الفرد العلمى والفنى والإنتاجى وكذلك انهيار الثقة فى المؤسسات .

وهبوط مستوى التعليم هو القضية الرئيسية فى الانتخابات الأمريكية حيث يطالب الرئيس بوش بالتوسع فى التعليم الخاص بعد أن انهار التعليم المجانى الذى توفره الحكومة ،

وتحولت المدارس الثانوية الأمريكية إلى منتجعات لممارسة الجنس وتعاطى المخدرات حتى أن نسبة كبيرة من خريجيها يعدون بين الأميين ، وفى بريطانيا تتقدم الحكومة ببرنامج لإعادة الانضباط فى المدارس والعودة لليوم الدراسى الكامل والاهتمام باللغة والرياضيات كما كان الحال أيام الإمبراطورية وقبل إفساد اليساريين للتعليم وتدهور بريطانيا .

والدراسة تدور أساساً حول القدرة على المزاحمة فى الأسواق العالمية أو انتزاع حصة أكبر فى مجال التصدير لأن الدولة التى تصدر أكثر هى التى تربح أكثر وتوفر مستوى معيشة أفضل لمواطنيها .

ولكن عندنا المفهوم بالعكس فقد أصدر الحزب الشيوعى المصرى بياناً يعارض فيه مشروع قانون العلاقة بين الملاك والمستأجرين فكان أهم اتهام وجهه للقانون قوله أنه « سيجعل المزارعين يتوجهون لإنتاج محاصيل التصدير » مما يضر بالبلاد والعباد !

قضية العالم كله هى التصدير وثراء وتقدم الدولة يقاس بقدرتها على الإنتاج للتصدير واليسار عندنا يحذر من الاتجاه للتصدير ، والتعليم حاله كما تعلمون !

وتسألين عن مرضى .. صحتى هى العجب .

• مصر الفتاة ٢٩/٦/٩٢ .

حرامية المصحف !

عندما حرمت أمريكا الخمر ، نشطت المافيا لإنتاجها وتوزيعها وحققت من التجارة الممنوعة أرباحاً هائلة واكتشف الأمريكان أن المستفيد الوحيد هم عصابات المافيا وأن الخمر لا تحرم بالقانون الوضعى وحده بل لابد من وازع خلقى أو دينى ..

المهم ارتفعت الأصوات تطالب بإباحة الخمر . ولدهشة الناس وجدوا أشد المعارضين هم المافيا والمتاجرون بالخمر الممنوعة ، وكانت الدهشة أعظم عندما وجدوا هؤلاء المهربين الذين يتكسبون من بيع الخمر يتباكون على صحة الشعب الأمريكى والخطر الذى تشكله الخمر على الأخلاق والأرواح !!

مناسبة هذا الحديث ما أعلن عن ضبط المدير بهيئة الكتاب الفاسى الذى قام بنشر الحديد وتحطيم الزجاج وسرق ١٣ مصحفا أثريا من عام ١٠٩٠ هـ أى ما يزيد عن ثلاثة قرون وكتاب صفات العاشقين كما سرق نسخة من كتاب كليلة ودمنة بالفارسية (لا يمكن الثقة فى تعريف صحفنا عنها فلا أحد يعرف كليلة ودمنه ولا أحد يعرف ماهو الكتاب بالضبط فقد قيل إنها النسخة الأصلية وقيل إنها النسخة الوحيدة بالفارسية وكله تهجيص يتناسب مع ثقافة المشرفين على ثقافتنا) المهم أنه كتاب ثمين بدليل أن الأمريكان يريدونه وعرضوا ثمناً يغرى المدير الحاصل على جائزة الدولة التشجيعية بالتصرف كأى لص سوابق بل حتى تاريخ المصاحف قالوا فى العنوان أنها من القرن العاشر وقالوا فى التفاصيل أنها مكتوبة خلال أعوام ١١٧١ إلى عام ١٠٩٠ والمفروض يكون بالعكس ما علينا هذه التواريخ ليست فى القرن العاشر بل الثانى عشر والحادى عشر علموهم العد !

وليت الصحف عرفتنا موضوع الجائزة التى نالها ، وإن كان حصوله على الجائزة لا ينفى شبهة ولا يثبت صفة فنحن نعرف كيف تمنح الجوائز وقد روى أحد الكتاب أن عضوا فى لجان هذه الجوائز أقسم له أن أحدهم جاء إلى بيته وباس جزمة الست لكى

يعطيه صوته ، وقد كان ونال الجائزة ولو كنا نقول الصدق لقلنا جائزة الست !

أغلب الظن أن المدير الحرامى نال جائزة الدولة فى جيمس بوند أو بطولة العالم فى الأثقال فهو يقترب من الخمسين ، ومع ذلك تمكن بمفرده من نشر الحديد وتحطيم الزجاج وتخدير جميع العاملين والحرس والبوابين والخروج بأكياس نايلون بها المسروقات التى تساوى كما قيل ١٢ مليون جنيه ، وتوجه بها إلى شقيقته فى الدقى ثم إلى صديق بحلوان وتبين أنه سبق أن سرق ٣ مصاحف من ٨ سنوات وباعها لمستشرقين أمريكان ولم يثبتها فى الإخطار الضريبى ولم يهتم أحد لا بالبحث عنها ولا بتغير نظام حراسة هذه المخطوطات .

وفى اعتقادى أنه لا جديد فى الخبر على الإطلاق إلا أنه قبض عليه ! فالعالم كله يعرف ويصرح أن مخطوطات ومقتنيات دار الكتب قد سرقت وبيعت واقتسمت قسمة الغرماء وجميع الجهات العلمية والأثرية المهتمة بآثار مصر تتحدث علنا عن أكبر عملية سرقة وتهريب وبيع لآثار مصر فى جميع عواصم العالم الغنى ، وكل الناس إلا فى مصر يعلمون أن لوحة الخشخاش سرقت وبيعت بعشرات الملايين ثم تبين أن الذى سرقها فاعل خير أخذها وباسها وحطها جنب الحيط فأعيدت إلى مكانها فى المتحف ولن يسرقها أحد مرة أخرى ، لأن صياع العالم يعرفون أنها لوحة مزيفة وضعت لإسكات الأطفال فى مصر ، مثل « البو » الذى يعمله الفلاحون من جلد العجل الذى ذبحوه وأكلوه ويحشون جلده تبنا لكى يغرروا بالبقرة أمه فيستمرون فى حلبها ! ويتهامس الناس أن قرار إرسال جميع لِوَح متحف محمود خليل لباريس هو لبيعها هناك وإعادة لِوَح مقلدة عشرة بقرش ..

وعندما طالبنا قبل عامين ببيع لِوَح محمود خليل وما تبقى فى دار الكتب هبت المافيا تصرخ : أنقذوا تراث مصر ، لا نبيع تراث مصر !! وقتها قلنا أنهم يقاومون بيع الدولة العلنى لكى يستمروا هم فى سرقة هذا التراث وبيعه لحسابهم الخاص وبثمن بخس فقد قال اللص الذى ضبط أنه يبيع أبو خمستاشر بأربعة وانهبونى يا زباين ماليش معلم يحاسبنى أو بالأحرى المعلم قال لى بيع بخسارة وهو كله مكسب !

يومها قلنا أيضاً أن لِوَح متحف محمود خليل ليست تراثاً مصرياً لأنها ليست من صنع فنانين مصريين ، بل هى مقتنيات باشا يوم كان لمصر أصحاب ويوم كان للمقتنيات مالك يحرص عليها ويصونها ، وهى بالتأكيد ثروة وطنية كنا نتمنى أن نحميها بعيوننا ولكن ما باليد حيلة وقد قيل بيدي لا بيد عمرو ، بل نحن نقول الآن : ياحكومة إذا استطعت بيع الأهرام وجامع السلطان حسن فافعلى فوراً فكله مسروق مسروق ياولدى ، وهذه العصابة التى لم يشهد العالم لها مثيلاً إذا فرغت من سرقة وبيع المنقول فستبدأ فك الأهرام وبيعه لهواة جمع الأحجار وقد يباع للفاسى لبناء عش الزوجية الرابع عشر لحميدة وابن البكرى ..

لتبادر الدولة ببيع كل ما له ثمن على عينها وفى مزاد علنى فنحصل على أفضل سعر ويدخل الثمن كله أو معظمه للخزانة العامة وتشتريه جهات علنية فلا تضطر إلى إخفاء ملامحه وتصونه وتعرضه .

وبالطبع ليس هذا ماكنا نتمناه لآثارنا ومقتنياتنا وما جمعه الجدود وصانوه ولكنه أفضل مما يجرى الآن ، أفضل من أن ينهبه لصوص لا ضمير لهم ولا شرف ولا ثقافة ولا عرض .. يضعون هذه النوادر فى أكياس نايلون وينقلونها من بيت لبيت ولو أُحيط بهم لن يترددوا فى حرقها ..

أسفى عليك يامصر وما فعله بك اللقطاء* .

* مصر الفتاة ٩٢/٧/٦ .

وإذا خلوا إلى شياطينهم ..

إذا كانت صحافتنا فاشلة حتى الآن فى مواجهة الإرهاب ، فالحق يقال أنه لا يمكن تحميل مسئولية هذا التقصير والتخلف للدكتور رفعت السعيد قطب حزب التجمع التقدمى ، فرغم ما بيننا وبين الرجل من خلافات إلا أن ديننا يعلمنا : ﴿ **ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا** ﴾ الشنآن موجود ودائم بحمد الله ، والعدل أن الرجل لم يقصر بل اجتهد وطاف حتى عثر على تذكرة داود أو تكنولوجيا صحافة الأحباب فى مقاومة أهل الإرهاب فقام على الفور برفعها إلى مصر كما رفع يوسف أبويه على العرش أو كما يقال .. رفع تقريرا للأعتاب !

وإليكم النص : « رفع الدكتور رفعت السعيد مجلدات من أعداد « الإعلان » لمصر حتى يتسنى للصحافة المصرية دراسة الطرق التى تتبعها الصحافة التونسية فى مقاومة الإرهاب الإخوانى ونظمت دراسات حول هذه المسألة فى مصر انتهت إلى نقاط عمل واضحة المعالم » ، حرفيا عن جريدة الإعلان التونسية ١٩ جوان (يعنى يونيه بالفرنساوى) ١٩٩٢ ص٦ .

فالرفع ثابت ومنكره إرهابى بشهادة « الإعلان » (الاسم وحش قوى لكن إرادة الله أن يكون لكل من اسمه نصيب !) والدراسات عقدت ونظمت (وأنا أقول يا ربى مين اللى ورا المصايب دى كلها) وكان الظن أن يؤرخ بتاريخ الرفع كما هو الحال مع الحملة الفرنسية والطاعون الدملى وحريق القاهرة فيقال فى كليات الإعلام : الصحافة المصرية قبل الرفع وبعد الرفع ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، والسبب هو تخلف المصريين وتقاعس صحافتهم عن التعلم ، وليس كما يزعم البعض لأن هذه المجلدات تركت فى مطار القاهرة أو بيعت لمقلة لب وسودانى ، وهذه أقاويل باطلة لأن الدكتور مادام اسمه رفعت فلابد أن المجلدات رفعت ! وهو ماكان ليتركها فى المطار ويدفع أرضيه

فيخسر ماقد جمع باسم الرفع والجر وبلاش التالته ! ولا كان بالذى يبيعها لمقلة سودانى وهو يكره كل سودانى وخاصة بعد أن خاب رهانه وشيعته على التقدمى قرنق الذى طويت صفحته أو كادت . ومهما يكن خلافنا مع النظام السودانى فلا يمكن لمصرى إلا أن يفرح لوحدة السودان .

المهم أن الدكتور رفع ، والانتفاع لم يقع ، على الأقل على المستوى العام ، أما تاريخ الرفع فهو السابع من نوفمبر الذى خلده الدكتور بكلمة طيبة قال فيها : « بمحضر عدد من صحفيى الإعلان والأصدقاء ، يجب أن نحتفل بالسابع من نوفمبر لا فى تونس فحسب بل فى كل الأقطار العربية » .

سيقول المغفلون من الأعراب : وماذا فى هذا ؟ إن هو إلا فتى به وفاء حن لثورة البلاشفة فدعا لإحياء ذكراها ، ألم يكن عيدها فى نوفمبر ؟

ولكن الزميل لا يشيد بثورة البلاشفة فذلك زمن غبر ، يوم كان الروبل بثلاثة دولارات أما اليوم والدولار بثلاثمائة روبل فليس لنا فى البلاشفة من حاجة ، فقد دارت الأيام حتى أصبحت الشيوعية كالعرجون القديم وأنستنا تونس الخضرا موسكو الحمرا وحل التمر بالمكسرات محل الفودكا والمأثورات .

أو لعل الزميل تذكر ثورة الفاتح من نوفمبر فترحم على المليون شهيد ..

ومرة أخرى نقول .. لا .. فالزميل لا يحب كلمة شهيد ولا شهداء ولا استشهد وإنما الزميل كان « بمحضر عدد من صحفيي الإعلان والأصدقاء » فى تونس ولأن مثله من سر جليسه ، وهو أستاذ الكلام المفيد فى خدمة المنتفع والمستفيد . فقد كان يعنى بالذكرى التى يجب أن يحتفل بها على النطاق القومى ، هى ذكرى تولى الرئيس على زين العابدين رئيس تونس الحكم !

بل وأعلن انتقال قيادة الأمة العربية إلى تونس فمنها سيأتى الحل وفيها تجرى التجربة الرائدة ، بعد أن سقطت مصر فى الامتحان إذ لم تعرف قدره !

وانطلاقاً من نظرية إيه اللى عرفك أنها سكّينة لولا أنك أنت الذى سرقها ،

سارعت صحيفة الإعلان تقول « ويعلم الجميع أن الدكتور رفعت السعيد ليس من أولئك المتزلفين أو المتملقين ..»

الله !! حد قال حاجة ! ما تاخدشى فى بالك ياسى الأفندى !

وفى مواجهة اللغط الذى أثاره الحاقدون فى تونس حول إقامة الدكتور وتنقلاته وإنفاقه عن سعة أكدت الجريدة أنه أنفق فى تونس « ما أمكن جمعه من مبيعات كتبه » .

والذى لا يفهم فى البيع يقول هذه رشوة بينما أحل الله البيع وحرم الربا ، والدكتور يحل البيع والربا ! سمى وكل .

المهم ماذا قال الدكتور رفعت هناك عن حكومة مبارك؟ قال نقلا عن ذات الصحيفة : « لقد سار عبد الناصر على قطع رقابهم (يقصد الإخوان) (التوضيح من جريدة الإعلان) وكذلك فعل بورقيبة أما اليوم فى مصر فإن النظام يضرب ضربة على اليمين ثم ضربة أخرى على اليسار ليبقى الوحيد فوق الجميع وهو (أى النظام فى مصر) لا يقيم ولا يفرق بين الخصم السياسى (الناصريون القوميون الشيوعيون) وبين أعداء الحياة وهم الإخوان » .

« هذه اللخبطة جعلت من السلطة فى مصر تنظر إلى مسألة الإخوان وكأنهم خصوم سياسيون وفى الحقيقة هم ليسوا فى هذا المستوى ، هم سرطان يقاوم الحياة ويشنقها أينما كانت فلهذا سيكون الفرج من المغرب ومن تونس بالذات لأن دساتير البلاد وقوانينها والممارسات الحضارية للشعوب المغاربية تعطى الدين المكانة الكبرى فى حياة الفرد (ومع ذلك) عرفت كيف تخرج الإسلام من تقلبات السياسة ، ونظرة القيادة الجديدة فى تونس نظرة تقدمية واضحة المعالم ويجب دعمها بكتابات قيمة لملء الفراغ الذى ترعرع فيه الإخوان .. ولهذه الأسباب أزور تونس وأزور الإعلان وأتمنى أن تزداد العلاقات بين المفكرين ومصر عمقاً وصلابة ومتانة حتى ينتبه النظام فى مصر إلى أن اللعب بالنار عمل خطير ومهادنة ومداهنة الإخوان ليست الحل الأقوم » .

باختصار إن هذا التيار يخوض حرباً صليبية خاصة وهم لايكنون أى ولاء لمصر ولا نظامها . باعوا قيادتها عند كل ناصية لعبد الكريم قاسم وعلى عنتر وسالم ربيع وصدام حسين ، هم يزعمون هنا أنهم أصدقاء النظام وهم يحفرون له ، ويخلقون له المشاكل عندما ينسبون له أهدافهم المرفوضة جماهيريا ويتظاهرون بأنهم الحليف الإستراتيجى للنظام فإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون .

قلنا أكثر من مرة أننا لسنا ضد أن يتكسب بعض الكتاب بكتاباتهم بشرط أن يعرف ذلك ويسجل فى الغرفة التجارية وهو نظام معمول به فى الولايات المتحدة منذ ١٩٣٨ ، حيث يقضى القانون بأن كل من يروج فكرا لصالح دولة أجنبية مقابل دخل مالى يجب أن يسجل كوكيل لهذه الدولة ، لكى لا تختلط الأنساب ، وتتشبه الأَمَة بالحرة ، لكى يعرف الناس سر المواقف وسبب التحمس ، لكى لاتستمر أقبح عملية تضليل باتهام المؤمنين بأنهم يقبضون من دول تجتاحها المجاعة بينما يقبضون هم بالدولار ثمن كفرهم ، تحت غطاء شراء كتاباتهم التى تتعفن فى المخازن حتى يشتريها يعقوب لحاجة فى نفسه ! .

حقـوق الإنسـان العشـماوى !

نشرت صحيفة عربية تصدر فى لندن أن وكيل وزارة الخارجية الأمريكية لحقوق الإنسان قد اجتمع بالمستشار محمد سعيد العشماوى وكتفسير لهذا اللقاء بين مسئول أجنبى ورجل قضاء مصرى ، ذكّرت الصحيفة القراء بمصادرة أو محاولة مصادرة كتب المستشار .

ولا أدرى ـــ بسبب وجودى بالخارج ـــ إن كان ذلك الخبر قد نشر فى مصر أم وارته الأجهزة المعنية عملاً بحديث إذا بليتم فاستتروا ! (وهذا هو عصر البلاوى بلا شك باعتراف رئيس الوزراء الذى قال : البترول مليان بلاوى .. البترول بس يا دولة الرئيس ؟!) فقد قيل أن وكيل الخارجية الأمريكية جاء يفتش على حقوق الإنسان فى مصر عندما انزعج الضمير الأمريكى لأنباء مصادرة أو محاولة مصادرة كتب المستشار وتأثير ذلك على مستقبل الرئيس بوش السياسى فضلا عن استقرار النظام العالمى الجديد ! .

ومنذ اتهام الزبير وصديق المفتش قبل مائة سنة بانتهاك حقوق الإنسان وحضور لجنة بريطانية للتحقيق انتهت بخلع الخديوى واحتلال مصر والسودان . أقول منذ ذلك التاريخ ، لم يحدث أن جاء مسئول من حكومة أجنبية يفتش على أوضاع الإنسان فى مصر إلا فى هذا الشهر المبارك ! والغريب أن الحكومة التى ترفض تدخل لجنة العفو الدولية ولعنت سنسفيل لجنة حقوق الإنسان المصرية ، لم تجد غضاضة فى قبول مفتش يشغل منصباً رسمياً فى حكومة أجنبية وسمحت له بالاجتماع مع الرعايا بل مع موظف فى الدولة ، يفترض فيه الاستئذان قبل الموافقة على هذه الخلوة . ولا يهمنا ماذا قال المستشار لوكيل الخارجية الأمريكية ولا ما وعد به وكيل الخارجية الأمريكية .. فالمظاهرة تمت والحماية أعلنت والكرامة الوطنية أو الاستقلال الوطنى أهدر .. وعلى أيامنا كان ذلك

يعتبر اتصالا بهيئات أجنبية . ولكن نحن فى نهاية التاريخ ومؤسسة فورد تمول علنا مؤتمر تحرير المرأة المصرية ! والذى يدافع عن يهود خيبر يستحق أن يهتم به حاخامات وشنطن . والمسئول الأمريكى الذى وصل للعاصمة المصرية ليطمئن على مؤلفات المستشار وحرية تداولها لأن ذلك من صميم حقوق الإنسان ، أغلب الظن أنه لم يسمع باعتقال عشرة آلاف جزائرى ومقتل المئات على يد العسكر الذين أطاحوا بحقوق الإنسان الجزائرى فى أن يختار حكومته ولو فى انتخابات تجريها حكومة معادية لاختياره . ويبدو أنه من فرط اهتمامه بحقوق الإنسان العشماوى نسى حقوق الإنسان التونسى حيث يعتقل الآلاف ويعذبون بقراءة كتب المستشار التى ترجمت فى تونس إلى العربية والفرنسية حيث قررت فى سجون العسكرى الذى قالت الصحافة الأمريكية علنا يوم انقلابه أنه على صلة طيبة بدوائر التخابر فى الولايات المتحدة . ولعل المفتش الأمريكى كان فى حوار خصب حول ما جرى فى السقيفة قبل ١٥ قرنا ، فلم يسمع بما جرى فى جنوب لبنان قبل ١٥ ساعة ، من قتل طفلة ورجل دين وعشرات المدنيين بقصف جوى عسكرى على غير قاعدة ولا جيش محارب ، بل بلغ من حرارة الحوار أن أحداً لم يسمع بدخول دبابات إسرائيل فى أعماق الإنسان اللبنانى ، ذلك أن حقوق الإنسان العشماوى أهم وأخطر ــ على الأقل من وجهة نظر الخارجية الأمريكية ــ التى لم تسمع عن حقوق عدة ملايين إنسان عراقى يموت أطفالهم جوعاً وبردا أو مرضا ولا تطرف عين البيت الأبيض ولا يتوجع ضمير أمريكى مثلما حدث لمحاولة (أكرر محاولة) مصادرة خمسة كتب ! ولكن من يدرى فلعل المفتش الأمريكى الذى جاء يشد أزر الإنسان العشماوى جاء أيضاً ليحكم الخناق على الإنسان العراقى والإنسان الفلسطينى والإنسان اللبنانى .. أما بالنسبة للإنسان المصرى فلاشىء يضره فقديما قال كمال عبد الحليم غفر الله له :

أخى أيها الإنسان .. وهل فى مصر إنسـان ..؟!

نعم ياكمال أصبح فيها واحد على الأقل هو الإنسان العشماوى الذى نال الاعتراف الأمريكى !

مبروك عليكم العودة لعهد الوصاية والحماية ، وليمتد طابور المعلم يعقوب وأمين عثمان والدكتور السفير أحمد حسين ــ إلخ ، فقط بعض الحياء فى الحديث عن الدعم الخارجى والعمالة والتدخل الأجنبى ورحم الله التى تعودت أن ترمى بدائها وتنسل !

كلمة أخيرة .. إن منصب السيد المستشار لم يعد يتفق وهذا النشاط أو المهمة التى تؤكد كل الدلائل أنه سيتفرغ لها كرائد من رواد عصر التنوير الأمريكى ، وهو لابد أن يتعرض لبعض الانتقادات من المتخلفين الذين لا يقابلون المسئولين الأمريكيين ، وقد يضطرون لتناول المستشار بما قد يتعارض مع قدسية القضاء والاحترام الواجب له ولكل من ينتسب إليه ، لا أظن أننا نطلب شططا إن طالبناه بالاستقالة أو قلع البدلة كما قال نجيب محفوظ حتى يكون هناك تكافؤ فى الحوار* .

---

* الشعب ١٩٩٢/٢/٢٥ م .

سيقان حسيبة .. والنظام العالمى الجديد ..!

يوم السبت ١١ يناير ١٩٩٢ كانت أخبار لندن : محاولة نسف مقر رئيس الوزراء فى داونتج ستريت ، تكذيب وزير الخارجية لشائعات تخفيض الإسترلينى ، النزاع الروسى ـــ الأوكرانى ، فشل رحلة بوش فى اليابان ، الصراع فى يوغسلافيا واعتراف المجموعة الأوربية بتمزق مملكة تيتو .. إلخ . ومع ذلك فقد استطاعت سيقان حسيبة أن تفوز بأربعة أعمدة على صدر الصفحة الأولى فى صحيفة التايمس كبرى وأعرق صحف بريطانيا !

من هى حسيبة وما الخطر الذى يهدد سيقانها ، بل يهدد الأمن والاستقرار على مستوى العالم أجمع ويشكل تحديا للنظام العالمى الجديد ؟!

حسيبة أبو الماركة هى الفتاة الجزائرية التى ربحت سباق الألف وخمسمائة متر بينطلون شورت يكشف عن سيقانها ، الأمر الذى أكد الإنجاز الحضارى الضخم الذى حققته جبهة التحرير الوطنية التى عملت بدأب ثلاثين عاما على تعرية الجزائر وشعب الجزائر من الثروة والحرية .. ولأنه فى هذا التاريخ (٩٢/١/١٢) لم يكن الجيش قد تدخل ـــ بعد ـــ نيابة عن الاستعمار والصليبية العالمية ، وتحالف حفدة لاكوست ومخلفات الستالينية والمخابرات الأمريكية والصهيونية وبقايا المستعمرين الفرنسيين أصحاب الأقدام السوداء والقلوب الأشد سواداً ، وجماعات التبشير بزوال الإسلام فى الفكر المصرى .. يومها كانت هناك شبهة احتمال لوصول جبهة الإنقاذ للحكم ، وهذا يعنى أن سيقان حسيبة كما توقع مراسل التايمس لابد أن تغطى ، ولما كان هتك عرض الشعب الفلسطينى واللبنانى والكمبودى والعراق ووفاة ملايين الأطفال جوعاً فى أفريقيا وبلاد العرب ، الذين هم جرب ، لا يشكل قضية بحجم عرى أو تغطية سيقان حسيبة .. فقد قفزت قضية سيقانها لصدر الصفحة الأولى فى جريدة التايمس مع صورة

بارتفاع عشرين سنتيمتراً لسيقانها ، مستصرخة ضمير العالم ودباباته للتحرك !

صحيح أن الجزائر رزحت تحت حكم ديكتاتورى دام ثلاثين عاما لم ينطق فيها أحد بلفظة « ديموقراطية » وانفرد فيها بالسلطة جنرالات جيش لم يحارب ولا ساهموا بطلقة واحدة فى سبيل قضية عربية . ثلاثون عاما اختفت فيها كلمة التعددية من القاموس الجزائرى إلا فى الحديث عن تعدد حساباتهم السرية فى بنوك فرنسا وسويسرا ، إلى أن ظهر المتوحشون البرابرة الذين يريدون تغطية سيقان حسيبة فإذا بالجزائر تطفح تعددية حتى ظهر فيها خمسون حزبا !

ثلاثون عاماً من الفساد والسرقات وإهدار ثروة الشعب فى المغامرات حتى حولوا الجزائر ، أغنى دول المغرب العربى ، إلى أكثرها استدانة وأشدها إفلاساً ، ولكن كان العذر أن قافلة الحضارة تسير خلف سيقان حسيبة العارية ! والآن ماذا يبقى للجزائر أو للحضارة أو للنظام العالمى ، لوغطت حسيبة سيقانها .. المراسلون توجهوا لحسيبة وعائلة حسيبة يسألون ماذا ستفعل فى هذه الداهية وهل ستبقى فى الوطن أم ستحمل عريها وتهاجر ؟ ثم توجهوا لضباط الجيش يستفسرون هل سيقبل جيش المليون شهيد أن تغطى حسيبة سيقانها .. أم أنهم سيتقدمون لإنقاذ الموقف بانقلاب يطيح بالدستور والديموقراطية والهوية واللغة وجبهة الإنقاذ وإرادة شعب من أجل أن تبقى سيقان حسيبة عارية ..

تلك هى القضية التى كانت تشغل بال صحيفة التايمس البريطانية قبل أن يستجيب الجيش الباسل الذى منذ تكوينه لم يقتل إلا العرب ! وتحرك لإنقاذ عري سيقان حسيبة بتعرية النظام كله بل النظام العربى والعالمى الذى اعترف صراحة أنه لايسمح بوصول الإسلام للحكم حتى لو اختاره الشعب ، وفى أعظم إصرار ديموقراطى عبرت عنه أمة . فالانتخابات تجرى بعد الإرهاب الذى سقط فيه ثلاثمائة شهيد ، وزعماء الجبهة فى الاعتقال بدون مبرر ولا سند وبعد تزوير الدوائر وتعديلها لكى تضيق فرص نجاح الإسلاميين ، وقسمة الانتخابات على مرحلتين ، لضمان خط الرجعة . ورغم ذلك صمد الشعب ، وجاءت النتيجة اكتساحاً شاملا لم تعرفه ولا حتى انتخابات إزالة الشيوعية فى شرق أوروبا .

ولأن من خصائص النظام العالمى الجديد ، الصراحة التى تبلغ حد الوقاحة ، فإن الأشياء تسمى بأسمائها .. فى ظل الوفاق بين الطواغيت لم تعد هناك حاجة للتستر خلف شعارات أو تجميل الأهداف .. فهم لايكتفون بالدفاع عن سيقان حسيبة بل يتحدثون علنا عن الخطر الإسلامى وأنهم لايسمحون بقيام حكم إسلامى ولن يسمحوا .. وأن الديموقراطية لا تعنى السماح بتحرر المسلمين أو اختيارهم نظام الحكم الذى يريدونه ..

هم لايتجملون ولا ينافقون فإلغاء الانتخابات والدستور ونزول الدبابات فى الشوارع لم تثر فى صحافة العالم الحر وإذاعاته أى احتجاج ربما لانشغالهم بالدفاع عن حرية علاء حامد فى سب الدين ! المسلمون فى هذا العالم مثل الهنود الحمر فى أمريكا أو العرب فى إسرائيل ، الديموقراطية لا تشملهم ولا هم طرف فيها ، لهم أحيانا حق الانتخاب بشرط انتخاب النظام القائم وإلا فالدبابات والشرطة العسكرية بالمرصاد لقمع المتوحشين الذين يصدقون خرافة الديموقراطية التى يعرفونها فى الغرب بأنها حكم الشعب بالشعب لحساب الشعب ، أما فى الجزائر فهى حكم الشعب بالكلب لحساب الغرب !

لقد كان الإسلام هو هوية الجزائرى وحصنه الذى حماه من الإفناء الفرنسى ، وعندما قامت الثورة كان اسمها الجهاد وصحيفتهم اسمها المجاهد ورجالها لم يتسموا بالثوار ولا المناضلين ولا اليساريين ولا الاشتراكيين بل بالمجاهدين ، يسمون بقاياهم قدامى المجاهدين ويعملون سعاة على أبواب كبار الموظفين الذين كانوا فى فرنسا أو بقايا المتعاونين مع الاشتراكية الفرنسية التى أنكرت الثورة وعادتها .

وقد انتصرت ثورة المجاهدين وغنى الشعب : « مبروك يامحمد عليك .. الجزائر رجعت إليك » .. نعم عادت الجزائر للإسلام ولكن الإسلام لم يعد للجزائر فقد استطاعت المخابرات الأمريكية والفرنسية والصهيونية أن تفرض قيادة غريبة عن تكوين الثورة وفكرها وطموحاتها ، وليست الثورة الجزائرية أول ثورة تُسرق أو يُغدر بها ..

أطاحت جماعة الخارج ـــ كما كانوا يسمونهم ـــ وهم الذين عاشوا فى تونس ، والمغرب وتركوا الجهاد وتحرير الجزائر للشعب بالداخل (وبالمناسبة غالبية كبار ضباط الجيش الجزائرى الحاكم لم يطلقوا رصاصة واحدة ضد الفرنسيين بل هم بقايا الجندرمة

التى كان يقودها الفرنسيون ، أو المتبطلين الذين عاشوا فى خارج الجزائر يقبضون المرتبات من الأموال التى كانت تجمع باسم المجاهدين فى الداخل ولا تصل إليهم) . وقام حكم يدعى اليسارية لمجرد إبعاد الإسلام ، ويدعى التصنيع لمجرد اختلاس العمولات ، وابحثوا فى الأسواق لن تجدوا سلعة واحدة مكتوب عليها صنع فى الجزائر ، وفرض الإرهاب بحجة حماية منجزات الثورة التى بيعت فى باريس ، وشرد وأعدم كل رموزها . ومنع التعريب فلم يقر قانونه إلا بعد أن اكتسحت الجبهة الإسلامية الانتخابات البلدية وتظاهر عميل فرنسا باسم البربر محتجاً ضد اللغة العربية ! هذا العنصرى الذى يبتز الجزائريين بتهديدهم بتمزيق الوطن ، والذى تدعمه فرنسا علنا يسمى مؤامرته بالاشتراكية الديموقراطية ! ولم يفز إلا بأقل من عشرة بالمائة من الأصوات فى مناطق البربر .. بعد أن راهن عليه ، وعلى فتنته ، الغرب كله ومعظم الحكام العرب لمنع الإسلام والديموقراطية فى الجزائر ..

إذا لم يوحد الإسلام ، العرب والبربر ، فماذا يوحدهم ؟!

والآن لنحاول تلخيص دروس ما جرى فى الجزائر :

١ ــ مهما تكن نتيجة المذبحة فقد ثبت أن اختيار الشعب فى أول انتخابات حرة عرفها الجزائريون هو الإسلام . وقرارات الشعوب غير قابلة للطعن .

٢ ــ إن النظام العربى القائم هو النظام الذى يتمتع بقبول النظام العالمى ، وأية محاولة تهدف حقيقة لاقتلاع هذا النظام وليس بمجرد مساومته أو مشاركته ، ستقمع بالحديد والنار بصرف النظر عن شعاراتها وأسلوبها ، ومهما تشدق هذا النظام بالديموقراطية فلن يتخلى أبداً عن السلطة عبر صناديق الانتخاب ومن ثم لابد أن يضع المتطلعون لتحرير الإرادة العربية ، فى حسبانهم ، حتمية المواجهة المسلحة للنظام الاستعمارى العالمى ، وحكوماته العميلة المرتشية المختلسة الفاسدة حتى العفن ! إن إلغاء الانتخابات بالدبابات هو ترخيص بالعمل الثورى !

٣ ــ التيار الإسلامى هو وحده المدافع عن الديموقراطية المؤمن بها المؤهل لطرحها بحكم أيديولوجيته وممارساته وظروف ظهوره المعاصرة ولمن شاء المنازلة فنحن لها .

٤ ـ منذ كمال أتاتورك والجيش يلعب نفس الدور ، حامى نظام القهر العالمى وأداة هذا النظام فى ضرب الشعب المسلم ـ هذه الجيوش التى لم تدافع عن الوطن ولا انتصرت فى حرب إلا على شعوبها ، هى أداتهم فى منع تحرر الإرادة الإسلامية والعربية مقابل « عضمة » السلطة ، لذا فمن الطبيعى ألا يستقيل ولا يقال قائد العسكر إذا أضاع نصف الوطن أو أباد شعبه ولكن استقالته تصبح محتومة لو سمح بانتخابات حرة ينجح فيها الإسلاميون .. إنها مخالفة صريحة لعقد الاستخدام !

٥ ـ لا تهنوا ولا تجزعوا لقد أصاب القوم قرح أبشع وأنكى كشف عورتهم وفضح نفاقهم وأغرق ديموقراطيتهم فى دم الشعب بدبابات العسكر .. وما عليكم إن هى إلا جولة تعقبها جولات . ألم ينتصر الشعب الإيرانى بقيادة مصدق ثم سلبوه نصره ثلاثين عاماً حتى جاء أمر ربك فجعلهم كعصف مأكول ..

مهما أبرقوا وأرعدوا فهم أعجاز نخل خاوية ، فصبرا آل محمد .. انتزعتم الجزائر من فم الذئب مرة أيرهبكم نباح الكلاب ؟! إن موعدكم الشعب والشعب لا يغيب* .

---

* الشعب ٢٢/١/٩٢ .

بوضياف قتله الذين جاءوا به !

مسكين بوضياف كان شخصية تاريخية لها مكانتها فى قلوب الجزائريين والعرب والمسلمين بل وعلى الصعيد العالمى ، فهو أحد الأبطال الخمسة الذين وإن يكن دورهم فى ثورة الجزائر أقل بكثير من الشائع والذائع بل وأصبح هذا الدور ذاته موضع تساؤل ، بعد أن استسلم بن بللا للشيوعيين وذبحوا محمد خيضر وسقط آية أحمد فى العنصرية مخاطراً بوحدة الوطن ، إلا أن بوضياف بسبب احتجابه كان قد احتل مكاناً عالياً فى ضمير هذه الأمة وذكرياتها وفولكلورها ، وقد أبعده النظام الذى سرق الثورة والثروة ، وظل فى المنفى فى غياهب التاريخ ما يزيد عن ربع قرن ، إلى أن قرر العسكر استعادته من خلف الشمس ليغطى مواجهتهم مع جبهة الإنقاذ .

وقد تورط الرجل وقامر بتاريخه وقبل المهمة ، ولكن المطلوب كان أكبر من أن يقبله أو حتى أن يطيق تنفيذه لو أراد ، فالقوي العالمية لا تقبل أقل من محو كل أهداف الثورة الجزائرية فلا عروبة ولا إسلام ولا تنمية ..

وعندما أرادت المجموعة الحاكمة مواجهة التيار العروبى ، بإصدار قانون التعريب بعد تجميده ثلاثين سنة ، خرجت مظاهرات الشيوعيين والمتفرنسين تحتج على التعريب ! ولكن مظاهراتهم لم تكن قادرة على حسم الأمر فى الشارع ، فلجأوا للتآمر ، وقد قام المتفرنسون فى وزارة التعليم بتسريب أسئلة الامتحانات ، وكانت فضيحة أطاحت بوزير التعليم المتحمس للتعريب .

وبوضياف الذى تفتحت شهيته للسلطة لم يكن بالذى يقبل أن يستخدم مجرد مخلب قط فيضرب لهم الإنقاذ بينما يحكمون هم ، ولذلك بدأت معارضته ، ولما كان الموقف لا يسمح بالصراع على الديموقراطية ولا العروبة ، فقد اختار منازلتهم حول الفساد ، فأعلن تصميمه على محاكمة المسئولين عن سرقة المال العام الذى وصل فى

الجزائر إلى نسبة لم تعرفها دولة فى العالم الثالث حتى تحولت الجزائر إلى دولة مدينة رغم النفط والغاز .

ولما كانت المجموعة الحاكمة متورطة كلها فى الفساد ، فقد وقفوا صفا واحدا ضد بوضياف الذى زادت معارضته عندما قرروا الرجوع عن تأميم النفط وبيع امتيازاته لمواجهة الإفلاس المحتوم .. وهكذا قرروا تصفية بوضياف .. ليستمر الفساد وأيضاً كما تنبأت أو أوحت لهم الوشنطن بوست (٩٢/٧/١) ليجدوا مبررا لشن حملة لتصفية المعارضة وقطعْ كل لسان يتحدث عن الفساد أو الديموقراطية .

وقد استقبلت الدوائر العالمية ببرود شديد محاولة اتهام جبهة الانقاذ بتنفيذ الاغتيال ، وخاصة عندما أعلن عن مصرع القاتل ، وقيل على الفور أنهم قتلوه لكى لا يفضح السر ، وهنا تراجعت السلطات وأعلنت أنه حى ومقبوض عليه ! بل ومن الحرس الخاص للرئيس المقتول ، ولا يعقل أن يصل إسلامى إلى هذا الموقع ، بعد المواجهة الدامية مع الإسلاميين ، وما يعرف عن كفاءة المخابرات الجزائرية والدعم الذى تتلقاه من الأجهزة العالمية والشقيقة . على أية حال الاتهام لم يصدر بعد من سلطات التحقيق ولا المصادر الجزائرية ، ولكن الذين تطوعوا باتهام جبهة الإنقاذ هم الفكيكة الذين يعرفونها وهى طايرة والذين يريدون جنازة ويشبعون فيها لطم ..

كتبت الواشنطن بوست (٩٢/٧/١) تحت عنوان : أسئلة حائرة حول مصرع بوضياف .. الصحافة تبحث عن دوافع للاغتيال بعيداً عن الأصوليين .. قال فيه جوناثان راندل مراسل الصحيفة الأمريكية من الجزائر أن الحكومة التى يسيطر عليها العسكريون تحاصرها موجة من التساؤلات عن هوية ودوافع قتلة بوضياف ، وقال أن الصحافة الحرة فى العالم العربى تعتقد أن الأصوليين ليسوا المجموعة الوحيدة التى لديها دافع لاغتياله ، وقالت هذه الصحف أن حملة بوضياف على الفساد وتعهده بمحاكمة المفسدين أثارت ضده مجموعات قوية النفوذ بالغة الثروة . وفى أبريل عندما أعيد القبض على وزير الدفاع السابق مصطفى بليوسف المتهم بقبض عمولات على صفقة السلاح

خلال الثمانينات ، تردد أن الجنرال خالد نزار وزير الدفاع والحاكم الحقيقى للجزائر أبدى قلقه من أن تثير القضية الاتهامات الأخرى عن الفساد فى القوات المسلحة . وكان بوضياف مصمما على المضى فى المحاكمة ووقع بيانا يتعهد بمطاردة الفساد مهما كانت مراكز المتهمين ، وكان يعد قانونا يعاقب الاحتيال ويفرض ضرائب على الذين لا يستطيعون إثبات مصدر ثرواتهم ولا يمكن إدانتهم جنائيا وحذرت الصحف من التسرع فى إدانة الأصوليين وقالت صحيفة كوتيديان دى الجير « إن هذا الاتهام من شأنه أن يدفع الأصوليين إلى المعسكر المضاد للتقدم » وقد أفادت الجريدة فى اليوم التالى أن جنازة بوضياف تحولت إلى مظاهرة تتهم بن جديد والحكومة بتدبير الاغتيال ، وصرخت امرأة محجبة : « نريد الحقيقة كفانا أكاذيب » .

وقد لوحظ اختفاء وزير الداخلية العربى بلخير ووزير الدفاع خالد نزار من الجنازة بل حتى الصلاة على الجثمان ، وفسر ذلك بالخوف من مواجهة الجماهير التى تتهمهم بتنفيذ الاغتيال .

اللهم أنقذ الجزائر* .

* مصر الفتاة ٩٢/٧/٦ .

بعض ما نشرته الصحافة الأجنبية عن الجزائر :

يوم ٩٢/٧/٢٤ نشرت النيويورك تايمز افتتاحية تحت عنوان : « الديموقراطية الممنوعة فى الجزائر » جاء فيها : « عندما نفذ الجيش انقلابه فى يناير لمنع فوز الجبهة الإسلامية المنتظر بالانتخابات غضت وشنطن الطرف مثل غيرها من العواصم الغربية . وحذر الذين برروا هذا السكوت ، من الأخطار المخيفة إذا ما سمح للإسلاميين بدخول السباق رغم أن قادة الجبهة أكدوا أنهم مرنون ، وأنهم سيجرون إصلاحات اقتصادية . وقال المعتذرون (عن ضرب الديموقراطية ج) أن المتطرفين فى الجبهة سيزيحون المعتدلين . وسيمنعون إجراء انتخابات جديدة وسيتبعون سياسة خارجية ثورية ويلغون اقتصاد السوق وتنتهك حقوق الإنسان لغير المؤمنين .

وبالطبع لا يمكن التنبؤ بماذا كان سيحدث إذا ما سمح للديموقراطية بالاستمرار ، ولو أن تاريخ الإسلاميين فى إيران والسودان يجعل من الصعب استبعاد هذه المخاوف ، ولكن لا حاجة لتخمين ما يجرى الآن فى الجزائر منذ الانقلاب : فالانتخابات لاتزال معطلة ، كما حلت المجالس البلدية المنتخبة وحقوق الإنسان انتهكت فالألوف من الإسلاميين يقضون الأسابيع فى سجون الصحراء ، والقبضة الحديدية للجيش عرت الإسلاميين المعتدلين . وفى الشهر الماضى اغتيل رئيس البلاد على يد الجيش أو جبهة الإنقاذ ، وخليفته فرض اشتراكياً لإدارة الحكومة ، ورئيس الوزراء الجديد معروف بمعارضته لاقتصاديات السوق الحرة وصندوق النقد الدولى ، باختصار لقد حقق الانقلاب كل ما لايريد الغرب أن يراه ، ومع ذلك فالديموقراطيات الغربية لاتتكلم ، والمنشقون الإسلاميون لن يطلبوا اللجوء فى أوروبا كما كان متوقعاً أن يفعل المتغربون لو حكم الإسلاميون ، إن موقف الغرب قصير النظر جداً لأن الأغلبية الجزائرية المسلمة لن

تختفى ، ولن تزداد اقتناعاً بالديموقراطية وهى ترى أغلبيتها الانتخابية يضرب بها عرض الحائط ، وعدم الاستقرار السياسى يزيد فرصهم . الحل هو العودة لصناديق الانتخابات مع حرية كل الأحزاب فى المنافسة ، إن سياسة أمريكا الجزائرية يجب إعادة النظر فيها[١] .

قالت النيويورك تايمز :

« قامت السلطات الجزائرية بإغلاق ثلاث صحف هذا الأسبوع وذلك بخلاف إلغاء صحف جبهة الإنقاذ فى مارس الماضى ، فقد أغلقت المجلة الأسبوعية لوماتان اليسارية والمقربة من جبهة التحرير ، وقام البوليس باحتلال مكاتب صحيفة الجزائر اليوم وجرى طرد المحررين منها وإغلاقها ، كذلك أغلقت صحيفة لاناسيون (الأمة)[٢] .

« إن النظام الجزائرى مرتهن أكثر من أى وقت مضى لفرنسا وأسبانيا وإيطاليا وغيرها من الحكومات الغربية التى راحت تقذف بالأموال الطائلة لمساعدة السلطات الجزائرية المتعاقبة ، حتى قبل اغتيال بوضياف كانت الرساميل الأجنبية مترددة فى الاستثمار الكبير بسبب عدم استقرار الوضع السياسى ، وبسبب الدين (٢٤ بليون دولار) الذى يستنزف ٧٠ بالمائة من حصيلة البلاد من العملة الأجنبية . وفى هذه الظروف فإن الأصوليين يربحون كل شىء بإحناء رؤوسهم وانتظار تفكك النسيج الاجتماعى الجزائرى »[٣] .

ولأن العميل يكون دائماً ملكياً أكثر من الملك ومفضوح التأييد والحجة .. إليكم هذا المقال :

« كيف تفلت الجزائر من تهديد عناصر العصب والتطرف والإرهاب »

يعتبر اغتيال بوضياف ضربة موجهة إلى سياسة فرنسا والمجموعة الأوربية فى الجزائر

---

(١) نيويورك تايمز افتتاحية ٩٢/٧/٢٤ .

(٢) نيويورك تايمز ٩٢/٨/١٠ .

(٣) النيويورك تايمز ٩٢/٧/٢٩ .

والتى تقوم على تحاشى استيلاء الجبهة الإسلامية للإنقاذ أو الجيش على السلطة فى الجزائر (هذه عبارة فاجرة الاعتراف والادعاء معا فهي من ناحية تعترف بوصاية المجموعة الأوربية وأنها تضع فيتو على اختيار الشعب الجزائرى ، ومن ناحية تحاول أن تغطى هذا بادعاء أن هذه المجموعة تعارض استيلاء الجيش على السلطة ! يا أسود القلب ومن الذى يحكم الجزائر منذ الاستقلال إلا الجيش ومن الذى خلع الشاذلى واستدعى بوضياف ؟! ج) .

« إن الروابط بين فرنسا والجزائر عميقة الجذور ، وكان جزء من الشعب الفرنسى يعتبر حتى فترة حديثة أن الجزائر جزء من فرنسا بعد أن خضعت للاستعمار الفرنسى ١٣٢ سنة وإلى اليوم فإن غالبية رجال السياسة والمثقفين فى الجزائر يجيدون الفرنسية أكثر من العربية فقد درسوا فى فرنسا وتشبعوا بالثقافة الفرنسية (وهم الذين يؤمنون اليوم ويسعون لكى تكون الجزائر جزءاً من فرنسا . ج) .

« لكل هذه الأسباب فإن هناك فى باريس الآن شعوراً بالقلق الشديد على مستقبل الجزائر بعد أن تمكنت قوى الإرهاب والتطرف من الإطاحة برأس السلطة ؟! » وكانت فرنسا ترى أن سقوط الجزائر فى أيدى الجبهة الإسلامية للإنقاذ سيؤدى إلى هز استقرار منطقة شمال أفريقيا بأسرها وسيؤثر سلباً على علاقات الجزائر بالعالم الخارجى (أهذا تقرير المخابرات الفرنسية ج !) .

« وعلى الرغم من حرصها المعلن على تثبيت أقدام الديموقراطية فى دول العالم الثالث إلا أن فرنسا الرسمية وقفت منذ اليوم الأول ضد تمكين الجبهة الإسلامية من الوصول للسلطة حتى عن طريق الاقتراع على أساس أن الديموقراطية ليست مجرد تصويت واقتراع وإنما هى عملية متكاملة تقوم على قبول كافة الأطراف لقواعد اللعبة والقبول بالرأى الآخر ، وبضرورة التناوب فى السلطة من خلال رأى الشعب (كان خونة لبنان يسمون فرنسا الأم الحنون ، وهاهم أيتام فرنسا الجدد يؤكدون حرصها على الديموقراطية فى الجزائر فى الحاضر والمستقبل ج!!) وكان الخبراء الفرنسيون الذين يعرفون كل صغيرة وكبيرة عن الجزائر ودول المغرب العربى مؤمنين بأن الجبهة الإسلامية للإنقاذ لن تلتزم

بكل هذه القواعد وستسعى إلى الاستئثار بالسلطة بالقوة . وكان دور بوضياف هو حجب الطريق أمام الجبهة الإسلامية للإنقاذ على أساس أن وصول هذه الجبهة إلى الحكم يعنى انغلاق الجزائر وظهور تيارات متطرفة فى المنطقة مما يشكل خطرا على كل الدول المحيطة بالجزائر بما فى ذلك فرنسا ، بالإضافة إلى نزعة الجبهة إلى تصدير أفكارها وفلسفتها إلى الخارج والتى تحمل من وجهة النظر الفرنسية رسالة تتناقض مع الحداثة والمعاصرة والتطور العلمى والتكنولوجى الذى وصل إليه عالم الشمال ، وتطرح الأوساط الفرنسية سؤالا هو : ماذا سيكون موقف السلطة الجديدة من الجبهة الإسلامية للإنقاذ (ماتتوقعون وما تأمرون وهل هم إلا عبيدكم ج) .

« وإذا كان العالم أجمع ينظر الآن إلى الجزائر بقلق لمتابعة ماسيحدث فى هذه الدولة العربية الكبرى فإن فرنسا بوجه خاص تجند فى هذه الأيام كافة إمكانياتها لمتابعة الموقف فى الجزائر ومحاولة استشراف آفاق مستقبل هذا البلد العربى الإسلامى بعيداً عن قوى التعصب والتطرف والإرهاب »* .

اقرأ المقطم فى عهد الاحتلال لن تجد أى فارق ! إن النكسة التى أصابت الفكر الوطنى والعروبى أفدح من أى تصور ، فقبل ثلاثين سنة لم يكن أحد يجرؤ على نشر هذا التأييد والاستعداء لوصاية فرنسا وتدخلها فى شئوننا .

وقد نشر الأهرام حديثاً مع الكاتب الجزائرى الطاهر وطار جاء فيه :

« الطاهر الوطار من كتاب العربية ويؤكد أن المشكلة هى مشكلة هوية ، وقد شن معركة فى لقاء باريس ضد دعاة التغريب الذين كما قال ينكرون عروبتها ويدعون أنها ولاية من الغرب ، كان الحاضرون يتحدثون عن الأدب الجزائرى متجاهلين تماماً مانشر بالعربية . التيارات الدينية فى الجزائر ترد على فعل التغريب ، وهى مقاومة من الشخصية الجزائرية الممتدة فى الأعماق ، أعماق التاريخ ، لعمليات النسخ التى تتعرض لها من

* بحروفه الأهرام ٢ يوليو ١٩٩٢ مقال شريف الشوباشى وهو شيوعى مصري مهاجر فى باريس .

طرف شريحة اجتماعية ذات ثقافة فرنسية تسير البلاد إدارياً منذ ١٩٦٢ وحلت محل الفرنسيين (أنا أقول نيابة عن الفرنسيين ج) ولم تتنازل لتنسجم مع الشعب الجزائرى وظلت مغلقة على نفسها فاتسعت الهوة بينها وبين الشعب فأصبح لا مجال لبقائهم معا فإما هؤلاء وإما هؤلاء .

« طالبوا بتخفيض تعليم اللغة العربية فى المدارس الجزائرية لأنها كما قالوا هى التى مكنت للتيار الدينى لأن الشعب صار يفهم القرآن ! » .

« بإعلان التعددية ظهرت حوالى ثمانين جريدة فرنسية مقابل أربع أو خمس صحف عربية . على كافى مثقف بالعربية ودرس فى جامع الزيتونة بتونس وهو الذى تنبأ فور وصول بوضياف بأنه سيقتل فور انتهاء مهمته »* .

---

* ٩٢/٧/٢٦ أجراه الاستاذ عبد العظيم الباسل .

وهذا مقال آخر :

سياسة القمع تقود الجزائر للفوضى *

أعلنت الحكومة الجزائرية يوم ١٣ أغسطس عن اتجاهها لاتخاذ إجراءات عنيفة لمنع النشاط السياسى فى المساجد ، وجاء هذا الإعلان مؤشرا على أن سبعة شهور من حملة القمع والرقابة على الصحف والاعتقالات بالجملة للإسلاميين الأصوليين والأحكام القاسية بالسجن ضدهم ، قد فشلت فى مواجهة موجة السخط الشعبى المتصاعد . الدبلوماسيون والمسئولون فى المغرب وتونس يقولون أن تأكد فقدان سيطرة الحكومة الجزائرية تزيد المخاوف من أن الجزائر ذات الستة والعشرين مليون نسمة تسير حثيثاً نحو الانهيار الشامل للقانون والنظام . وإذا سقطت الجزائر فى الفوضى فإن القوة الوحيدة القادرة على تولى الأمور هم الإسلاميون الأصوليون . وهذه أنباء سيئة لتونس والمغرب ، حيث لديهم مشاكلهم مع الإسلام الأصولى كما قال دبلوماسى غربى .

فى الأسابيع الأخيرة تضاعفت علامات الانهيار فى الجزائر مع توقف الاقتصاد وانتشار الصدامات المسلحة بين الأصوليين والقوات الحكومية فى كل المدن ، والحكومة تعطل الصحف وتقيد الحريات السياسية ، واللجنة التى عينت للتحقيق فى اغتيال بوضياف كادت أن تتهم علنا جهاز الأمن فى الجيش بإعاقة التحقيق ، وهو أقوى أجهزة القمع الحكومية ، المصانع الحكومية تخفض الإنتاج من جديد كل أسبوع ؛ لأن النقص فى العملة الصعبة يجعل من المستحيل استيراد قطع الغيار ودفع أجور العمال حتى أصبحت الإضرابات يومية ، نقابة الصحفيين الجزائريين اتهمت الحكومة بأنها لم تجد حلا للمشاكل المتراكمة إلا كبت الصحافة . تصاعد عمليات العنف يثبت أن جيلا جديداً من الإسلاميين الراديكاليين قد تولوا العمل .

* يوسف ابراهيم نيويورك تايمز ٢٠/٨/٩٢ .

مناقشة لنصاب ثورى !

أود أن أناقش هنا كتاباً اسمه « الإسلام فى الأسر » .. مؤلفه هو فيلسوف النظام الليبى ويقال أنه هو مؤلف الكتاب الأخضر وهو الأستاذ « الصادق النيهوم » وهو من أبرع المثقفين العرب فى خدمة السلطة وترويج أهدافها ، وكان قد اشتهر فى زمن السنوسية باتجاهاته العلمانية وأحيانا الماركسية ، ولكن مع الإسلام الجديد الذى جاء به القذافى لتصفية الحركة الدينية التقليدية فى ليبيا ، تغير « النيهوم » فأصبح مسلما ثوريا ، وعكف على تفصيل إسلام على مقاس القذافى . وهو يزعم أنه قد جاء بفهم جديد للإسلام فى كتابه هذا ، وروَّج له الإعلام الليبى داخل وخارج ليبيا .. وقد دفعنى ذلك لقراءة الكتاب وهو يقع فى ما يزيد على ثلاثمائة وخمسين صفحة ، فما أن فرغت منه حتى وجدتنى أكتب على ظهره عبارة السيد المسيح مع تعديل بسيط : مارتا ! مارتا ! لماذا التعب واللف والدوران والمطلوب واحد ! ومقتبسا من كلمات المؤلف على طريقة من فمك أدينك يا إسرائيل قوله : « الصفة الغالبة على الإعلام العربى ، أنه إعلام مسخر علنا لخدمة هدفين سياسيين أولهما أن يتجاهل أخطاء الحكومة ، والثانى أن يمجد منجزاتها الإدارية ..» ص ٩٥ .

كنت أفضل لو اكتفيت بهذا التعليق ، فالكتاب هو كذلك بالضبط ، مجرد محاولة لتبرير وتمجيد منجزات السلطة فى بلده لا أكثر ولا أقل .. وإخفاء عورة نظامها الديكتاتورى مع إظهار الشجاعة والثورية فى مهاجمة حكومات الآخرين ! أما إذا كان لابد من الإسهاب لشرح كيف برر المثقف كل ما ارتكبه الحاكم فى ليبيا فأقول : فى كتابى : « طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية » (١٩٦٩م) فسرت نكسة الحضارة الإسلامية وعجزها عن إنجاز الثورة الصناعية ، وقد كانت منها قاب قوسين أو أدنى فى منتصف القرن الحادي عشر ، فسرت ذلك بالحروب الصليبية والاجتياح المغولى ،

وقلت أن من أخطر نتائج هذا الحدث تراجع طبقة المثقفين والتجار وتولى العسكر مقاليد الأمور فى العالم الإسلامى تحت مبرر أولوية الدفاع عن الوجود ، ولو على حساب الحضارة والتمدين أو التقدم . وهكذا تجمد المجتمع ، وتحول المثقف من دور المفكر المحاور المطور للمجتمع ، إلى نديم أو فقيه المملوك السلطان ، فهو يبرر ويحلل وينظر لحكم العسكر ثم حكمتهم !

وتتابع التراجع والانهيار ، وحتى عندما جاءت الهبَّة العثمانية التى رفعت راية المسلمين على أسوار فيينا ، ورغم المستوى الثقافى الرفيع الذى كان لأوائل سلاطينهم إلا أنهم بحكم الروح العسكرية التى كانت تسيطر على العالم الإسلامى كله رأوا الخطر عليهم من ظهور قيادة مدنية تركية لاشك أنها وحدها كانت القادرة على إقامة المجتمع التجارى المنفتح والسفر إلى أعالى البحار لمزاحمة تجار غرب أوروبا فى العالم الجديد ، ثم إنجاز الثورة الصناعية . ولكن سلاطين آل عثمان استمروا فى نفس الاتجاه الذى بدأه الأيوبيون .. فرض العسكر على الرعية . ولم تكن الإنكشارية التى اعتمدوا عليها وسلطوها على المجتمع المدنى إلا مماليك الدولة العثمانية حموها بسيوفهم وإخلاصهم ، ومدوا حدودها فى جميع أنحاء المعمورة أو الثلاث قارات المعروفة وقتها . وفى نفس الوقت قضوا على فرصتها فى دخول العصر الحديث .. كانوا أعجز أن يخلقوا حضارة وأقوى من أن يرغموا على قبولها !

ومن دلالات التاريخ أنه كما كانت الحروب الصليبية هى التى دفعت طبقة العسكر إلى الصدارة فى المجتمع الإسلامى وما ترتب على ذلك من ضياع فرصته فى العصر الرأسمالى ـــ الصناعى ، فإن نفس الحرب أحدثت العكس تماماً فى أوربا إذ خلصت المجتمع المدنى من العسكر .. فرسان أوروبا الذين ذبحهم عسكر المسلمين فحرروا عدوهم التاريخى ! واستعان ملوك أوربا بالمثقف والتاجر فى بناء الأوطان الموحدة والمجتمع المدنى ثم حضارة العصر الصناعى أو النظام الرأسمالى الذى استخدم العسكر لبناء الإمبراطورية ولم يستخدمه العسكر .

ولكى لايسىء أحد فهم كلامى أو يسىء استغلاله ، أوضح أن المقصود بحكم

العسكر ، هو حكم المؤسسة العسكرية وليس وجود جندى فى السلطة أو على رأس السلطة ، فلاشك أن نابليون كان عسكرياً أكثر من الشقيين مراد وإبراهيم وتاريخه فى الجندية يزرى بتاريخهم ، ولكن الجيش لم يكن يحكم فرنسا فى ظل نابليون بينما العسكر كانوا يحكمون مصر ، ونفس الشيء عن موشى ديان وإسحاق رابين وإيزنهاور وبوش فكلهم يفهمون وعملوا فى العسكرية أكثر من ناصر وعامر وشمس بدران والقذافى وجلود لكن حكمهم ليس حكم العسكر ، بينما هو كذلك بالنسبة للعصابة الناصرية ، وفى ظل الدولة الحديثة لا يتصور وصول فرد للسلطة بدون أن يؤدى الخدمة العسكرية بل إن تاريخهم فى خدمة العلم يعد مادة طيبة للدعاية الانتخابية ولكن هذا يختلف تماماً عن حكم العسكر الذى نعنيه .

سيطرة العسكر منذ القرن الثانى عشر إلى اليوم هى لعنة العالم الإسلامى ، والسبب الأول لتخلفه ، فالنظام الصناعى الذى يحلم به هذا العالم أو المصرف الذى يعبده النيهوم من دون الله ، لا ينجزه إلا مجتمع يحكمه المدنيون وتتحاور فيه المصالح بالمنطق ، وليس بالسنكى ، تلك قضية تؤلف فيها الموسوعات .. فلنقصر حديثنا هذه المرة على العلاقة بين المثقف الذى أصبح رعية ، والعسكرى الذى أصبح حكومة .

فمنذ ذلك التاريخ وإلى اليوم يتعرض المثقف المسلم لاغتصاب العسكر ، وتتفاوت مواقف المثقفين .. منهم من يرى برهان ربه فيستبق الباب هارباً بدينه وشرفه الثقافى ويقدُّون قميصه من دبر ، كما فعل المثقفون المصريون زمن فرعون ، قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات ، وكما فعل المئات وربما الألوف من الذين شنقوا وعذبوا أو تشردوا منذ انقلاب الجيش العثمانى الأخير ، الذى قضى مرة أخرى على آخر محاولة للخروج من هذه الدوامة ، والتى بدأت ، أعنى محاولة إخضاع المؤسسة العسكرية بحكم أسرة محمد على .

ومنهم من يوضع فى قميص المجانين أو يسلم الروح ، ولا يفرط فى قميصه .. ومنهم من لا ينجح فى الإفلات ولكنه يقاوم حتى يقد قميصه من قبل ومن دبر ، والغالبية تكتم عارها وتستسلم مكتفية بلعن المنكر فى صيغة أضعف الإيمان ..

ولكن هناك فئة فضلت التكسب بقميصها فهى تخلعه راضية وتفرشه للمغتصب على الرملة ، ويعلنون رضاهم وامتنانهم لما يفعله العسكر .. وبعضهم ، وهم شر الناس ، يفلسفون الاغتصاب وينظِّرونه ويدعون أنهم هم الذين اقترحوا الاغتصاب ، وأن الأمة كانت تتمنى هذا الذى يفعله العسكر بها وهو العلاج الوحيد لكل متاعبها !!! من هؤلاء الفيلسوف الكبير الاستاذ صادق النيهوم ، ودعكم من كل العجيج والضجيج الثورى الذى يغطى به ثقب قميصه .

عسكر ليبيا لا يحبون الديموقراطية على الطراز الغربى ، وكبيرهم لايسمح بالأحزاب ولا البرلمان ولا الانتخابات ولا حرية الصحافة .. وهذا ما يوافقه عليه النيهوم حرفيا ، ويتطوع بأن يعلن شرعية ذلك ، إذ أن هذه الديموقراطية لاتصلح لأمتنا ! فهى ممنوعة ليس بسبب الديكتاتورية بل لأنها رجس من عمل الشيطان كما يقول الفقيه التقليدى ، أو من سلوكيات الملائكة لا يطيقها العربى ولا فرضت عليه ، لا تصلح لنا ولا نصلح لها كما يقول الفقيه المودرن أو النيهوم الفيلسوف : « الصحافة والدستور والحرية لا مكان لها فى المجتمع العربى أو الإسلامى المعاصر أو العالم الثالث خلف جبل طارق لأنها نظام خاص بالغرب وحده . شرط قيامها هو وجود نظام رأسمالى غربى وهو لايمكن تقليده أو فهمه أصلاً إلا فى مجتمع صناعى يشكل فيه رأس المال قوة قادرة على ردع الإقطاع ويشكل فيه العمال قوة قادرة على ردع رأس المال ومن دون هذا التنازل المعقد .. لا نستطيع أن نكون مثل الأوربيين » ص٢٢

أرأيت ؟! لقد عمل العقيد مافيه صالحنا وعسى أن تكرهوا ..!

والنظام الليبى اخترع حكاية اللجان الشعبية أو الجماهيرية التى يحاولون نسبتها أو وصفها بالديموقراطية المباشرة التى كانت تطبق فى بداية حضارة المدن فى اليونان القديمة ، ويطلقها البعض على نظام الحكم فى سويسرا ، وفى اللجان الجماهيرية تجتمع الجماهير كل الجماهير وتصوت على جميع القرارات من توزيع الخبز إلى إعلان دمشق والتخلى عن العروبة ! الغالبية العظمى من المثقفين الليبيين وجمهرة المثقفين العرب قبلوا ذلك وتعيشوا .. ولا أقول تعايشوا — ولكن النيهوم يريد أن يكون فقيه النظام ، المحلل

الذى يفتى للسلطان بما يريد .

وقد نظَّر النيهوم الواقع السياسى للنظام الليبى .. بعبقرية يحسده عليها فقهاء السلطان خوشقدم !!

هو لا يهاجم الديموقراطية .. لا .. هو أذكى من ذلك .. الديموقراطية هى أعظم نظام لكن لاحظَّ لنا فيها ومن العبث المطالبة بها لأنها اختراع غربى نشأ مع المصرف ، والمصرف ظهر مع استعمار العالم الجديد ، وبما أننا لم نحضر حفلة اكتشاف أمريكا فلا يمكن أن تقوم عندنا ديموقراطية بل يتحتم على السلطة المصلحة أن تحل وتمنع كل الأحزاب لأنها ظاهرة مستوردة فاشلة وأفشلت جهودنا نحو التقدم وسرقت الحرية من الشعب .. يقول الفيلسوف أو المفتى الثورى : « الأحزاب ليست ضمانة للديموقراطية إلا فى بلد فاحش الثراء عايش تجربة الثورة على الكنيسة وشارك فى الغارة على قارات المحيط ..» ص ٢٣

« بدون هذه الشروط مجتمعة تصبح الأحزاب مجرد نواد سياسية معرضة لإغلاق أبوابها فوراً عند أول انقلاب يقوم به رجال الدين كما حدث فى إيران ، أو الجيش كما حدث فى مصر.. » ص٢٣

ألم يحدث فى ليبيا ؟!!

« فالديموقراطية القائمة على تعدد الأحزاب صيغة رأسمالية محضة تخص الأوربيين الرأسماليين وحدهم ولا يمكن نقلها إلى بيئة أخرى » ص ١٨٤ .

« والثابت أن هذه الصيغة لم تنجح فى أى مكان خارج بيئتها الرأسمالية .. ولو كانت الجدية صفة من صفات ثقافتنا العربية لما ارتفعت الآن هذه الدعوة المضحكة إلى نظام الأحزاب فى وطن عاش تجربة الأحزاب من قبل » ص ١٨٨ .

هذه فتاوى جديرة بأن يكتبها طغاة العالم الثالث بالإبر على آماق البصر ، وهم يكتبونها فعلا بالسياط على جلود الشعوب ! وكان عملاء القذاف فى بلادنا يدعون غيرتهم على الديموقراطية وتعدد الأحزاب ، وها هو فيلسوف النظام الليبى ينسف أى

أساس للمطالبة العامة التى تجتاح العالم الثالث اليوم من أجل حق تشكيل وتعدد الأحزاب !!

وطغاة ليبيا لا يحبون البرلمان ولا الانتخابات وقد جاء فى الكتاب الأخضر أن التمثيل تضليل ، وهنا يتقدم المفتى لينظر ذلك ويحلله فيقول إنه لايمكن قيام برلمان إلا بالأحزاب ولا أحزاب ولا صراع إلا إذا قام المصرف وأصبح المجتمع من طبقتين طبقة العمال وطبقة الرأسماليين وحيث إن .. إذن لا يكون .. ومايجرى هو بالضبط مايجب أن يكون فكل نم باطمئنان واقرأ الفاتحة للسلطان ! « البرلمان استوردناه من خارج عصرنا » ص ٣٢ « لا تملك لغتنا العربية كلمة عربية تعنى البرلمان » ص ٤٧ ، وهو يرفض الشعب وطريق الشعب « الذى سار عليه عبد الناصر والسادات » ص ٤٠ « إن الشعب كلمة سامة لأنها تصبح بديلاً عن شريعة الجماعة » ص ٤٠ ، بل وأصلها يهودي كان !

ويلخص رأيه بأنه يدعو للديموقراطية المباشرة التى هى « ليست الفوضى وليست فكرة خيالية بل هى فكرة حية ومعمول بها فى بلدان كثيرة على درجة عالية من التنظيم والتطور منها دولة الاتحاد السويسرى التى تجمع أربعة شعوب مختلفة تحت قبة برلمان واحد » ص ٣٦٤ وهو لم يجد مثالا إلا سويسرا ولو وجد لذكر وافتخر ومن ثم فقوله فى بلدان كثيرة هو من باب التغرير بالشعب ، فعل سحرة كل فرعون ! وحتى فى حديثه عن سويسرا لم يكن أميناً مع قرائه إن كان يعلم ، ولا مع نفسه إن كان يجهل وصدق أن سويسرا تحكمها اللجان الشعبية ! أو أن الديموقراطية المباشرة فى سويسرا تعنى النظام الليبى فلا أحزاب ولا برلمان ولا انتخابات !..

ولا يجوز أن يردد الجهل الذى يقال فى أزقة العالم العربى على صفحات المجلات والكتب التى قد تصل إلى يد مثقف .. لا يجوز القول بأن سويسرا تحكمها اللجان الشعبية ، فسويسرا منذ ١٨٤٨ يحكمها برلمان من مجلسين على طراز الكونجرس الأمريكى ، مجلس نواب من ٢٠٠ عضو ومجلس المقاطعات أو الكانتونات ، والمجلسان أو البرلمان السويسرى يختار الحكومة ويراقب نشاطها ، وفى سويسرا ١٢ حزبا رئيسيا ممثلون بالبرلمان ويشكلون ٨ تكتلات برلمانية وفى الانتخابات الأخيرة كان ٤,٢ مليون

لهم حق الانتخاب و ٢٤٠٠ مرشح على ٢٢٢ قائمة ، ويحتكر الحكم فى سويسرا منذ ١٩٥٩ تحالف من أربعة أحزاب ، أما الديموقراطية المباشرة فى سويسرا والتى تسبب الخلط فى بعض الأذهان ويستخدمها البعض لتبرير قرارات الشرطة عندهم ، فهى تعنى حق الشعب فى اقتراح القوانين أو طلب إلغاء قانون أو تعديل الدستور ، كما تعنى الاستفتاء الشعبى الذى أخذ به السادات وأسرف . فى سويسرا يحق أن يطلب خمسون ألف مواطن إعادة عرض قانون أقره البرلمان فى استفتاء عام ، كما يستطيع المواطنون طلب تعديل الدستور بشرط أن يجمعوا مائة ألف توقيع خلال مدة أقصاها ١٨ شهراً . ثم يطرح المطلب للتصويت العام ، ويشترط حصوله على أغلبية عامة على مستوى الدولة كلها ، وأغلبية الكانتونات وهى الوحدات التى تكون الاتحاد السويسرى الفيدرالى ، فالاستفتاء الذى تجريه الحكومة والاستفتاء الذى تجبر عليه الحكومة هو العناصر الرئيسية لما يسمى بـ « الديموقراطية المباشرة » وفى داخل الكانتونات يصوت الناخبون على كل إضافة للميزانية فوق حد معين ، وكما حدث فى مصر يعترض الكثير من فقهاء القانون والسياسيين فى سويسرا على أسلوب الاستفتاءات لأنهم يعتقدون أنها وسيلة لتضليل الشعب لحساب المصالح الاحتكارية الكبرى التى تتمكن من خداع المواطن العادى بعكس الحال مع النواب فى البرلمان .

أما عن ديموقراطية الهواء الطلق كما يسمونها فى سويسرا وهى القشة التى يتشبث بها النبهوم ، فهى تمارس فى خمسة كانتونات فقط من ٢٦ ، وذلك حين يجتمع الشعب كله لإقرار ميزانية الكانتون والقضايا المهمة فيه ، وقد أصبحت أشبه بمهرجانات لإحياء التقاليد وجذب السياح ، ففى كانتون « أبانزل » لابد أن يحمل الرجال السيوف لإثبات حقهم فى التصويت (لأن حمل السيوف كان محظوراً على العبيد والنساء) وقد اضطروا لإعطاء النساء ترخيصاً كتابياً بالحضور .. وهذا يؤكد أنها تقاليع ومهرجانات سياحية وليست طريقة جادة لحكم البلاد .

الجامع لا المسـجد !!

ونظام القذاف الذى يرفض الديموقراطية بالصيغة العالمية المعروفة يرفض أكثر الدعوة الإسلامية ، ولكنه لأسباب جماهيرية وتاريخية لا يستطيع معارضة الإسلام من أساسه ، ولا حتى في حدود مافعله أتاتورك ، ومن ثم فهو يدعى التمسك بجوهر الإسلام ويترك للمثقف المغتصب طرح صيغة أو تفسير للإسلام لا تهدد سلطته ولا دوره فى إطار المسموح به عالمياً .. وهذا ماقام به النيهوم بجهد يثاب عليه من العقيد بدون شك .

فالديموقراطية التى يبشر بها النيهوم ، بعد أن شرق وغرب وأتى بكل طريف ومستغرب ، هى اللجان الجماهيرية ، ولكنه لو قال ذلك لما أصبحت له ميزة عن غيره من موظفى الإعلام الليبى ، ومن ثم يفاجئك الفيلسوف بقنبلة الجامع .. « لابد من العودة للجامع فهو بداية ديموقراطيتنا هو الحل لمشاكلنا هو المحرر للإسلام الأسير والمسلمين المستضعفين ، هو البديل عن المصطلحات الديموقراطية الرأسمالية إنه مقر مفتوح فى كل محلة يرتاده الناس خمس مرات كل يوم لهم حق الاجتماع فيه ، حتى خلال ساعات حظر التجول . تحت سقفه مكفولة حرية القول ، وحرية العقيدة وسلطة الأغلبية ، فى لغته كل المصطلحات المطلوبة ، وكل كلمة حية ترزق » .

و « المسلم لكى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يجب أن يكون له صوت مسموع فى إصدار القوانين وكلمة لا إله إلا الله تعنى أن أحداً غير الله لا يملك السلطة (كيف إذن أعطيت السلطة للجان أو لمجلس الثورة أو زعيم الثورة ؟ ج) وليس له أن يتخذ القرار إلا بعد إحصاء الأصوات » ص٢١ .

« من دون الجامع لا نملك مايضمن للجماعة حق إدارة شئونها سوى صحافة من دون سلطة ودستور لا يحتاج إليه أحد ، وديموقراطية صعبة النطق ، لا يعرف مواطننا من أين يكلمها هذا هو نصف حصيلتنا من دون الجامع » ص٢٢ « الله سمى البرلمان بالجامع ودعا الناس للاجتماع فيه مرة فى الأسبوع » ص٤٩ « تسليم السلطة المباشرة للناس عن طريق الشورى المباشرة فى الجوامع » ص٣١

وقبل أن تصيح الله أكبر ! هل أسلم عمر بن النيهوم ! قبل أن تستثار كما حدث للبعض .. وتتصور أن النيهوم يريد العودة إلى المسجد حيث بدأت حضارتنا ، سوف تتذكر أن هذه المبادىء محظورة فى ليبيا ، وينكل بمن يدعو لها عن يقين .. فكيف يطالب النيهوم بالعودة إلى المسجد أو حتى بحكم المسجد ؟

هيهـــات !!

إنه عبقرى من الطراز النادر .. ولعله وصف فكره فأبدع عندما قال : « تعرضت الأغلبية لحملة نفسية مروعة قادها السحرة منذ عصر سومر لتبرير سلطة الملك ـــ الإله فى برنامج معقد من الخرافات والأساطير استهدف تخريب عقول الناس وحرق كل جسر يربطهم بواقعهم » ص٤٢ .

إن هذا تعريف شديد الدقة لما يقوم به الساحر المعاصر صادق النيهوم ، فهو يقصد الكتاب الأخضر واللجان الشعبية وليس القرآن .

هو يتحدث عن الجامع وليس المسجد ..

وإذا كان النيهوم يرفض البرلمان كما يرفضه كل العسكر ولكن على أساس أن كلمة برلمان لا وجود لها فى لغتنا ! إلا أنه لايتمسك بهذا الاعتزاز الوطنى فى نظريته عن المسجد إذ يرفض اللفظ الذى ورد فى القرآن لأنه يرفض المضمون الإسلامى للمسجد ويصر على كلمة الجامع التى لم ترد ولا مرة واحدة فى القرآن ولا فى السنة لأنه يريدها أن تدل على مفهوم معين يراد له أن يروج بين المسلمين ليحرفهم عن دينهم ويمكن لأسياده . وهو على أية حال يرفض السنة ، وهو فى ذلك لا يساير العسكر وحدهم بل الخوارج الذين مازال نفوذهم الفكرى يترك بصماته على تفكير الليبيين حتى النيهوم !

هو ضد المسجد الذى يضم المسلمين المصلين والعابدين والعاكفين وهو يريد جامعاً يجمع الناس « بغض النظر عن دياناتهم وشعائرهم » ص٤٩

« المسجد فكرة قديمة عرفتها كل الحضارات ، ولها اسم فى كل لغة أما الجامع فهو فكرة أخرى لم يعرفها أحد ولم يدع له أحد إلا الإسلام » ص٣٣ .

نعم ولا عرفها الإسلام ولا الله سبحانه وتعالى الذى فضل لفظة المسجد ولم يذكر الجامع قط !

الجامع الذى يطالب به النيهوم هو النقيض لمسجد المسلمين ولا يمكن أن يكون إلا كذلك فهو مكان يريد النيهوم أن يجمع فيه : « الناس المتفرقين بين المساجد والكنائس والمعابد فى جهاز إدارى موحد .. هذا الجامع لم تعرفه ثقافتنا العربية أبدا لأنه انتهى قبل أن تولد وتركها تنمو فى المساجد لكى تصبح نصف ثقافة لغتها تقول شيئا وواقعها يقول شيئا آخر .. » ٣٣

فالمسجد كان النكسة والمطلوب الآن تحرير الجامع من المسجد ، من الإسلام وسيطرة المسلمين ، وجعله مرتعاً لغزلان وملتقى صلبان ونجمة داوود .. وقبل أن نستطرد نقول أن النيهوم رافض للإسلام المتعارف عليه ولا أظن أننى بذلك أهاجمه ولا أحرض عليه (أحرض من يا حسرة وقد أصبح الطريق مفروشاً بالورود لكل من يسب الإسلام) ولكنى أصحح وضعاً مغلوطاً ، إنه لموقف يثير الألم ، وأعنى محاولة هؤلاء المثقفين التمسح بالإسلام وهم يرفضونه من الأساس ، ما الذى يمنعهم من المجاهرة بإلحادهم ؟ إنهم يحلمون بدور مارتن لوثر ولكن لايملكون شجاعته ولا هم على استعداد لتحمل تبعات موقفهم ، يريدون أن يتوجوا أصحاب دين جديد بلا صلب ولا حتى معاناة بل بمجرد التشدق ببعض كلمات من مكتب مكيف الهواء أو يملون على سكرتيرة إيطالية أو فرنسية الثقافة من تليفون السيارة !

النيهوم يدعو لدين جديد غير الإسلام الذى يتبعه المسلمون واتبعوه ، هو ضد حديث أركان الإسلام الخمسة فهذا الحديث « هو الذى أضاع الإسلام ومكن بنى أمية من سلب حقوق الناس » (ليس حديثنا هنا بهدف نقد أفكار النيهوم ، وإنما تأصيلها ، ردها لجذورها وكشف ادعائه لثورة كاذبة وإلا لقلنا متى وكيف مكن هذا الحديث بنى أمية من سلب حقوق الناس .. هل توجد دولة فى تاريخ العالم واجهت ثورات وتمرد مثل دولة بنى أمية فأين تأثير هذا الحديث ؟ شقشقة وتهويش وتلت ورقات ! ج) والنيهوم ينكر البعث ص ١٠٨/١٠٧/٨٣ وينكر الآخرة ١٠٤ وينكر الجنة ١٠٩ وهو يرفض

الصلاة كعبادة ويعتقد أنها ضرب من اليوغا أو برنامج رياضي لجين فوندا سابق لعصره ص ١٢٧ « إن حركات الصلاة الإسلامية ليست رموزا بل أوضاعا يتخذها المصلي لتمرير ضغط الهواء فى جميع أنحاء جسده بتوقيت الشهيق والزفير » ص ١٢٩ ؛ ولأن فقهاء الإسلام لم يكونوا يتقنون علم الشهيق والزفير مثل النيهوم فإنهم لم يكتشفوا أبداً لماذا « اختار الرسول عليه الصلاة السلام هذه الحركات من دون سواها ، مما دعاهم إلى تفسيرها تفسيراً بلاغيا بحتا فالوقوف فى الصلاة هو المثول بين يدى الله والسجود هو إبداء الخضوع .. إلخ » ١٣٤ هذا هجص لا قيمة له ولكن البعض يعتبره شجاعة وجرأة على المقدسات ــ صحيح ! لو كان كاتبه يعيش فى طهران أو الرياض ــ ولكن حيث هو ــ لا شجاعة ولا دياولو ! بل هو مسح حذاء !

وهو غاضب جداً لأن أطفالنا يجبرون على تلاوة القرآن قبل أن يتموا العاشرة وغاضب لتحريم الفقه زواج غير المسلم بالمسلمة ص١٥١ وهو يرفض قول القرآن إن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام ويرفض ما جاء به عن خلق آدم وحواء ص ١٦٥ وكل ماورد عن قصة موسى وفرعون ص١٦٦ تحريم الربا « غلطة اقتصادية مميتة » ص ١٥٤ والإسلام دين عنصرى لأن المسلم يعتقد أنه « هو عبد الله الصالح الذى وعده ربه بالخلود فى الجنة ووعد غيره بالخلود فى النار ، إنه مثل الرجل الأبيض الذى يعتبر لون جلده مبررا شرعياً لكى يشعر بالتفوق » .

هل الدين الذى يقوم على الاختيار الحر والمفتوح لكل من شاء مثل لون الجلد ــ ألم نقل إننا أمام نصب فكرى ؟! ولعل القارىء قد لاحظ أنها نفس القضية التى تثار عندنا بين الحين من عناصر معروفة الانتماء حول خطأ المسلمين فى الاعتقاد بأن الجنة يدخلها المسلم فقط .. هل هم كما يقول المثل المصرى « تفين فى بق بعض » أو أن محركا أكبر بصق خبثه فى فمهم جميعاً وهم يتقيأون بصاقه فى صحافتنا ؟! هل المسلم وحده الذى يقول أن عقيدته هى الصواب ؟! ألا يقول ذلك اليهودى والمسيحى بل حتى القذافى ؟!

ويتابع « وهى فكرة تناقض نصوصاً قرآنية صريحة لكنها أصبحت قاعدة لقوانين إسلامية متعددة منها تحريم زواج المسلمة غير المسلم (القانون الليبى يحرم زواج الليبية

من المصرى أو السودانى .. إلخ ـــ وكما قلنا أن الإسلام قطع نصف الطريق بأن أباح الأسرة المتعددة الأديان ، بزواج المسلم من غير المسلمة وهذه خطوة لم يقم بها أى دين آخر ، فهل يستحق الذى قطع نصف الطريق أن يخص بالهجوم والنقد بينما لا ينتقد موقف الآخرين الذين يرفضون إلى اليوم زواج الرجل أو المرأة ولو حتى من مذهب آخر داخل نفس الدين .. عجبى !) يقول : « وإباحة دم المرتد واعتبار غير المسلمين أنجاسا لا يحق لهم دخول الأراضى المقدسة (يا سبحان الله ، إعلامه سلخ جلد أهل الخليج لأنهم سمحوا للمشركين بدخول حفر الباطن التى تبعد ألف ميل عن الأراضى المقدسة وها هو يطالب بإدخال المشركين البيت الحرام ، ولعل هذا يكشف أكذوبة تمسحه بالقرآن وادعاء أنه يرفض إسلام الفقهاء ، فالقرآن هو الذى قال صراحة : ﴿ **إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** ﴾ (التوبة) فالذى قال أن المشركين أنجاس هو القرآن والذى منعهم من دخول المسجد الحرام هو الله فى القرآن ، والنيهوم يعترض على ذلك ـــ فلماذا النفاق والرياء والجبن وادعاء أنه يعارض ، السنة أو الفقهاء فقط وليس القرآن ! على من يضحك وإلى متى نزيف ونضلل ونقول غير مانعنى ؟! قلها وتحمل نتائجها وأنت تعلم أن كل الغرب الصليبى وعملاء كافة الأجهزة سيهبون للدفاع عن حقك فى الكفر !ج) « وتحريف مفهوم الجهاد من معركة لإقرار الديموقراطية إلى حرب ضد بقية الأديان » ص٢٠١ (وهو سخف وافتراء ! فمتى حارب الإسلام بقية الأديان .. والله لولا سيوفنا لفنى أكثر من دين وملة ، ولكن هذا هو خلف كجلد الأجرب يفترى علينا بما يفتخر تاريخنا بخلوه منه !)

النيهوم عندما يتحدث عن الجامع هو يعنى اللجان الشعبية وليس المسجد فهو ضد المسجد الذى أضاع الجامع « ضاع الجامع وراء المسجد » ص ٣٦٣

وهو ضد الحل الإسلامى والإسلاميين مثل السلطة كل السلطة فى العالم الثالث بل ومثل حكومة فرنسا وأمريكا وتل أبيب .. إلخ فهو يقول : « فالدعوة التى ترتفع حالياً فى أرجاء الوطن العربى مطالبة بإحياء الإسلام دعوة لا تطالب بإحياء صوت المواطن المسلم فى مؤتمر يوم الجمعة بل تهدف إلى تكريس إلغاء الحوار باسم الإسلام نفسه » ص ٩٢ ثم يفقعنا حكمة : « الإسلام الذى يبشر به القرآن ليس شريعة تطبقها دولة بل دولة

أخرى فى حد ذاتها » ص ١٢٤ وأم جحا فاعلة إن كان قد فهم شيئا !

وهو يزيدنا تعريفاً بجامعه الذى هو نقيض مسجدنا فيقول : « جامعه بيت لاتسرى عليه قوانين الدولة » ص ٨٨

إن كان يقصد اللجان الجماهيرية فهو يخدعنا لأنها تشكلت بموجب قرار من رئيس الدولة وتسرى عليها قوانين الدولة بالطبع وبالوضع ، وإن كان يتحدث عن مسجد المسلمين فهو بالطبع تسرى عليه قوانين الدولة التى تشرعها بموجب دين المسجد ، وقد يكون التشريع فى المسجد أو خارجه ولكن المهم هو أن يكون بواسطة أهل الحل والعقد وبموافقة الأمة بالأسلوب الذى يضمن شرعية وجدية ونزاهة وصدق هذه الموافقة ، المسجد لم يصنع المواطن الحر بل صنعه القرآن والسنة .. نعم السنة التى علمت المسلم أنه لاقدسية لبشر ولا عصمة لقرار ، بل حتى قرارات رسول الله فى أمور الدنيا قابلة للخطأ وللمراجعة والتصحيح .. المسلم الذى تعلم ذلك فى غزوة بدر هو الذى علم المرأة أن تصيح فى المسجد : ليس لك هذا ياعمر ! وعمر تعلم من سنة الرسول أنه لابد أن يرجع عن الاجتهاد الخاطىء متى نبه له .. فالأصل هو الإسلام ، هو المجتمع المسلم هو المواطن المسلم ، أما الجامع الذى يضم كل الأديان فقد ظننا فى البداية أنه دعوة بهائية ستكشف عنها الأيام ، حتى وقع فى يدنا تقرير عن آخر مؤتمرات المبشرين الذى انعقد فى الولايات المتحدة ووضع خطة تنصير العالم الإسلامى ، التى أوردت مشروعا كاملا لخلق ماأسموه بالجامع العيسوى وهو مايقوله النيهوم حرفيا ، ونعتقد أن العاملين فى تنفيذ هذا المخطط منتشرون فى الإعلام العربى ، ويرددون نفس دعوته (ولمن شاء التفصيل فلينظر كتابنا : ألا فى الفتنة سقطوا) .

الإسلام كما نعرفه يرفض سياسة القطيع الذى يحشد فى مكان عام ويصيح موافقون موافقون ، أو مايسميه النيهوم وزعيمه بالديموقراطية المباشرة . ولما حدث ذلك بادر رسول الله بأبى وأمى فقال لا .. ولكن اختاروا من بينكم نقباء يرفعون إلينا رأيكم .. صلوات الله وسلامه عليه ، هذه هى الديموقراطية الحقة دون حاجة للمصرف اليهودى ولا غزو أمريكا وإبادة الهنود الحمر ولا إدخال اليهود مسجد المسلمين !

يتقيأ النيهوم : « وقد تعمد رسول الله أن يوكل إمامة الصلاة الجامعة إلى المسئول السياسى شخصيا لتسهيل مهمة الحوار السياسى بالذات » ص٨٩ .

يعنى إيه ؟! هو كان فى مسئول سياسى ومسئول مخابراتى ؟! حذلقة وفذلكة !

وتحلو له لعبة البيضة أو الفرخة أو حاورينى ياطيطة فنحن لا نستحق البرلمان ولا الديموقراطية قبل أن نمتلك المصرف ولا سبيل للمصرف إلا بالديموقراطية . و« تطبيق الشريعة يحتاج أولاً إلى مجتمع شرعى » ص ١٢٣ ولا يخبرنا كيف يصبح المجتمع شرعيا أو « كوشير » من غير شريعة أو قبل أن نطبق الشريعة !

« إن كل قانون تسنه الشريعة تحت سلطة الإقطاع يصبح قانوناً مسخراً لخدمته وكل سلاح تشهره الشريعة للدفاع عن الناس يتحول إلى سلاح إلهى ضدهم لأن الخلطة نفسها مستحيلة من أساسها » ١٢٤ .

الخلطة فاسدة جداً ، الشريعة لا تشرع تحت سلطة الإقطاع وإنما هو الإقطاع الذى يشرع حتى لو ادعى أنه يشرع باسم الشريعة فنحن غير ملزمين بتصديقه ، والثورة على الإقطاع تمت باسم الشريعة وهى التى حررت الإنسان المسلم من ذل الإقطاع قبل إنسان أوروبا بألف سنة . لم يكن فى العالم الإسلامى حق الليلة الأولى ولا بيع الذين ولدتهم أمهاتهم أحراراً ولا كان الفلاح المسلم يعتقد أن دم النبيل أزرق .. إلخ .

دعنا من الجامع والمسجد ونتوقف قليلاً عند تسبيح النيهوم بالمصرف والنظام الرأسمالى ، وسنكتشف أنه إنما يعبر عن إعجابه وامتنانه لليهود فهم الذين أهدوا البشرية مفتاح الكنز فهم أصل الحضارة واقرأ هذا :

« جلس قادة العبرانيين الهاربين برؤوس أموالهم من مصر (حتى التوراة اعترفت أنهم سرقوها من المصريين ولكن الكاتب الليبى الثورى يشهد بأنها رؤوس أموالهم ! حقهم هربوا بها من الطغيان أو النهب المصرى ! ج) لكى يكتبوا النسخة الأولى من دستور الدولة الرأسمالية الحديثة ويؤسسوا أول جمهورية ديموقراطية فى التاريخ (دولة على رأسها نبى ويديرها كهنة وبموجب لوح عليه وصايا من السماء هى دولة ديموقراطية

وجمهورية لمجرد أنها يهودية الدين ؟! أما الإسلام فمحرم ورجعى طوال عمره فهو يقول : « إن أربعة عشر قرناً من الإسلام لم تنتج فى واقع العرب سوى حكومة إسلامية واحدة » ١٩٨ هى حكومة عمر التى دامت عشر سنوات ، أما دولة اليهود التى قامت على الذبح والتذابح فقد وضعوا أول دستور ديموقراطى وأول جمهورية بل الدستور الأم الذى بقى إلى اليوم ، فهو يتابع : « وهو دستور سوف يستعيره اللورد كرومويل ، عندما يفتتح عصر الجمهوريات الأوربية ضامنا لليهود جميع حقوق التأليف » ص ١٤٦ .

ولا مناحم بيجين فى جهله وصلفه قال ذلك أو يمكن أن يدعى أن اليهود هم أصل الحضارة ! هذه طبعة جديدة شديدة الادعاء للتوراة ، وتقرب كاتبها من جائزة بيجين ولو كانت مجردة من أى أساس أو حياء علمى !

اتقوا فتنة بطرس غالى ...!

أخشى على أمتى فتنة بطرس غالى ، فقد لاحظت أن الدهشة من مواقفه تحولت إلى نقمة ، وتعالت الأسئلة حتى من الصحافة الأجنبية حول موقفه العدائى من مسلمى البوسنه والهيرسك ، حتى خيل إلى أن هناك من يتعمد إبراز مواقفه هذه ، وكأنه يخاطب آذانا تريد أن تسمع ، وأخرى يريد هؤلاء إجبارها على أن تسمع ، فى إطار إشعال الفتنة فى مصر ، انطلاقا من فرضية خاطئة هى أن الرجل محسوب على الأقباط ، ولأن وحدتنا تمر بظروف عصيبة تستوجب الحذر والاهتمام وسد المنافذ التى يمكن أن تنفذ منها النسمات قبل أن تتحول إلى أعاصير ، ولأنه فى القضايا المصيرية لايجوز إلا الصراحة الكاملة ، وبلا حساسيات ، لذا أقول أنه عندما انتخب بطرس غالى سكرتيراً للأمم المتحدة كان تعليقى ، إن هى إلا فتنة .. إنه جورجينا رزق أخرى ، ولا أريد أن أشرح ذلك الآن ، وقلت أن تاريخ الرجل مثقل بما يغنى عن التحيز له أو التحيز ضده ، وأنه من الخير لنا جميعاً أن ننسى نسبه وتاريخه بل وجنسيته ، فقد أصبح شخصية دولية ، ومن ثم نبدأ محاسبته على مواقفه فى الأمم المتحدة .. وقد بدأ الرجل بأن روّع العرب بإعلانه أن القرار ٢٤٢ لا يفرض بالقوة ، وتطوع من فسره بأنه يعنى أن القرار غير ملزم لإسرائيل ، وعلقنا نحن يومها أن تصريح الدكتور غالى هو من باب لزوم ما لا يلزم ، إذ تطوع بتفسير كنا فى غنى عنه فلا أحد سأله .

ولما بدأت مذبحة المسلمين فى البوسنة كشفت وكالة رويتر عن تقرير سرى وزعه الدكتور على أعضاء مجلس الأمن يحذر فيه من إرسال قوات لفتح مطار سراييفو ما دام القتال دائراً ، وعند أول مقاومة من الصرب بادر بسحب قواته ، وكان يعاقب الصرب بوقف المعونة للمسلمين ! وسخرت منه التايمس البريطانية قائلة إن « الأمين العام لا يريد التدخل بحجة أن الأمم المتحدة لو تدخلت فسيكون ذلك ضد بعض الفئات فى

سراييفو .. !! » وقالت النيويورك تايمز « الأمم المتحدة فشلت فى مواجهة الأزمة » .

وعشية اجتماع مجلس الأمن لإصدار قراره بالعقوبات الاقتصادية بعدما اضطر أشد أنصار بلغراد للاعتراف بالعدوان الصربى على دولة مستقلة ذات سيادة عضو فى الأمم المتحدة .. فاجأ الدكتور غالى الدنيا كلها ، وليس المسلمين وحدهم بإصدار تقرير يبرىء ساحة سفاح بلغراد وينسف كل شرعية للقرارات التى أصدرتها الأمم المتحدة ، بالزعم أنها حرب أهلية ، وأن بلغراد لا دخل لها فيها ! ولن أضيف حرفاً من عندى بل سأترك الحديث لصحيفتين بريطانية وأمريكية لم يعرف عن أى منهما ميول أو ارتباطات أصولية ، لا بالوكالة ولا بالأصالة !

قالت الجارديان البريطانية : « طلبت بلغراد إلغاء العقوبات استناداً لتقرير من بطرس غالى نسف الإجماع السائد على إدانة الصرب بإراقة الدماء فى البوسنة ! وقد عبر الدبلوماسيون الغربيون عن حيرتهم فى تفسير هذا التقرير الذى نشر بعد يومين من قرار مجلس الأمن الدولى بفرض عقوبات شاملة على بلغراد ، وقالوا أن التقرير كارثة . إن القرارات التى صدرت كانت تهدف لوقف الحرب فى البوسنة وأيضاً لقلب حكومة سلوبدان ميلوفيتش رئيس صربيا ، ولكن تقرير بطرس غالى يدمر هذه الجهود . وفور نشر التقرير ، طالب رئيس جمهورية الصرب بإلغاء العقوبات ، وقال إن التقرير قد أعاد ثقة الصرب فى الأمم المتحدة . كما قام الإعلام الخاضع لإشراف الدولة فى بلغراد بإبراز فقرات من التقرير تعزز ادعاء الصرب بأنها بريئة من دم البوسنة . والتقرير يصف القوات الصربية الموجودة فى البوسنة بأنها عناصر مستقلة ، ويثير الشك حول سيطرة بلغراد عليها ، وبينما أدانت القرارات بلغراد فإن التقرير ينتقد زغرب أكثر . وبينما القوات الصربية تحاصر سراييفو وتواصل تدميرها غير المبرر للمدينة وتركز مدافعها على ضواحى دوبرينشا حيث حوصر عشرات الألوف من المدنيين لعدة أسابيع فإن جهاز الدعاية فى بلغراد يحاول الاستفادة القصوى من التقرير . ويقول ممثلو الدول الغربية فى الأمم المتحدة أن مايقوله الأمين العام لايتفق مع معلوماتهم ، وقال دبلوماسى غربى : نحن لا نعرف من أين استقى بطرس غالى معلوماته .

هذه ليست وجهة نظرنا عن الوضع ، إن مايقوله بطرس غالى يخدم سلوبدان ميلوفتش ، ان التقرير كارثة ، ويقول تقرير بطرس غالى ان الجنرال راتكو مالاديش قائد الجيش فى البوسنة قد ترك الجيش اليوغوسلافى وأنه لا يتلقى الآن أية أوامر من بلغراد بينما يقول الدبلوماسيون والعسكريون فى بلغراد ان حكومة بلغراد هى التى وضعته فى هذا المنصب فى بداية مايو ، ويقول غالى انه من غير الواضح إذا كانت بلغراد يمكنها ممارسة أى نفوذ على القوات الصربية فى البوسنة ، بينما يؤكد الدبلوماسيون هنا أن بلغراد دعمت ومستمرة فى تمويل وتموين القوات الصربية فى البوسنة . (حرفيا لمراسل الجارديان فى بلغراد أيان ترابنور) .

وكتبت الواشنطن بوست ونقلت عنها الهيرالد تريبيون الأمريكيتان ، الآتى حرفيا : « أدان الدبلوماسيون الغربيون هنا التقرير الذى نشره بطرس غالى ووصفوه بأنه غبى ومضلل ويخرب الجهود الدولية التى تحاول عزل نظام الرئيس الصربى سلوبدان ميلوفيتش إذ يمنحه نصراً دعائياً ، وقال دبلوماسى غربى هنا أن هذا التقرير مضلل ومخرب على نحو فظيع لأنه يطعن فى قرارات الحظر التى فرضها مجلس الأمن ذاته ، ويعرقل محاولة العالم توجيه الشعب الصربى ضد المصدر الحقيقى لشقائهم وهو نظام ميلوفيتش ، ولقد استغل حكام بلغراد وأجهزة إعلامهم التقرير على نطاق واسع لإثبات أنهم لايتحملون اللوم عن الحرب فى البوسنة ، ووصف راديو بلغراد موقف بطرس غالى بأنه اعتراف بأن الأمم المتحدة قد أخطأت عندما أدانت يوغوسلافيا بوصفها المعتدى فى حرب البوسنة وبفرض عقوبات اقتصادية عليها .. (بلاين هاردن / وشنطن بوست / عن الهيرالد ١٩٩٢/٦/٥) .

ويصعب جداً أن يتفهم المسلم موقف الدكتور غالى إزاء ماكتبته الصحيفتان وهما تعبران عن رأى كل الصحافة العالمية تقريباً ، بل ها هى شهادة حديثة من شخصية لم يعرف عنها التحيز للمسلمين ، إنها مارجريت تاتشر ، ماغيرها ! كتبت فى النيويورك تايمز (٦ أغسطس ١٩٩٢) تقول : « أشياء فظيعة تقع فى البوسنة والأسوأ هو المتوقع .. وهى نتيجة تنفيذ سياسة التطهير العنصرى التى يمارسها الصرب ، والتى تعنى القضاء على السكان غير الصربيين ، وهى سياسة تجمع بين بربرية هتلر وستالين . إنها الصرب التى خططت ونفذت العدوان ضد البوسنة فى إبريل الماضى بينما حكومة

سيرايفو هى الحكومة الشرعية والمعترف بها دولياً لجمهورية البوسنة . إن الزعم بأن بلغراد ليس لها شأن بما يجرى فى البوسنة هو ادعاء كاذب فمن البداية كان التنسيق واضحاً بين المقاتلين الصرب والقيادة العليا فى بلغراد التى تمونهم بكل ماتحتاجه الحرب وبالذات النفط » .

هذه شهادة تاتشر

ولما تحركت المجموعة الأوربية واستطاع ممثلها اللورد كارنجتون أن يعقد اتفاقية وقف إطلاق النار كان يرجو لها النجاح لأنها تضمنت لأول مرة موافقة الأطراف على تسليم أسلحتها الثقيلة للأمم المتحدة .. وأقر مجلس الأمن الاتفاقية بالإجماع ! وهنا كانت مفاجأة بطرس غالى المذهلة التى نسفت القرار وبطريقة استفزازية ، وقد وصفت التعليقات العالمية تصرفه بما هو أقسى بكثير مما يمكن أن نقوله ، قالت نيويورك تايمز ٩٢/٨/٣ : « بطرس غالى تحدى مجلس الأمن فى قراره بتوسيع نشاط الأمم المتحدة فى يوغوسلافيا إذا كان ذلك على حساب عملياتها فى أفريقيا » .

« لقد رفض بطرس غالى اتفاقية لندن التى توسط فيها لورد كارنجتون المفاوض باسم الجماعة الأوربية يوم الجمعة ، وقد تضمنت طلبا للأمم المتحدة أن تجمع الأسلحة الثقيلة ، وقد وافق مجلس الأمن على الاتفاقية فى نفس اليوم وقد قدر بطرس غالى فى تقريره أن الأمم المتحدة ستحتاج لألف ومائة عسكرى إضافى لتطبيق الاتفاقية ، وللأمم المتحدة حالياً ١٤ ألف عسكرى فى كرواتيا وألف فى سيرايفو ، وقال دبلوماسى غربى أن بطرس غالى الذى أبدى تحفظاته بخصوص الخطة فى خطاب خاص لمجلس الأمن يوم الاثنين قد بدا أنه غاضب لأن اتفاقية لندن أبرمت ووافق عليها مجلس الأمن بدون علمه .. رغم أن اثنين من ممثليه حضرا الاجتماع ! » (٩٢/٧/٢٣) وكتب سيث فايسون « وقع أكثر الخلافات جدة بين مجلس الأمن وبطرس غالى الذى يعارض جهود بريطانيا لدفع الأمم المتحدة للعب دور أكبر فى البوسنة ، وفى اجتماع مغلق فى مجلس الأمن قال الدبلوماسيون أن بطرس غالى « شوح » بأصبعه للمندوبين وهو ينتقد اتفاقية لندن قائلا أن عملية حفظ السلام فى البوسنة تكلف كثيراً ، وأثارت اهتماماً لاتستحقه بينما

تجوهلت الجهود فى الصومال ! ووصف بطرس غالى الحرب فى يوغوسلافيا بأنها حرب المترفين (!!) وإن الوجوه التى تظهر على التليفزيون هى وجوه غضة بضة شبعانه ريانة بعكس الحال فى أفريقيا القارة التى تحتاج إلى عمل أكبر . هكذا قال السكرتير العام المصرى ، ولكن ملاحظاته لم يؤيدها أحد بل وزعت اليوم مذكرة بين الأعضاء تدحض اعتراضاته ، بطرس غالى لم يكن فى المجلس عندما أقرت الاتفاقية ، بل كان فى الطابق الأعلى منشغلا بمواعيد مع ليبيا وقبرص ، وإن كان مساعدوه قد عملوا خلال عطلة الأسبوع لإعداد تقرير حول متطلبات تنفيذ اقتراح كارنجتون بجمع الأسلحة الثقيلة وقالوا أن ذلك يتطلب ألف ومائة جندى فى ٦٢ نقطة لجمع السلاح يعملون لمدة ثلاثة أشهر (قال جنرال فرنسى أنه يستطيع جمع الأسلحة الثقيلة فى ثلاثة أيام) ولكن عندما اجتمع المجلس يوم الاثنين لتسليم تقرير بطرس فوجئوا بخطاب تقريع من ٤ صفحات يؤنبهم على اتفاقهم بدون إخطاره ، وذهلوا من لهجة الخطاب الذى تسرب للصحافة ، بل واتخذ خطوة أبعد وغير مسبوقة فى توجيه اللوم بالاسم لمندوب بعينه (مندوب بريطانيا) وأبدى اعتراضه على نفقات العملية ، وقال : كيف نبرر العمل فى جنوب أوربا بينما نتجاهل الصومال . وقال دبلوماسى غربى أنه يعتقد أن الإشارة للصومال مفتعلة وأن الأمم المتحدة لم تتخذ قرارات فى الصومال لأن غالى هو الذى لم ينجز تقريره ، ولكن الدبلوماسيين تحيروا فى فهم سر اعتراضات الأمين » (نيويورك تايمز ٩٢/٧/٢٤)* .

ولاشك أن مايحير صحفياً كافرا فى نيويورك لابد أن يحير المؤمن فى القاهرة وسيراييفو ! يضاف إلى ذلك أن للأمم المتحدة ١٤ ألف عسكرى فى كرواتيا التى لا يتهددها خطر الإبادة لأن ألمانيا تحميها ، ولأنها متفقة مع الصرب على اقتسام البوسنة ، ومع ذلك وفى نفس الأسبوع الذى رفض فيه غالى التحرك لوقف مذبحة المسلمين فى البوسنة بحجة أنه لايملك ألف ومائتى عسكرى ، إذا به يصدر تقريراً « يتهم الصرب بأنهم يحاولون طرد الكروات الكاثوليك وهو يريد وقف ذلك بزيادة عدد المراقبين فى كرواتيا وهم الآن ١٤ ألفا » .!!

* انظر اتهام مندوب الأمم المتحدة للمنظمة بأنها سبب مجاعة الصومال .

ولا يمكن أن ينسى سالم شابتس مبعوث الرئيس على عزت بيكوفيتش أن بطرس غالى مصرى وهو يشكو قائلا « إن غالى يضع عقبات كثيرة أمام مجلس الأمن الذى يريد أن تتولى الأمم المتحدة الإشراف على الأسلحة الثقيلة فى البوسنة وهو أمر لصالحنا إلا أن السيد غالى يعارضه » .

ويقول البوسنيون والمصادر العالمية أن غالى علم بمعسكرات التعذيب من مايو ولم يبلغ مجلس الأمن حتى خرجت الصور بواسطة الصحفيين الغربيين فى أغسطس ! واضطر حتى اليهود فى أمريكا لإصدار بيان استنكار ، وفزع بوش واضطر إلى مراجعة موقفه بعد أن شاهد الأمريكان الهياكل العظمية للذين قال عنهم الأمين العام أنهم « ملظلظين » ! ورغم ذلك مازال بطرس غالى يعارض التدخل بحجة أن الصوماليين السود أولى من البيض !

ما التفســـير ؟

البعض يحاول إقناع العالم أن موقف بطرس غالى القبيح له علاقة بدينه ، وهو تفسير فيه الكثير من التعسف والغرض ، فالكنيسة القبطية استنكرت المذبحة وأداتها ، كذلك قد يحاول البعض أن يحمل مصر نتائج مواقفه المكروهة من العالم الثالث ، أو كما قالت الأهرام : « إنه وجد نفسه قد فقد تعاطف معظم الدول العربية والإسلامية ودول عدم الانحياز بسبب مواقفه المختلفة من قضية البوسنة وخاصة من تقرير سيىء التوقيت تحدى فيه إجماعاً دولياً على أن الصرب هى المسئولة بالدرجة الأولى عن إراقةِ الدماء فى البوسنة » . (سلوى حبيب ٩٢/٨/٧) .

ومرة أخرى إن حكومة مصر أول من استنكر مسلك الصرب وهاهم جنودنا هناك فى البوسنة ينتظرون أوامر غالى !

فى اعتقادى أن بطرس غالى لايجوز أن يحسب على مصر ولا على فئة من بينها ، فهو يتبنى عن وعى وتصميم موقف إدارة الرئيس بوش الذى يعتقدِ أنه مدين لها بمنصبه واستمراره بل واستمرار الأمم المتحدة ذاتها ، وقد عرضت صحيفة بميوله الأمريكية

فقالت أنه « هاجم كارنجتون (الإنجليزى) وقال أن سيروس فانس (الأمريكي) أحسن منه ! » .

وهو كما تقول بعض المصادر متعاطف مع الموقف الفرنسى ، وبوش وفرنسا ضد التدخل فى البوسنة لوقف العدوان الصربى ، فالرئيس بوش اتخذ قراره بترك هذا العدوان يمضى فى طريقه ، ولذلك يتحرش به كل الراغبين فى إسقاطه ، وربما يفسر ذلك سر توسع الصحافة الأمريكية فى نشر حقائق الفظائع التى يرتكبها الصرب ضد المسلمين ، كما اتخذ منافسه الديموقراطى موقفاً مضاداً تماماً فهو يطلب التدخل العسكرى لضرب العدوان الصربى ، وأيد مطلب تاتشر فى رفع الحظر عن السلاح للبوسنة . وقد أحرج بوش بعد تسرب أنباء معسكرات الإبادة فاضطر لإعلان خطوات غير كافية وأقل بكثير جداً مما طالبت به تاتشر فما جدوى رفع التمثيل الدبلوماسى فى البوسنة دون الالتزام بحماية سلامة ووحدة أراضيها .. وكما قيل ما جدوى لقيمات لمن ينتظر الذبح ؟!

وأوربا تعرف أن بوش لن يحارب وأن روسيا ماضية فى تأييدها للصرب على كافة المستويات إلى حد توقع استخدامها للفيتو لو حاول مجلس الأمن إصدار قرار ضد العدوان الصربى ، لذا يتوقع الجميع فى أوربا أن مصير البوسنة هو الإبادة ، ومن ثم يحرصون على غسل أيديهم من دمها ، فكانت رحلة ميتران الاستعراضية وجهود اللورد البريطانى الوهمية وبيان تاتشر ، بل والخلاف العلنى مع غالى ، هل مسلمو البوسنة أولى أم مسلمو الصومال .. إلخ .

وكما قلنا فى بداية الحديث دعونا نسقط عنصر الجنسية والدين فى محاكمة بطرس غالى ، فلا نحمل شره ولا خيره لأحد فى مصر ، وإنما نحاسبه كإنسان وكدبلوماسى وكأمين للأمم المتحدة ، وقد فشل فى ذلك كله فى أزمة البوسنة ، فلا تحولوا خيبتنا فيه وبه إلى فتنه* .

* اكتوبر ١٥/٨/٩٢ .

لماذا البوسنة ؟

وأقطع حديثى عن يوليو لأقول كلمة فى مذبحة البوسنة والتساؤلات التى ثارت .

وبداية نشهد بأن حكومة مبارك كانت أول حكومة إسلامية تتحرك وتستنكر المذابح التى يتعرض لها شعب البوسنة ، ودعت على لسان وزير خارجيتها لتدخل المجتمع الدولى لوقف العدوان ، وهى قد قبلت المساهمة بقوات مصرية رغم الاقتناع العام بتأخر تحرك الأمم المتحدة وعدم جدواه ، أو كما قالت النيويورك تايمز (٩٢/٧/١٥) فى افتتاحيتها بعنوان يمزق القلب وهو : « إطعام الموتى » قالت : « مافائدة أن نضع لقمات فى بطون البوسنيين بينما يجرى ذبحهم » ! كذلك استنكر البابا شنودة المذابح التى يتعرض لها شعب البوسنة .

فموقف حكومتنا وكنيستنا سليم ، إنما الغبار الذى يثار هو من جهات معينة تريد لو أن للمسلمين فى العالم كله عنقا واحدا لقطعوه واستراحوا ، هذه العناصر قالت الكلام نفسه ضد غضبتنا وجزعنا لفلسطين فى ١٩٤٨ ، وكان يجرى عليها ما يجرى على البوسنة اليوم وقالوا الشيء نفسه عن كشمير ومسلمى الهند ، ولم ينبسوا بحرف عن الإبادة الوحشية للمسلمين فى بورما ومازالوا لايغفرون تضامننا مع شعب أفغانستان ضد الاحتلال الروسى الذى أدانه الروس أنفسهم واعترفوا أن مقاومة المجاهدين لاحتلالهم هى التى أسقطت الديكتاتورية الشيوعية وحررت شعوب الاتحاد السوفيتى . ولكن عصبة السوء لاتنسى ولا تغفر ولاتطيق إنقاذ شعب وبلد مسلم من الإبادة !

والسؤال المطروح هو : لماذا الاهتمام بالبوسنة وليس الصومال مثلا ، وبالمناسبة فإن هذا السؤال طرح أولا وبشكل اتهام وتشكيك فى موقف الحكومة وفى صحف المعارضة الإسلامية وقد استنكرناه ورددنا عليه فى صحيفة مصر الفتاة (٩٢/٦/١٥) .

والجواب : إن مايجرى فى الصومال يستوجب قلق وعطف وتدخل كل مسلم أو إنسان ، ولكن مايجرى فى الصومال هو حرب أهلية يصعب جداً أخذ موقف أو التدخل فيها خاصة ونحن لانملك القوة ولا المكانة التى تخولنا مهمة الإصلاح بينهم ثم مقاتلة التى تبغى ، تقاعسنا عن لعب دورنا الإسلامى أضعف دورنا ، وجعل المسلمين بل حتى العالم يتطلع لتركيا وإيران ، ونسيت بلد الأزهر زعيمة العالم السنى ، فما يجرى فى الصومال ليس من فعل قوى أجنبية ، تسهل إدانتها .

ما يجرى فى الصومال رغم بشاعته ووجوب وقفه لا يهدد الصومال كوطن ، أرض ، ولعلنا نذكر أن نفس الذين يبكون تحت قميص الصومال الآن وقفوا بكل قواهم مع العدوان الحبشى واستنكروا معارضتنا لذبح الجيش الحبشى الشيوعى ، الصوماليين فى أوجادين وغيرها ! فهم لايبكون اليوم الصومال حبا للصوماليين بل بغضا فى مسلمى البوسنة .

وما يجرى فى البوسنة هو عدوان سافر استنكره الجميع إلا الجماعة إياها ، وها هى المجموعة الأوربية تقرر طرد يوغوسلافيا أو صربيا من الأمم المتحدة ، فحتى الذين قبلوا إفناء البوسنة ومحوها من خريطة أوروبا ، لا يستطيعون إلا إدانة ما يجرى ولو بأفواهم لأنه لا مثيل له إلا فى حالة فلسطين ، بل هو أبشع من ناحية القانون الدولى لأنه عدوان على دولة عضو فى الأمم المتحدة، ولأن إبادة الفلسطينيين استغرقت خمسين سنة ومازالت تجرى، ولأن الفلسطينيين جلسوا للتفاوض بتأييد الجميع، أما هنا فإن خمسة ملايين إنسان ودولة كاملة تباد فى أقل من ستة شهور ، ويغرر العقور كارنجتون بالعالم فيعقد اتفاقيات وقف النار ثلاث مرات يوميا ليحولها الصرب إلى منخل ! والإبادة تتم بعدما أعلن عن ظهور عالم جديد يدعى أنه لن يسمح فى ظله بشطب دولة ، فلو نفذ الصرب هدفهم لعاد قانون الغابة بأبشع صوره .

لقد تلقى على عزت من الدول العظمى التى هرع إليها يطلب النجدة ، تلقى حكم الإعدام كما فعلت عصبة الأمم مع إمبراطور الحبشة فى عام ١٩٣٦ قالوا له على لسان بوش : ليس فى نيتنا أن نتدخل لمنع شعبك من الإبادة ودولتك من الإزالة ، فأنت

ومصيرك ! وهذا هو الموقف المعلن الذى هو فى حد ذاته إشارة لكل الوحوش المتربصة بالوثوب وتصفية حساباتها وتحقيق أطماعها ، أو كما قالت نيويورك تايمز « إذا لم يرد الرئيس بوش والزعماء الأوربيون بقوة أكبر على العدوان الصربى فإن الآلاف سيلقون حتفهم وستكون سابقة شديدة الخطورة فى تلك المنطقة الملتهبة من أوروبا » .

أما غير المعلن فهو تأييد الغرب كله لذبح خمسة ملايين وشطب دولة من الخريطة لمجرد أنهم مسلمون فهم بيض اللون سلافيو العنصر لا شىء يميزهم إلا دينهم ، وإذا لم نستنكر ذلك ، إذا لم نوقفه إذا قبلنا أن يذبح ويباد خمسة ملايين بسبب اختلافهم فى الدين فماذا نقول للمتطرفين ؟ إذا كانت مذبحة البوسنة قد جعلت كاتبا فى مكانة واعتدال الأستاذ الكبير إبراهيم نافع يتساءل : هل هناك مؤامرة عالمية ضد الإسلام فإننا نخشى كل الخشية مما قد يدور من أسئلة ويطرح من أجوبة فى الشارع الإسلامى ..

من هنا كان لابد من استنكار مايجرى فى البوسنة وهو مافعلته حكومة مبارك فلها الشكر بالتأكيد* .

---

* اكتوبر ٩٢/٧/٢٦ .

وإليكم بعض الإضافات

قالت نيويورك تايمز :

« فى ١٨ مايو فاوض فريدريك موريس رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولى ، الصرب ، لتأمين وصوله لمقره خارج سيراييفو ، ولكنه ما كاد يمر حتى انهالوا عليه بالرصاص فجرح جرحاً بالغاً ، وبعد يومين أى فى ٢٠ مايو سحب الصليب الأحمر من سيراييفو وفى ٢٧ مايو فى الوقت الذى كان فيه الصرب يستعدون للزحف على كوزاراك وما حولها ، انسحب الصليب الأحمر من كل البوسنة والهيرسك ، وكان مراقبو المجموعة الأوربية قد انسحبوا قبل أسبوع بعد أن تعرضوا للرصاص ، وكذلك انسحب الصحفيون الغربيون من سيراييفو بعد أن قتل أحد المصورين ، وكان هدف هذه الاعتداءات هو طرد الغربيين من البوسنة فى اللحظة الحرجة عندما بدأت خطة التطهير العنصرى تأخذ طابعاً قذراً ، وقد عاد المراسلون لسيراييفو بعد أسابيع وعاد الصليب الأحمر فى ٧ يوليو ولكن حقيقة ماجرى فى بقية البلاد فى مايو ويونيو لم تعرف إلا فى الأسابيع القليلة الأخيرة بعد وصول اللاجئين ، إلا أن الوثائق تشير إلى أن الوكالات الدولية العاملة فى يوغوسلافيا كان لديها منذ أوائل يوليو فكرة مؤكدة عما يجرى ، ففى مذكرة بتاريخ ٣ يوليو كتبها موظف فى قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة حدد عمر سكا وكاريترم وترتوبولج كمعسكرات تصفية ، والمذكرة التى اعتمدت على شهادات اللاجئين تتحدث عن « الألم الذى نحس به (أى موظفى الأمم المتحدة) لعجزنا عن فعل أى شىء سوى كتابة التقارير ثم الجلوس ساكتين لأن قوات حفظ السلام مخولة بالعمل فقط فى كرواتيا » وإنه عقد اجتماع فى كرواتيا لبحث الأمر حضره الصليب الأحمر الدولى الذى عاد للبوسنة فى منتصف يونيو ومساعدون للجنة العليا للاجئين ، والمراقبون لأوروبا فى كرواتيا ، وهذا يعنى أن كل الدول الأوروبية

سمعت بمعسكرات الاعتقال فى البوسنة والهيرسيك وطالب الصليب الأحمر بدخول المعسكرات ولكن السلطات الصربية رفضت ذلك بالنسبة للمعسكرات التى أشير إليها فى المذكرة . وتقول حكومة البوسنة أنه فى ١٩ يوليو كتب رئيس البوسنة إلى الرئيس بوش عن سياسة الإبادة الجماعية التى تمارس لإعادة رسم خريطة بلاده ، ولكن الرئيس بوش لم يتحرك ويطلب التحرى إلا بعد أسبوعين وبعدما نشرت القصة فى الصحف » .

« أما ممثل الأمم المتحدة فقال أنه ليس من اختصاصه بحث معسكرات الموت ، وأنه أدى واجبه لما أحال الأمر إلى الصليب الأحمر ، وقال إن فظائع أشد من معسكرات الاعتقال مارسها الصرب فى هجومهم على المدن والقرى باستمرار القصف والحصار والتجويع للمدنيين المسلمين ، وقال إن موقف الغرب يتسم بالرياء والنفاق وأن البوسنة والهيرسك كلها تحولت إلى معسكر للموت ، وهذا معروف جيداً وممثل الصليب الأحمر قال:أدينا واجبنا لما تحدثنا عن سياسة التطهير العنصرى » نيويورك تايمس ١٦ أغسطس ٩٢ .

وعن الحب المفاجىء الذى تفجر فى قلب بطرس غالى للصومال قال تريفور باج trevor page الرئيس الجديد للبرنامج العالمى للطعام فى صوماليا قال : « إن الأمم المتحدة كان يمكنها منع المجاعة فى الصومال إذا ما أرسلت خبراء إغاثة منذ شهور بدلاً من الاعتماد على موظفين صغار محليين ، وقال الموظف الكبير فى الأمم المتحدة إنه لأمر بالغ السوء أننا تركنا الأمور تتدهور إلى هذا الحد دون بذل الاهتمام الواجب ، لقد اعتمدنا على أناس غير خبراء لم يفهموا ما رأوا ولا عرفوا نتائجه فلم يحذروا أحداً ، وقال مستر باج الذى عمل فى الأمم المتحدة ثلاثين سنة ، إنه لم ير أسوأ مما فى الصومال منذ بيافرا وبنغلاديش ولكن حتى فى الاثنين كنا أكثر تنظيماً ، وقال أنه بسبب الفوضى فى الأمم المتحدة فإن أقل من ثلث الطعام المطلوب تم تسليمه » نيويورك تايمس ١٦ أغسطس ٩٢ .

« بطرس غالى يعارض أى تورط أكثر للأمم المتحدة فى أزمة البلقان ، بريطانيا وفرنسا وسكرتارية الأمم المتحدة يخشون أن القرارات قد تجعل المجلس يبدو معتديا فى عين الصرب وقد يدفعهم لمهاجمة قوات الأمم المتحدة » نيويورك تايمز ٩ أغسطس .

« تقرير من قوة حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة فى البوسنة أرسل لقياداتهم فى بلغراد من شهر عن تعذيب وحشى وإعدامات بالجملة للمسلمين فى معسكرات الاعتقال ولكن التقرير لم يرسل إلى قيادة الأمم المتحدة فى نيويورك بل حول شأنه شأن تقرير آخر عن وجود أربع معسكرات اعتقال صربية ، حول للصليب الأحمر للتحرى ، إن الأمم المتحدة لم تتح لأحد الاطلاع على هذه التقارير واعترفت نادية يونس الناطقة باسم الأمين العام أن هذه التقارير لم تصل للقيادة ، أبدى بعض الدبلوماسيين دهشتهم أن الصليب الأحمر وقوات حفظ السلام لم تثر اهتمام الأمم المتحدة لما فى التقارير من خطورة ، بل على العكس فعندما اجتمع مجلس الأمن يوم الثلاثاء كان الأعضاء يعتمدون على تقارير الصحفيين ، التى كانت تعتمد على مصادر أقل بكثير مما فى تقارير الأمم المتحدة . فآخر وثيقة للأمم المتحدة التى كشف عنها وزير خارجية البوسنة تتضمن تقريراً لشهود عيان أنه قد تم إعدام مائتين فى معتقل بوساتسكى نوفاى فى النصف الأول من مايو ، ولكن امتنع كثير من الدبلوماسيين عن نقد تصرف الأمم المتحدة علنيا فى التقارير ، وقال السفير البريطانى سير دافيد هاناى : أنا لن أدخل فى جدل حول من أبلغ من ومتى وماذا » (واشنطن بوست ٨ أغسطس ٩٢) .

المحمل والمماليك .. !

ماذا جرى فى منفلوط ؟

أقول لكم .. بعيداً هما تكتبه الصحافة الموجهة للقارئ الأوحد ولاعلاقة لها لا بالناس ، ولا بالحقيقة .

منفلوط فيها تقليد قديم عمره ألف سنة ، هو طلعة المحمل ، تحول بالطبع إلى موسم للتجارة والبيع والسياحة والتكسب ، الشريف ونصف الشريف ، مما تزخر به موالدنا وقاحتفالاتنا بل كل احتفالات العالم ، ولا توجد قرية فى أوربا إلا ولها قديس ، ومولد ، يحتفل به كوسيلة لجذب السياح وترويج الاقتصاد ، ولو كان رئيس مجلس مدينة منفلوط مثقفاً يقرأ التاريخ ، ويدرس الاقتصاد ، وله علاقة بالشعب ، لوضع خطة لتحويل هذا التقليد العريق إلى مناسبة سياحية تنشط اقتصاد البلاد ، وتجذب السياح ويسترزق منه الأهالى من المسلمين والأقباط ، ولاستعان بأصحاب المصالح المشروعة فى تحجيم نشاطات الآخرين .

ولكن فى مصر تقليد ستورى قديم ، أعلنه المشايخ فى مواجهة نابليون ، وهو أن الأهالى ملاعين لايخافون إلا من العسكر ، ومن ثم يجب أن يحكمهم مملوك ، وكانت المحاولة الوحيدة لإلغاء هذا التقليد هى حكم أسرة محمد على ، وبسقوطها عاد الدستور المملوكى ، فلابد من مملوك برتبة عميد فى مجلس المدينة وباشبوزق برتبة لواء فى مركز المحافظ .. وهكذا ، فقد تولى مملوك برتبة عميد رئاسة مجلس مدينة منفلوط ، ولأنه بالطبع والتطبع ، عديم الثقافة ، عديم الجماهيرية ، عديم التاريخ .. فقد قرر المملوك حمص أخضر بارم ديله ، إلغاء تقليد عمره ألف سنة ومرتبط بحياة وأرزاق مئات الألوف بموجب فرمان هما يونى من سيادته ، بحجة حماية الأمن ، واستجاب المسئولون للأسف ، ففضلوا الإلغاء استسهالاً واستخفافاً بالشعب ، عن تحمل مسئولياتهم فى حماية الموسم الذى تعيش عليه البلد والقرى من العام للعام وأرسلوا الإنكشارية تطلق الرصاص على

الأهالى بلاتمييز ، وكأنهم نازيون يتعاملون مع بولنديين ، واقتحمت البيوت ، يقبض على النساء والأطفال ، وكان التبرير هو أن الموسم يندس فيه معتادو الاجرام !!

ياللعجب نترك معتادى الإجرام يسرحون ويمرحون ونطلق الرصاص على الأطفال وشيخ جاوز السبعين ؟! هل قانون الطوارئ لايطبق إلا على الأبرياء ! ..

وأيضاً الأسلوب الخسيس ــ الذى انتشر استخدامه للأسف ــ وهو اللجوء لابتزاز الوحدة الوطنية بادعاء أنهم هاجموا المسيحيين ، أو كانوا سيهاجمون المسيحيين ، وأن هذه من تقاليد المحمل !! لذا فإطلاق النار كان لحماية الوحدة الوطنية .

إن أمثال هؤلاء لا يتورعون عن استغلال مقدسات الوطن بل الوطن ذاته لتغطية جرائمهم والحمد لله كذبت حتى صحف الحكومة هذه الفرية بل وتبين أنه لما أراد أباظا باشا إلغاء الموسم فى ١٩٤٩ وكان الجو متواتر بحرب فلسطين ، وحوادث الإخوان ، احتج وفد يمثل أهل البلد وكان فيهم المتنيح الأنبا لوكاس .

كفوا عن اللعب بأقدس القضايا فالأقباط هم جزء لايمكن فصله من نسيج هذا الشعب ، وموالد قديسيهم مواسم تجارية للمسلمين تماماً كمواسم المسلمين لهم ، بل إن كل مشايخ وقديسى مصر تقع فى أماكن آلهة فرعونية قديمة كانت احتفالاتها مواسم تجارية وسياحية وبهجة يوم كان مصر يحكمها مثقفوها .

سيادة الرئيس .. شكل محكمة عسكرية لهذا العميد الذى تسبب فى المذبحة ، ولتنعقد فى أكبر ميدان فى منفلوط وصدق على حكمها ونفذه علنا فى الميدان فور صدور الحكم ، ثم أصدر قراراً بمنع تعيين العسكريين فى مجالس المدن وستلمس تحسناً على جميع المستويات* .

---

* كتبت ١٩٩٠/٥/٥ .

الباب الثانى

متفرقات

الشـاذلى يستحق عفوك ياريس !

أيد القضاء الحكم على الشاذلى بتهمة إفشاء أسرار عسكرية ، وثارت المجموعة إياها مستنكرة أن يكون الشاذلى رئيس الأركان يعلم أسراراً بعد أن غادر الجيش ، ولكن المجموعة نفسها استقبلت بارتياح الحكم على اعتماد خورشيد خليلة صلاح نصر لأنها أفشت أسراراً تتعلق بالمخابرات وهى لم تكن ضابطاً فى المخابرات ، وعشيقها أو زوجها حوكم وأدين ومات قبل عشر سنوات من نشر كتابها الذى كما وصفناه : التاريخ الجنسى لثورة يوليو .. ومع ذلك اعتبروه أسراراً تتعلق بأمن الدولة ونشرها يشكل جريمة تستوجب المصادرة وتعاقب عليها بالسجن ، ولم يحتج أحد .. ولا ثار دعاة حرية الفكر وأصحاب شعار : لا تجوز مصادرة كتاب ! ولا حضر لمصر وكيل الخارجية الأمريكية يطمئن على حقوق الإنسان ، بل أحنى الجميع هاماتهم لكلمة القضاء ، فى موقف حضارى تاريخى على رأى معلق الكرة يوم هزيمتنا من الصومال !

وما جرى فى قضية الشاذلى هو نفس مافعلوه مع سليمان خاطر حتى قتلوه ، فقد أصروا على وصفه بالبطل الذى قتل الإسرائيليين رفضًا لاتفاقية كامب ديفيد وانتقاما لمذبحة دير ياسين .. إلخ .

وقتها كتبت أقول أن هذا الصياح لايقصد به سليمان خاطر ولا القضية الوطنية وإنما هو استغلال رخيص لمأساة مواطن أدى واجبه . سليمان خاطر كما قلنا وقتها عسكرى حدود عنده تعليمات صريحة بعدم عبور أى شخص إلا من مراكز الدخول ، ولكن بعض الإسرائيليين رفضوا الاعتراف بالحدود ودخلوا بلا احترام للسيادة ، فأدى واجبه وأطلق عليهم النار كما ينتظر من أى جندى حدود فى أى بلد ، وهو بهذا لايستحق المؤاخذة ، ولكن الأغراض الحزبية الرخيصة والأقلام التى يحرك بعضها الموساد ، صممت على إخفاء هذا الجانب ودافعت عنه تحت شعارات عداوة إسرائيل والتطبيع أى

إنه فعل ذلك عن قصد وبدون خطأ من الجانب الآخر ، الذى تكفل له قوانين الدولة الأمن على أراضيها ، بصرف النظر عن مشاعر الموظف ، وبهذه الصيغة التى طرحتها الأهواء الحزبية ، ماكان يمكن لأى قضاء إلا أن يحكم عليه وماكان يمكن أن ينتهى إلا إلى ما انتهى إليه ، رحمة الله عليه .

الحقيقة فى قضية الشاذلى أنه أخطأ لأنه بشر سقط فى الاستفزاز البشع الذى شنه ضده الرئيس السادات عندما اتهمه بأشنع ما يتهم به عسكرى وهو الانهيار أثناء المعركة ! والخلاف بين الرجلين كان يمكن أن يكون مادة لأعظم ملحمة فى تاريخنا : بين العسكرى الذى يرفض الهزيمة مهما كان الثمن ، والسياسى الذى يضع مصلحة الوطن فوق شخصه وسمعته . ولكن التخلف ومستشارى السوء على الجانبين حوّلا هذه الملحمة إلى واحدة من أسوأ فضائح تاريخنا المعاصر . ويصعب على المؤرخ أن يفهم سلوك الرئيس الراحل فلو كان يريد تحطيم الرجل لماذا أخرجه من مصر وعينه سفيراً ، لماذا لم يضعه تحت الإقامة الجبرية فى مصر ثم شن عليه حملته وتركه يفترس نفسه دون أن يملك الرد ، كما كان يفعل سلفه الرئيس الأرحل ؟ لماذا أخرجه ثم هاجمه كأنما يحرضه على الرد ؟!

لقد تنبهت وقتها للمأزق الذى وضع فيه الشاذلى وما يمكن أن يجره الاستفزاز الساداتى والتحريض من أعداء مصر وأعداء أكتوبر فكتبت كلمة فى مجلة الحوادث أناشده العودة فوراً لمصر حتى لا يلوث صورة حرب أكتوبر التى تعرض أبطالها لعملية تصفية وتشويه غريبة ، وكأننا نقرأ فى بروتوكولات أو انتقامات صهيون .. فلما نشرت الكلمة همس له أحد صغار الحكام أن كلمتى هى فخ موعز به من السادات لكى يقبض عليه !!

واندفع الشاذلى فى خصومته إلى حد تشويه موقف مصر والزعم بأنها تخلت عن سوريا ، فلما ضاقت الأرض بالشاذلى ، تخلى عنه هذا الحويكم كما تخلى عن التراب الذى ورثه أو اختلسه ؟!* .

* كانت فى الأصل الذى نشر : «اغتصبه» ولكن وجدتها غير دقيقة فهو لم يغتصب بل سلم له الإنجليز الحكم بعد خلع الذى وقف مع مصر والعروبة ! .

الشاذلى أخطأ إذ استجاب للاستفزاز فهرب من رمضاء السادات إلى العفن العربى الذى أجاد استغلاله ضد مصر وحرب أكتوبر .. والشاذلى أخطأ عندما أيد صدام ضد مصر فى حرب الخليج وتوقع انتصاره فقد أدلى بتصريح لوكالة الأنباء العراقية (٢٩ نوفمبر ٩٠) أكد فيه أن العراق سينتصر على أمريكا ، كما أعلن أن خسائر الحرب مع العراق ستصل إلى مائة ألف جندى أمريكى .. ونعرف أن الرجل أخطأ أثناء نظر قضيته ، ولا نعتذر له ، ومع ذلك أتمنى وأناشد الرئيس أن يعفو عن الشاذلى لأنه من أبرز أبطال أكتوبر ، ورجال أكتوبر هم كما قيل فى أهل بدر افعلوا ماشئتم فقد غفر الله لكم .

كما أضيف سبباً خاصا للامتنان للفريق الشاذلى ، وهو أن حضوره وتأييد الحكم عليه أجبر الأوغاد على الاعتراف بحرب أكتوبر ، وأنها لم تكن جنازة مصر ! بل كانت حرباً بطولية ، بدليل البطل الشاذلى ! وكما يقال لأجل الورد يسقى العليق ، فمن أجل إثبات بطولة الشاذلى كان لابد من الاعتراف ببطولة حرب أكتوبر ولو كرهوا !! احترام القضاء واجب ولكن فى عهد مبارك لا نحب أن يدخل أبطال أكتوبر السجن ولا حتى بحكم قضائى .. وقد آن أوان إسدال الستار على هذه المأساة .

فأسقط كل قضاياك يافريق ! فهى لاتفيدك بل تفيد المتاجرين بك والذين يريدون أن ينتهى كل أبطال أكتوبر نهاية غريبة ومريرة .

لا تطلب بطولات فى المحكمة ، ليست ساحتك ولا فيها تنصب راياتك ! تكفيك بطولة الميدان ، وما يكتب بالدم لا تمحوه ولا حتى أخطاء الحبر الذى كتبت به كتابك المشئوم وتصريحاتك غير الموفقة !

كف عن هذا وانتظر كلمة رئيس الدولة والقائد الأعلى كما هو المفروض من مواطن ربى وربى أجيالاً على الانضباط ، وكلنا ثقة أن عفو مبارك سيكون فى روعة انتصارات أكتوبر !* .

---

* مصر الفتاة ٩٢/٨/٣ .

لا تذهب يا سيادة الرئيس !

أعتقد إننى أعبر عن رأى الأغلبية فى مصر ودول عدم الانحياز فى مناشدة الرئيس مبارك عدم الاشتراك فى الاجتماع المقترح لما يسمى بدول عدم الانحياز ..

فأولا لم يعد هناك أى معنى لتعبير عدم الانحياز ، بعد انحياز روسيا للغرب وحضورها اجتماعات حلف الأطلنطى ، ولا نريد بورقيبة آخر يقول عن الجمهورية العربية المتحدة .. متحدة مع من ؟

عدم الانحياز الآن هو كلمة كاذبة يراد بها تغطية جرائم عدد من الطغاة ولا يمكن أن نتصور رئيسنا يصافح سفاح يوغوسلافيا أو يعانق مضيف المؤتمر العجوز سوهارتو أقبح عميل للمخابرات الأمريكية ، أو يمنح شرعية للعنصريين الهندوك المنحازين للمتطرفين الذين تقطر أيديهم بدم المسلمين والسيخ .

أليس هؤلاء هم أقطاب عدم الانحياز الآن ؟! ..

لا تذهب ياسيادة الرئيس وشعوب العالم الثالث كلها معك[1] .

---

(2) اكتوبر ١٥/٨/٩٢ .

سرك الإرهاب الليبى فى التشطيب

أعلنت المخابرات البريطانية أنها تسلمت من النظام الثورى الجماهيرى الشعبى الليبى ، قائمة بأسماء جميع الإيرلنديين الذين تدربوا فى ليبيا على أعمال الإرهاب بالإضافة إلى معلومات مهمة ستمكنها من القبض عليهم وتصفية نشاطهم ، كما نقلت الأنباء أخبار الحرائق المجهولة التى بدأت تجتاح عدداً من المصانع الليبية ، وهى مصانع يسمع عنها الشعب الليبى لأول مرة فقد كانت مجرد الإشارة إليها محظورة باعتبارها من أسرار الدولة العليا ، ومنها مصنع تخصص فى صناعة القنابل على شكل لعب الأطفال ، وكانت تلقى فى الأماكن السكنية وخاصة الشعبية أو المدارس لقتل الأطفال الذين تستهويهم اللعب ، ونحن نعرف هذا النوع بالذات ، فقد وزع الإرهاب الليبى بعضها فى مصر أيام اهتمام العقيد بالقضية العربية ، وترجوه الآن القيادات الشعبية فى ليبيا أن يطل اهتمامه هذا نكاية فى العرب مع أن كل العرب يتضامنون مع الشعب الليبى فى رجاء العقيد إعفاء العرب من حبه الذى قتل !

وأظن أن الأمر لم يعد فى حاجة إلى تفسير .. إن الزعيم الليبى ينفذ مطالب وشنطن فى تصفية سرك الإرهاب الذى أقيم بواسطة المخابرات الأمريكية ودعمها وتحت إشراف رجال هذه المخابرات بقيادة ويلسون ، بل إن مادة البلاستيك الناسفة التى لا تنتج إلا فى الولايات المتحدة صدرت للعقيد بتستر جميع أجهزة الأمن الامريكية وكانت المادة الأساسية فى كل القنابل التى صنعت فى ليبيا ووزعت فى جميع أنحاء العالم كما أثبتت المحاكمات الأمريكية .

وهكذا كان القذافى هو الفخ الذى نصبوه لاصطياد الإرهاب أو بالبلدى لصقة العسل التى وضعت لجذب الذباب فإذا تجمع عليها ألقوا باللصقة وما عليها فى النار !

والسؤال الآن : هل سيحرقون اللصقة أو الفخ مع ما اصطاد ؟ وهل الحملة التى تشن على القذافى الآن هى مقدمة للتخلص من العقيد حتى ولو كانت قد بدأت بموافقته ؟

أنا شخصيا لا أعتقد أن الإستراتيجية الأمريكية تريد إزاحة القذافى الآن .. على الأقل حتى تتم تصفية القضية الفلسطينية والحركة الإسلامية فى شمال أفريقيا* .

* مصر الفتاة ٢٩/٦/٩٢ .

ولماذا يبقى صدام ؟!

فى الذكرى الثانية لنكسة العرب ، مازال الذين ارتكبوا خطيئة العمر بتأييد صدام ، وتشجيعه على رفض الانسحاب ، حتى أطبق عليه الفخ الأمريكى ، يرفضون ممارسة النقد الذاتى ، ولا أحد ينتبه لما يدبر للعراق الآن ، وينفذه صدام حسين تماماً كما كان هو العنصر الأساسى فى نجاح المخطط الأمريكى فى ضرب العراق والمنطقة وإرهاب العالم ..

والسؤال الذى يتهرب منه الجميع هو : لماذا لم تقض القوات الأمريكية على صدام فى فبراير عام ١٩٩١ .. لماذا تركت قواته تهرب من الكويت ولماذا سمحوا له باستخدام الطائرات فى ضرب الثورة فى الجنوب والأكراد فى الشمال ؟ كيف خرج من حرب طاحنة بجيش مكنه من الانتصار على جبهتين ضد شعبه وهو الذى سجل أشنع هزيمة فى التاريخ أمام الأمريكان ؟

لقد قلنا فى كتابنا « الجنازة حارة » : « نحن نزعم أنها كانت خطة متفقا عليها من الجانبين لتقليل خسائر الأمريكيين إلى أدنى مستوى فى تاريخ الحروب بفتح الحدود العراقية للهجوم الأمريكى لتطويق الكويت وتجنب المعركة البرية مقابل السماح لقوات الحرس الجمهورى بالانسحاب إلى العراق سليمة وإبقاء صدام فى السلطة » .

وقد تأكد ذلك بالتصريح المثير الذى أعلنه الجنرال شوارتسكوف قائد الحملة الأمريكية عندما قال أنه كان على « وشك أن يطبق على القوات العراقية فيفنيها لولا أن صدر له أمر من الرئيس بوش بأن يسمح لهم بالإفلات ! » وقد أثار التصريح الاضطراب فى وشنطن فاعتذر الجنرال واستمر يعتذر وبالتالى ينشر الفضيحة إلى أن اتصل به بوش شخصيا ورجاه أن يكف عن الاعتذار !

وقتها أثير ضد الجنرال أنه هو أيضا متآمر لأنه وافق فى اتفاقية وقف إطلاق النار على استخدام العراقيين للطائرات الهليكوبتر المزودة بأسلحة هجومية وقد اعتذر الجنرال بما يشبه النكتة ، فقد قال إن العراقيين « خموه » (استخدم هو تعبيراً أمريكيا أكثر بذاءة) وقال أنه لم يكن يتوقع أن يستخدموا هذه الطائرات فى قتل المعارضة ، وأنه لايستطيع أن يرجع فى كلامه بعدما وقع الاتفاقية ! ولم يصدقه إلا المغفلون . ولذلك طرح الأمريكان فى الأسبوع الماضى تفسيراً جديداً ، حكاية طويلة ملعبكة مختصرها أنه فى اجتماع صفوان فى ٣ مارس ١٩٩١ بين شوارتسكوف ورئيس الوفد العراقى سلطان هاشم أحمد ، تعمد الجنرال شوارتسكوف الموافقة على استخدام الطائرات ، بل وحرضهم على ذلك ! فلما استأذن هاشم فى السماح باستخدام الهليكوبتر لنقل الموظفين طلب شوارتسكوف ألا تطير هذه الطائرات فوق مواقع الأمريكان لكى لا تطلق عليهم النار !

فسأل العراقى : هل هذا يعنى السماح بتحليق الطائرات المسلحة ؟ قال الجنرال : نعم.وأصر على تسجيل ذلك فى المحضر !!

بل وفى نهاية الاجتماع عاد شوارتسكوف يؤكد لهم أو ينبههم كما تقول الصحيفة الأمريكية « من جانبنا لن نطلق النار على أى طائرات هليكوبتر تطير داخل العراق » .

والسبب كما تزعم مؤلفة كتاب « مستقبل العراق » هو أن صدام دس على الأمريكان أحد رجاله وهو صلاح أحمد بكريتى الذى كان يقيم فى لندن وادعى معارضة صدام بعد غزو الكويت واندس فى صفوف المعارضة بل وأصبح النجم الذى يثق فيه العرب الراغبون فى قلب صدام .

وأقنعهم صلاح فى يناير ١٩٩١ أن ابن عمه « حاكم التكريتى » قائد سلاح الهليكوبتر سينفذ الانقلاب إذا أمكنه التحليق بطائراته ! ووافق الأمريكان وكانت خدعة شوارتسكوف وحلقت الطائرات ولكن لتضرب أعداء صدام ، وقد منح صدام حاكم التكريتى نيشانا مرتين منذ انتهاء الحرب !

القصة مسلية ولكن يطعن فيها أن الأمريكان رفضوا ضرب صدام بعدما خدعهم

ـــ إن صحت الرواية ـــ بل صدر تصريح فى ١٧ مارس ٩١ يقول إن استخدام العراق للطائرات فى عمليات هجومية يشكل خطراً على القوات المتحالفة و « كان ذلك ـــ كما تقول المؤلفة ـــ مبرراً كافياً لضربها ، ولكن بالعكس فى ٢٦ مارس أعلن البيت الأبيض أن الطائرات لن يطلق عليها النار ، وخلال ٤٨ ساعة من التصريح كان الثوار الأكراد يفرون مذعورين نحو الحدود التركية » وقد نقلت الوشنطن بوست فى ٢٩ مارس ١٩٩١ عن مسئول أمريكى كبير أن خطة بوش هى انتصار صدام على المعارضة المدنية ثم يقلبه الجيش البعثى !

أما تفسيرنا فهو اتجاه النية لإعادة رسم خريطة العالم العربى ، وذلك بفصل الأكراد وضمهم لتركيا ، وقد صدرت تصريحات فى الأسبوع الماضى فى هذا الاتجاه من كل من الأمريكان والأكراد .. فطالبت الصحف الأمريكية بوش بالاعتراف باستقلال الأكراد الذين شكلوا حكومة منتخبة ، وقال الزعيم الكردى جلال طالبانى أن الاحتمال الأكبر هو انضمام كردستان العراقية لتركيا « فهى دولة فى أوربا الديموقراطية وهى عدلت موقفها من الأكراد » ـــ أو كما قال ـــ!

وخلال الحرب كان الأتراك يتحدثون علنا عن استعادة الموصل ، والدور الذى يريده الغرب لتركيا العلمانية أن تلعبه فى التصدى للمد الإسلامى وخاصة فى الجمهوريات السوفيتية السابقة ، والبلقان ، وضد إيران ، يتطلب دعمها وتجميلها فى عين الأوربيين ، وهذا سيتحقق بتحويل بترول العراق للمجموعة الأوربية من خلال ضمه لتركيا عسى أن ينسى النفط أوروبا أن أجداد الأتراك كانوا مسلمين !

وكان السماح لصدام بضرب الأكراد ثم التدخل لفرض انفصالهم هو شرط نجاح هذا المخطط ولو نجحت المعارضة العراقية الموحدة فى الإطاحة بصدام عقب هزيمته لبقى العراق موحداً وتعذر على أمريكا أن تجرده من كل مقومات الوجود كما فعلت تحت ستار معاقبة صدام ، ونفس الشيء عن ضرب الثورة فى الجنوب فلا أحد يريد دولة إسلامية أصولية على الشاطىء الآخر من الخليج .. وبالذات لو كانت شيعية ، لا أحد .. أكرر .. لا أحد .

فهل يكون فصل الشمال الكردى هو التعديل الوحيد ، وأين يذهب بقية العراق ؟ وهل يقدر على العيش بدون منفذ على الماء وبدون نفط بل وبدون مصادر مياه ؟ وإذا كان لابد من عراق لموازنة تركيا وإيران فأى نفط الخليج سيكون حصته ؟ وماذا عن حصة إيران إن أريد لها أن تستقر وتشكل عنصر الردع والتوازن مع تركيا وما يتبقى من العرب ؟ وهل كان الاستيلاء على جزيرة أبو موسى ونصح الأمريكان بتجاهل الأمر هو النهاية أم البداية ..

وهل يبقى صدام إلى أن ينفذ ذلك كله ، وماهو موقف أوروبا وما هى حصة إسرائيل ..؟ أسئلة كثيرة لانملك الإجابة عليها .. ولكن الحقيقة المؤكدة هى أنه بدون صدام وبدون غزوه للكويت وبدون استمراره ماكان يمكن أن ينجح هذا المخطط* ..

---

* الأخبار ٩٢/٨/٥ .

هل يذكر أحد أبو موسى ؟

أبو موسى الجزيرة الغنية بالنفط والمعادن دخلت تحت عباءة إيران ولحقت طنب العليا والسفلى .. والثالثة الأخرى ، وسكتت كل الأصوات ، وللذكرى ننقل هذه السطور من كتاب : « بريطانيا والخليج الفارسى » .

« حصلت شركة فون خاوس الألمانية عام ١٩٠٦ على امتياز تعدين فى جزيرة أبو موسى من تاجر عربى حصل بدوره على الامتياز من شيخ الشارقة ، ولكن بمجرد علم الإنجليز بنبأ هذا الامتياز قرروا إلغاءه وتولى كوكس المقيم العام البريطانى بالخليج تنفيذ ذلك اعتماداً على ملكية شيخ الشارقة للجزيرة ، فكان أن أصدر شيخ الشارقة بأوامر من كوكس قراراً بإلغاء الامتياز استناداً إلى أن المعاهدة المعقودة مع بريطانيا ١٨٩٢ تحظر على شيوخ الساحل المتصالح (دولة الإمارات الآن) الاتصال بدولة أجنبية ولكن فون خاوس رفضت الاعتراف بالإلغاء ، فقاد المقيم البريطانى فى بندر عباس مجموعة من رجال شيخ الشارقة قاموا باعتقال العمال وحجزهم فى لنجه ودك أكواخهم وذلك فى ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ ، وبقى ثلاثون من رجال الشيخ فى الجزيرة لحراستها . ولما حاول الألمان إحضار عمال جدد رفض جنود شيخ الشارقة السماح لهم بالنزول فى الجزيرة وأطلقوا عليهم الرصاص وأرسل الألمان خطابا إلى شيخ الشارقة يرفضون الاعتراف بالإلغاء ويهددونه بأسوأ العواقب ، وفى النهاية اضطر الألمان لقبول التفاوض ، وقد رفض الإنجليز أن يتم ذلك مع القنصل الألمانى لدى حكومة إيران لكى لا يكون لإيران أى صلة بموضوع جزيرة أبو موسى ، وانتقلت المفاوضات إلى لندن » ، وبذلك تأكدت سيادة الشارقة على أبو موسى .

- يومها كانت البلاد لها أصحاب !*.

---

* مصر الفتاة ٩٢/٧/١٣ .

اللغة .. أولاً وثانيــاً .. وعاشــراً

كنا نتحدث عن الظاهرة العامة التى يشكو منها كل من أُتيحت له الفرصة لامتحان الخريجين من الشباب حول ضعف معلوماتهم ، وعجز لغتهم وما بها من أخطاء إملائية ونحوية .. ولكن أحد المتحدثين وهو من كبار رجال القضاء قال : ليس ماأدهشنى هو فقر المعلومات والاستهتار فى الإجابة فكل هذا متوقع ولعله كان مقصوداً من الذين أداروا أو خربوا التعليم المصرى .. ولكن الذى يدهشنى فى الجيل الجديد ــ يقول المستشار ــ هو الغباء ، إنك تحس فعلاً بهبوط شديد فى قدرتهم على الفهم أو التعبير !

ورحت أفكر فى هذه الظاهرة التى لاشك فى وجودها .. مع يقينى فى نفس الوقت أن الجيل لاينقصه الذكاء بل لعله أذكى منا بحكم الظروف والتقدم التكنولوجى فى وسائل المعرفة على المستوى العالمى .. وأسباب أخرى عديدة ، والدليل أنه أقدر منا على النجاح ، والوصول ، والتكيف مع قيم المجتمع المنهار .. فكيف يمكن تفسير ظاهرة العى هذه ــ كما أحب أن أسميها بدلا من الغباء ــ لأن الغباء عادة صفة مورثة لا حيلة فيها .. أما مشكلة هذا الجيل كما خطر لى فهى العجز عن الفهم والعجز عن التعبير .. هى مشكلة فقدان وسيلة الاتصال مع العالم المثقف .. ومن هنا فأنا أراها مشكلة لغة ، فهذا الجيل هو أول جيل يحرم تماماً من تعلم اللغة العربية ، فالمخطط الذى بدأه دنلوب للقضاء على اللغة العربية قد آتى أكله فى فترة ما بعد الاستقلال السياسى عندما اختفى عنصر الوطنية فى الولاء للغة البلاد ، فشحب وجود اللغة العربية فى حياتنا مؤذنا بالمغيب ، وانحدرت لغتنا أمام اللغات الأجنبية ، فهى تدرس كلغة أجنبية ثانوية لها حصة فى اليوم .. فإذا حصلت على التوجيهية ارتحت منها ومن سيرتها إلى الأبد ، وهى لاتوجد فى الشارع ولا فى الإذاعة ولا فى التليفزيون ، بل ترد سيرتها أحياناً فى مسرحيات تسخر منها ! حتى مدرس اللغة العربية لا يتكلم الفصحى أثناء تدريسه ! ولكى يعرف هذا

الجيل كيف قتلت اللغة العربية ، اسألوا الذين درسوا بالخارج كيف تدرس اللغة الإنجليزية مثلا فى أمريكا .. كم ساعة تخصص لها فى الأسبوع ، بل إن الطالب المتقدم للجامعة أو حتى لعمل دكتوراة فى الهندسة لابد أن يؤدي امتحان قبول فى مادتين فقط ؛ اللغة الإنجليزية والرياضة ، وبعض الجامعات تضيف أسئلة فى المنطق لايمكن الإجابة عنها إلا بإتقان اللغة .. بل اسألوا طلاب مدارس اللغات كم ساعة يدرسون اللغة الأجنبية وكيف تحرم عليهم المدرسة منذ الحضانة النطق بلغة أخرى ، وخاصة العربية لكى يكون كل حديثهم باللغة المراد إتقانها .. وقد أشرت من قبل إلى سرور بعض الآباء لأن مدرسة اللغات تحرم على أولادهم النطق بلفظة عربية ولو فيما بينهم وخارج فصول الدراسة .. وتأمل هؤلاء الأولياء وهم يلوون ألسنتهم فى بيوتهم ليقصروا حديثهم مع أطفالهم على اللغة الأجنبية التى اختاروها لهذا الجيل الخلاسى الذى يربونه ..

فإذا عرفنا إن الذى ميز بين الإنسان والحيوان هو اللغة ، وأن الخط الفاصل بين الحضارة والبربرية ، بين المثقف والعامى هو اللغة المكتوبة أو ما اصطلحنا على تسميته بالفصحى . فالإنسان حيوان ناطق لأنه يستطيع التعبير عن احتياجاته اليومية وإشباع غرائزه وأحياناً ينتج بلغته هذه لونا من الفن نسميه فلكلور ، ولكن الثقافة هى اللغة المكتوبة ، فهذه هى وعاء الحضارة وأداتها .. بغير اللغة الفصحى لا توجد ثقافة ولا تاريخ ولا حضارة .. بل لقد أثبتت التجربة أن إتقان اللغة الأم هو الذى يمكن من إتقان اللغات الأجنبية .. وتأملوا مشاهير مثقفينا .. أو قارنوا بين الأجيال فسنجد أن أنبغ من تفوق فى اللغات الأجنبية والثقافات الأجنبية هم الذين بدأوا بقاعدة سليمة ومتينة من اللغة العربية .. أما غيرهم فقل أن ينبغ منهم أحد فى اللغة الأجنبية ، لأنهم بلا لغة أصلية ، إنهم كالتراجمة الذين يحيطون بالسياح .. أو فى أحسن الحالات كالعامى فى بريطانيا وفرنسا يحسن الحديث والفهم .. ويعجز عن الإنشاء والخلق الفكرى أو الثقافى .. وتذكروا دائماً رفاعة الطهطاوى وطه حسين .. إتقانهم للفرنسية قام على تبحرهم فى العربية .

وإنى لأذهب إلى القول بأن أمة العرب لم تكن مؤهلة للدور الحضارى الذى قامت به بالإسلام ، إلا لأنها دون سائر الأمم كانت تمتلك ــ وقتها ــ أرقى لغة فى العالم ، لم

يكن لديهم جامعات ولا مدارس ولا مسارح ولا دواوين ولا صناعة ولا زراعة ولا مؤسسات ولا مطبعة .. ولكن كان لهم مهرجانهم للشعر كل عام .. تعلق قصائد الفائزين فيه على الكعبة .

كان العرب عشية ظهور الإسلام يمتلكون لغة فقط ، ولا شيء غير اللغة .. ولكنها لغة متقدمة جداً .. ومنتشرة على جميع المستويات .. لغة كانت تجعل المرأة الحافيه تهش على غنمها ببيت شعر تنشده إنشاء وهى تسير فوق الرمال الحارقة محرومة من كل شيء إلا فصاحة التعبير .. لغة كانت تثير حروبهم ، وتثير نخوة أغنيائهم .. لغة تخلق المجد وتجلب العار .. ولا أدل على رقى اللغة العربية من استطاعتها استيعاب وطرح كل ثقافة الإنسانية قبلها ، من الهندية لليونانية ، فترجمت التراث الإنسانى كله فى سهولة ويسر كأنها لغة عالمية معاصرة قد تطورت وتهذبت فى الجامعات والمعاجم ، بل استطاعت أن تطوى عدة لغات عريقة فتحتل محلها بالكامل كتابة ونطقا فغطت ألفاظها كل المعانى التى اكتشفتها أو نحتتها البشرية حتى ظهور العرب ، وأعادت حروفها لأكثر من لغة مثل الفارسية والتركية وشتى اللغات فى أفريقيا وآسيا بينما عجزت جميع اللغات عن أن تغطى حروف العربية فما منهم من ينطق الحاء أو الخاء أو العين ، بل إن أرقى اللغات اليوم لا تستطيع التمييز بين الخال والعم ، أو المذكر والمؤنث حتى قيل أنك قد تسمع إنجليزيا يتحدث ساعة دون أن تعرف إن كان الذى سيبيت عندهم ابن العم أو بنت الخالة !

كنا أمة تمتلك ، أو قل كنا الأمة التى تمتلك أرقى أداة للفهم والتعبير .. ومن ثم سهل علينا استيعاب الحضارة العالمية وتطويرها وتقديم حضارة متميزة أنارت التاريخ البشرى لعدة قرون ، وكما كانت اللغة العربية هى التى أهلتنا للدور الحضارى الذى جاء به الإسلام ، فى بداية ظهورنا كأمة على مسرح التاريخ .. كذلك فإن انهيار أمتنا ، وزوال حضارتنا ، ومذلة قومنا تأتى كلها مع تخلينا عن اللغة .. بل وبدأت مع تراجع لغتنا بانتقال السلطة إلى غير العرب ..

فهذا الذى يبدو غباء أو تخلفا عقلياً فى الجيل الجديد إنما هو من مظاهر العجز عن التعبير .. هو التناقض الذى يروعنا بين الشهادة الجامعية التى يحملها الشاب ، وحقيقة

أنه عاجز عن التعبير ، عاجز عن الفهم والإفهام .. عاجز عن الخلق ، فضلاً عن الإبداع .. لأنه بغير لغة .. لغة الثقافة لا تنتقل المعانى ولا تنشأ .

ولا أحد يدرى بالضبط كيف ستكون صورة المجتمع المصرى إن استمر الحال على هذا المنوال لجيل آخر ؟ ولكن الظواهر توحى بظهور أغلبية ساحقة ، أمية ، بمعنى الجهل باللغة العربية .. حتى ولو حصلوا على دكتوراه .. أغلبية متخلفة ثقافياً وحضارياً .. تحكمها أقلية تتكلم باللغات الأجنبية .. مجتمع أشبه مايكون بالجزائر أو الهند قبيل الاستقلال .. ولو كان بيدى الأمر لأوقفت الدراسة فى جميع مراحل التعليم خمسة أو عشرة أعوام ، نتفرغ فيها لدراسة اللغة العربية ، لأنه قبل إتقان العربية لن نتعلم أى علم ولا حتى سنتقن لغة أخرى .. هذه قضية تلح على إلحاحاً شديداً وأعتقد أنها أخطر مارمينا به ، وأحق القضايا باهتمامنا .. ألا وهى إعادة تعريب مصر*.

---

* مجلة الشباب فبراير ١٩٩٢ .

هذه فضيحة يا وزير الخارجية ! [1]

تجمع الجيران وفزع الأولاد وفكروا فى استدعاء طبيب معه قميص الكتاف .. بعدما استحال على صديقى عمر الاسكندرانى تهدئتى وبدا أننى فى نوبة جنون حقيقية، وأنا أرغى وأزبد وأهتف من أعماقى : غفر الله لها .. غفر الله لها !!

وأخيراً استدعوا ابنى الأكبر من قصرنا الذى أهدته لنا مؤسسة اكسون تحية لدعوتنا للحل الإسلامى فجاء بطائرته الخاصة التى أهدتها لنا دولة نفطية مقابل إقناع مادونا بالتحجب . وما أن هدأت قليلاً وسألونى: من هى هذه الصالحة الفاضلة التى تهتف غفر الله لها .. ؟!

قلت : استمعوا أولا لقصتى .

جلس الجميع وهم فى أسى لحالى ..

وبدأت أحكى قلت : هل تعرفون الاستاذ حسين أحمد أمين ؟

قلبوا شفاههم بازدراء شديد وقالوا .. الذى جاء إلى أمريكا مرة وقال للطلبة الذين حشدوا له فى دار السفارة أن الاستماع لخطابه أهم من الصلاة .. ثم أصبح سفيراً فى الجزائر ولم يتعفف عن نشر آرائه فى السياسة الجزائرية واستعداء العالم على شعب الجزائر .. وتحميل الدولة المصرية مسئولية معتنقاته، مع أن أبسط مبادئ السياسة تمنع السفير من إعلان رأيه فى الشئون الداخلية للبلد الذى يعمل فيه ! أليس هذا الذى نصب نفسه لعداء الإسلام والمسلمين .. أليس هذا من يزيف التاريخ ليضيف إليه من الشر ما لم يقع نشراً للفتنة، ويزعم أن هذا من فنون الأدب .. أليس هذا الذى زعم أن باسترناك قال أن المسيحية هى الحل وفتشنا كتاب باسترناك سطراً سطراً فلم نجد له هذا القول .. أليس هذا الذى دعوته أن يكون فى شجاعة أدونيس فيعتنق ما يعتقد أنه الصحيح.. أليس هذا الذى حاول أن يتمرجل فارتكب أبشع جليطة يمجها الذوق والعرف والولاء للدولة التى خدم فيها أربعين سنة!

وهنا انفجرت : ثم يبيع هذه الدولة !

اطمأنوا إننى بصحة وعافية واقتربوا يسألون ماذا جد فى سيرة هذا الكريه .. حتى انفعلت لهذا الحد ؟

---

(١) ١٩٩٢/١١/٢١ ، آخر ما نشر في الأخبار وبعدها أجبرت شهرزاد علي السكوت.

هنا تقدم صديقى عمر الاسكندرانى فقال :

ـ أنا السبب، دخلت اليوم على والدكم فوجدته كئيباً متألماً سألته عن حاله، قال والله ما أنصفنا حسين أحمد أمين أكلنا شبيبته وتركناه يتسول فى شيخوخته ! هل قرأت شكواه اليوم وكيف يعيش فى شقة مهدمة بدون زلزال، لا يجد ثمن بياضها لأنه تعفف عن مناقشة الإسلام والمسلمين ورفض أن يقول الإسلام هو الحل أو أن القرآن معجز. وبسبب عفته هذه نكلوا به وحرموه من الكتابة فى مجلة الحرس الوطنى ومن الأموال التى تتدفق على الإسلاميين من دول النفط وبالطبع من أمريكا حبيبة وحامية دول النفط وراعية السلام والإسلاميين والأصوليين منهم بالذات ..

لقد تمزق قلبى رغم اننى أعرف أنه كاذب أشر وأنه يعرف أن الخزائن مفتوحة لكل من سب الدين وكل من تطاول على المسلمين، ولو كان للمسلمين دولة تنفق أو تسند لكانوا أسرع الناس لدخول دين الله ولتحجبوا رجالاً قبل النساء !

ومع ذلك فهذا رجل شريف يأبى أن يقبض ثمن عداوته للإسلاميين وقد قررت أن أجمع له بعض الزكاة فقد أمر عمر بن عبد العزيز بإنفاق ما يتبقى منها على أهل الذمة . وهذا سفير سابق وتحت يده من الأسرار ما لو ضعف لا قدر الله أو ذل لفرط فيها .. فلا بد من مساعدته .

وقال عمر الاسكندرانى فى خجل :

ـ لا اكتمكم أننى لما سمعت هذا القول من أبيكم، ضحكت حتى غلب على طبعى الاسكندرانى، فظهر الغضب على وجه أبيكم وخشيت أن ينكل بى فسارعت أقول : خير لك أن تعتزل الكتابة فقد كبرت وخرفت حتى ينطلى عليك باطلهم ! ما حاجة حسين أحمد أمين لجريدة الحرس الوطنى وريالات أو جنيهات العرب .. هل تعرف ماذا يعمل حسين أحمد أمين الشيوعى التقدمى اليسارى المعارض .. إلخ ؟

نظر إلى بشك وقال :

ـ ماذا .. استاذ بالجامعة الأمريكية ؟ بسيطة ! كلهم منها وفيها وقد قلت مرة أنها أكبر مركز لتجمع الناصريين واليساريين !

ضحكت وقلت :

ـ لا ..

قال : إذن هو يعمل بالصحافة ؟

قلت : فعلاً هو يكتب فى الصحف ولكن صحافتنا ما تأكلش عيش مباشرة وإنما بإعادة بيع ما يكتب فيها لحساب من يعنيه الأمر.. أو تأجير العمود بالسطر !

قال أبوكم : إذن فهو يعمل مدرساً يعطى دروساً خصوصية، على أى حال هذا أهون ..

ضحكت وقلت : ولا هذه .. هل غلب حمارك ؟

هز أبوكم رأسه موافقاً . فدفعت إليه صحيفة الوول ستريت جورنال بتاريخ ٢٦ اكتوبر المبارك من هذا العام الثانى والتسعين بعد المائة التاسعة عشرة من ميلاد السيد المسيح صلوات الله عليه .. وقرأ أبوكم بصوت مرتفع نص ما جاء بالجريدة الامبريالية حرفياً : « وقال حسين أمين الدبلوماسى المصرى الذى يعمل حالياً مستشاراً لمؤسسة روكفلر » وهى بالإنجليزية

ADVISER FOR ROCKefeller Foundion

قال عمر الاسكندرانى : ما كاد أبوكم يقرأ ذلك حتى قفز فوق الكنبة وفتح الشباك وصاح بأعلى صوته : غفر الله لها ! وفشلت فى تهدئته .. فاضطررت لاستدعائكم .

اقترب منى ابنى الأكبر وقال: ماذا أثارك ؟ هل شككت لحظة أنهم يؤجرون على كفرهم وأنهم يعملون ويقبضون من أبشع المؤسسات الاحتكارية الأمريكية ألم تسمع عن مؤتمر تحرير المرأة الذى مولته مؤسسة فورد ؟ ما الجديد ؟ ومن هذه التى تهتف غفر الله لها ؟

قلت : بغى العرب .. مومس العرب الشهيرة التى قال الشاعر أنها رمته بدائها وانسلت خجلة من دائها ! أما هؤلاء فيرمون المسلمين الوطنيين بداءهم وعارهم ولا ينسلون بل ينشرونه على ثماينة أعمدة ! عبيد الدولار مستشارو مؤسسات الاستعمار يتطاولون على الأشراف الأحرار الذين حرموا الوطن والعائلة والمعاش والعمل فى سبيل كلمة الحق ! رضى الله عنها وأخزى كل فاجر منافق الذى ينحنى ويقبل يد حرم روكفلر ويهاجم وزيراً لأنه ينحنى أمام حرم رئيس البلاد !

سيادة وزير الخارجية :

أنا جاد والأمر خطير .. أليس فى مصر قانون، أليس لمصر أسرار، أليس لمصر

مصالح عليا، ألم تعد لدولتنا هيبة ولا كرامة ؟ كيف يسمح لسفير سابق أن يعمل لدى جهة أجنبية فور تركه خدمة الحكومة ؟ وماذا لديه (يأدفيس) به إلا حصيلة ما تجمع تحت يده خلال عمله بوزارة الخارجية المصرية ؟ هل يعقل أن خيشة المكوجي لو أراد أن يكوى لسفارة تشاد تشترطون عليه استخراج ترخيص عمل حرصاً على أمن البلاد ..

وأى شاب يؤدى الخدمة العسكرية لا يخرج من البلاد ولا يعمل لدى جهة أجنبية إلا بعد سنوات.. وحسين أحمد أمين السفير تتركونه يعمل فى مؤسسة أمريكية ويقبض بالدولار ؟! كيف تأمنون إغراء هذه المؤسسات على الموظف وهو فى الخدمة مادام يعرف أنه سيخرج من المعاش بجنيهات معدودة ليعمل عندهم بدولارات جمة ؟! ألا تمنع كل الدول موظف الخارجية من العمل لدى جهة أجنبية؟ أنتم تحرمون عليه الزواج من أجنبية.. وتبيحون له مخادنة مؤسسة أجنبية ؟!

بصراحة الأمر أخطر من أن يسكت عليه، ولابد أن يوجد نائب فى برلماننا يتقدم باستجواب عاجل لوزير الخارجية حول سلوك سفراء مصر وهل يتركون يعلنون عن أنفسهم فى باب وظائف خالية : سفير مصرى خدم فى الجزائر، خبير فى الحركات الإسلامية، مطلع على أدق الأسرار .. يطلب عملاً بعد انتهاء مدته، ويفضل بالدولار!

هل تقبل هذا ؟ وهل وافقت عليه ياوزير الخارجية ..

لابد أن نسمع جواباً من الوزير أو سؤالاً من نائب أو عليكى العوض يا بلد ! وغفر الله لها ألف مرة.

هضبة الهرم من يدفع ؟

عندما غرر دلسبس بالخديو سعيد وجعله يوقع اتفاقية قناة السويس لصالح شركته الفرنسية بشروط فادحة لا تتفق مع استقلال مصر ولا مع الأعراف التجارية ، وجاء الخديو إسماعيل يطلب تعديل الشروط فعرض دلسبس التحكيم الدولى واندب الخديو فوافق على أن يكون ملك فرنسا هو الحكم ! وبالطبع حكم الملك الفرنسى لصالح بلدياته النصاب ، بتعويضات باهظة أثقلت كاهل مصر واضطرتها فى النهاية لبيع حصتها فى القنال ، وبعد وفاة الخديو إسماعيل بأكثر من قرن ، ظهر دلسبس آخرهم مجموعة أفاقين استطاعو بالوسائل إياها الحصول على امتياز استغلال هضبة الأهرام وكان كاتب هذه السطور أول من انتقد الاتفاق ، وقامت حملة فى مصر اضطرت السادات لإلغاء الامتياز مع أنه كان يمكن تطفيش الأفاقين بوسائل أخرى يتقنها البيروقراطيون المصريون ويستخدمونها بنجاح فى تطفيش المستثمرين الجادين ، وذهب أصحاب الامتياز إلى الخارج يشكون مصر فى المحاكم ولا ندرى كيف قبلت مصر أن تحاكم الدولة على غير أرضها وفى مواجهة شركة عديمة الأصل محكوم ضد أصحابها بتهم النصب .. وبعد سنوات لم نسمع فيها عن المحاكمة ولا نعرف حتى من الذى مثل مصر ، حكم علينا حتى الآن بغرامة ٢٧ مليون دولار ، وقد يتأيد هذا الحكم اليوم . (كتب هذا ونشر يوم ٩٢/٦/٢٩ .. وإلى اليوم لم نعرف إن كان قد تأيد الحكم أو رفض !) .

نحن على يقين أن مبارك ليس الخديو إسماعيل وحتى لو صدر أى حكم ورأت مصر أن من المصلحة الخضوع له فأقل مايمكن تصوره هو تغريم الذين ساهموا فى كتابة العقد وتربحوا ، أو دبروا أن يتربحوا منه على حساب مصر فتساهلوا فى الشروط وأغدقوا فى الضمانات إلى حد اشتراط التحكيم خارج السيادة المصرية ! يجب أن يدفعوا الغرامة بالكامل فهذا هو العدل ، وهذا هو الردع لغيرهم ، وهذا من صميم عمل المدعى

الاشتراكى ، ولا ضير عليهم ، فثرواتهم تسمح بتغطية ذلك وأكثر ، فكلهم أغنى من مصر .

وبنفس المنطق إذا صح مانشر عن أن وزير الصحة التركى الذى كان فى ضيافة مصر قد حجز له موظفون فى وزارة الصحة المصرية مقاعد بالدرجة الثانية على رحلة جوية داخل مصر ، ورفض الوزير التركى واحتج ـــ وله ألف حق ـــ إن صح ذلك فأقل ما يمكن عمله هو استقالة وزير الصحة وفصل الموظف الذى اتخذ هذا القرار أو على الأقل سحب السيارة منه ومنع سفر موظفى الوزارة بالدرجة الأولى بما فيهم الوزير .

أو طرد السفير التركى إذا كان الاستفزاز مقصوداً !![1].

---

(١) مصر الفتاة ١٩٩٢/٦/٢٩ .

من أسقط طائرة من ؟!

الأستاذ أنيس منصور كتب فى عموده اليومى بالأهرام يقول أن الرئيس بوش هو « المسئول وحده عن إعلان سقوط طائرة أمريكية مدنية فى المياه الدولية للخليج ، والحقيقة أنها كانت فى المياه الإيرانية ولكنه لم يشأ أن يدخل معركة مع إيران من أجل ٢٩٠ راكباً مدنياً » (أهرام ٨ يوليو ١٩٩٢) .

والقصة كما يعرفها القاصى والدانى أنها طائرة إيرانية والأسطول الأمريكى هو الذى أسقطها والحادثة منشورة بالكامل فى الصحافة الأمريكية هذه الأيام بعدما تبين أن البارجة الأمريكية كانت فى المياه الإقليمية الإيرانية ولا يمكن أن تكون غلطة الكاتب الكبير غلطة مطبعية أو من فعل المصححين ، كما اعتاد اتهامهم ، لأنه يسخر من بوش الذى لم يشأ أن يدخل معركة مع إيران من أجل ٢٩٠ راكباً مدنياً ! ولو كان الكاتب يعرف أن التى أُسقطت طائرة إيرانية وركابها من إيران ، لما كان هناك مجال للسخرية واللايعنى فاكر أن بوش يوقع ويحارب !* .

فإذا انتقلنا من الجد للمزاح أو حتى التخريف ، فسأحكى لكم عن صديق يعتقد بوجود لعنة أنيس منصور مثل لعنة الفراعنة ، التى بالمناسبة يقولون أنهم اكتشفوا سرها أخيراً وهو معالجة المصريين للجثث والأطعمة بمواد ذرية لضمان وقايتها من التلف ، أطول مدة ممكنة ، وهذه الخاصية للمواد الذرية حقيقة يعرفها العلماء الآن ، فلما اكتشفوا هذا الاستخدام الفرعونى ربطوا بينه وبين ما أصاب بعض علماء الآثار عند دخولهم المقابر المكتشفة لأول مرة وتعرضوا للإشعاع المتراكم ، صاحبنا يؤمن أن أنيس منصور يتمتع بهذه الخاصية ، فوجئت به يقسم أن رفعت المحجوب لم يقع اغتياله إلا لمصادفة وجود الأستاذ أنيس منصور فى الفندق فى نفس اللحظة ! وأيقظنى مرة من النوم

* مصر الفتاة ٩٢/٧/١٣ .

بمكالمة عبر البحار يوم العيد ليسألنى هل الأستاذ أنيس يحج هذا العام ؟!

أخذت أسب وأنا أقول : هل تظننى أتتبع حجه وعمرته ؟! هل أنا مطوف ؟ أنا لا أعرف عنه إلا الحجة المشهورة عندما فك الإحرام ليلة الحج ليهرع إلى القدس مع الرئيس السادات ..

ولكنه قاطعنى : ألم تسمع بالحادث الأول من نوعه .. سقط النفق بالحجاج ؟

قلت دهشا : ما دخل الكاتب الكبير بذلك ؟!

لم يرد بل راح يعدد وكأنه يتلو من كتاب :

لقد ظل الفريق المصري فى كأس العالم متعادلاً والأمل باقياً حتى وصل الأستاذ فى طائرة خاصة إلى كالياري فهزمتنا إنجلترا وخرجنا من اللعب ..

وروى الأستاذ نفسه أنه كان آخر من ودع الفريق صدقى محمود فى قاعدة الطيران فجر الخامس من يونيو وقبل أن يصل الأستاذ إلى بيته كان طيران مصر قد دمر وانتهى صدقى محمود إلى السجن ..

أول جريدة عمل بها وهى الأساس التى كانت تصدر عن حزب السعديين ، قتل رئيسها وحكم بالإعدام على الذى خلفه .

وانتقل الأستاذ إلى أخبار اليوم فجرى على أصحابها ماجرى ، وأحبه السادات واختاره رئيساً لتحرير مجلته الأثيرة فقتل شر قتلة .

وكان الأستاذ قد أقنع النميري أن يصدر مجلة وادي النيل فى إطار التكامل واختاره رئيساً لها فخلع النميري وألغى التكامل وتمزق وادي النيل قبل أن يصدر العدد الأول ! ورأيتنى أتنهد وأقول:عمره كبير الحاج عبد الله !

الباب الثالث

عن شرف الكلمة

٢٩ ـ صحف للإيجار

٣٠ ـ شرف الكلمة فى مصر وأمريكا

٣١ ـ مساكن الذين ظلموا

٣٢ ـ إذا ضاقت عليك المعايش

٣٣ ـ سب الدين للبوسنة

٣٤ ـ عن شرف الكلمة يتحدثون

٣٥ ـ شرف الكلمة وأحد صبيان هيكل !

٣٦ ـ هيل مريم !

٣٧ ـ نقابة حرة للصحفيين

صحف للإيجـــار

فى الستينات ومع احتكار الدولة لكل الثروات والإنتاج ظهرت تراخيص الأسمنت التى تصرف لحاملها حصة من الأسمنت بسعر وهمى لا يصل إلى ثلث سعر السوق ، واختص بهذه التراخيص ، المحظوظون الذين لا يعرفون الأسمنت من السكر ولا علاقة لهم بالبناء ، بل أعطيت لهم للتعيش منها ببيع التراخيص فى السوق السوداء لمن يحتاج الأسمنت فعلا ، وانتهت الستينات وجاءت الحريات ولكنها مازالت تحمل بصمات الحصص فظهرت تراخيص الأحزاب التى تبيح إصدار الصحف لحاملها ، وبما أن بعض الذين فازوا بالتراخيص لايعرفون السياسة ولا يفهمون فى الصحافة ولا علاقة لهم بالجماهير وكل قصدهم هو الاسترزاق والتحايل على المعايش وهبر هبرة ، فقد جرى البحث عن مستأجرين لهذه الصحف .. وليبيا عطشانه .. للأسمنت لبناء قواعد لها فى مصر ومن ثم فهى المستأجر الأول .. وعادة تكون إحدى وسائل دفع الإيجار هى شراء كمية مقطوعة من الجريدة حسب خدماتها ، وهى كمية على الورق فلا الجريدة تطبع ولا الليبيون يقرأون ، وإنما أصحاب الترخيص فى مصر يقبضون ، ورجال المخابرات الليبية يدفعون .

وقد شاهدنا دارا صحفية كان يكتب افتتاحيتها مسئول ليبى ، ولما طلبت ليبيا من دولة عربية تمويل النهر الكبير ورفضت ، شنت هذه الصحيفة المصرية الترخيص حملة شعواء على هذه الدولة وانتقل صاحبها من البسكليتة التى جاء عليها من الكفر للقاهرة ، لعربتين مرسيدس مرة واحدة !

وقد كان هذا النظام متبعا فى لبنان ومشهورة حكاية الرئيس شارل الحلو عندما اجتمع بالصحفيين اللبنانيين فقال لهم : أهلا بكم فى وطنكم الثانى لبنان ! وكانت قصة ضرب بها المثل لأن العرف جرى على أن يتكتم ذلك وتتنكره الصحيفة ، يوم كان فى

الناس بقية حياء ، وقد اعتاد الناس أن تطلب حكومة البلد من صحفها ألا تهاجم بلدا معيناً لظروف تقدرها ، ولكن الذى لم نسمع به ولا سبق له مثيل ، هو أن تشكو صحيفة مصرية الترخيص ، لأن حكومة أجنبية تطلب منها تخفيف حملتها على حكومة مصر !!! لم يسبق لعلمنا أن صدر اعتراف رسمى بالارتباط والخضوع لسلطة أجنبية مثل هذا الإعلان ، وهذا ماحدث فى صحيفة الحاج على صالح صاحب ومدير ومستثمر ترخيص مصر الفتاة فقد كتب رئيس تحريرها يقول أن : « مسئولا ليبيا طلب منهم التوقف عن مهاجمة النظام فى مصر » وأن وسيلة الضغط هى نصف مليون جنيه من مستحقات مبيعات الحزب فى ليبيا خلال الستة أشهر الأخيرة .

إلى هذا الحد امتهنت الصحافة المصرية ولوثت حرية الصحافة وبيعت فى سوق العمالة كالشقق المفروشة .. ويصل العشم بالمستأجر حد توجيه موقفها من حكومتنا نحن وليس حكومة النزيل فهى فوق النقد عملا بشعار : الزبون دائماً على حق ، « وإنتى لازم تكونى مبسوطة عشان تيجى تانى ! » .

حصيلة المبيعات ؟!

فى حدود المعلن نحن لا نعرف مايبيعه الحزب فى ليبيا إلا الصحيفة ، فإن استطاعت أن تثبت أنها باعت فى مصر خلال تلك الفترة بنصف مليون مليم ، فسنصدق أن مبيعاتها فى ليبيا نصف مليون جنيه ، وأنه بيع حلال وليس بدل شرف .. ليس ثمناً لما جاء فى صحيفة عربية متعاطفة جداً مع جريدة مصر الفتاة ، جاء بها أن « صحيفة مصر الفتاة هى صحيفة معارضة يشرف عليها جهاز ليبى سرى وتسلك خطا متشددا جداً ضد إسرائيل* .

حكاية التشدد نعرفها ، إنها زبيبة الصلاة والمسبحة ولقب الحاجة لمن تؤجر شقتها مفروشة !

---

* القدس العربية عن صحيفة إسرائيلية ١٩٩٢/٢/١٥ .

إن استمرار الصيغة الحالية لنظام إصدار الصحف ، الذى يحرمها على أصحاب الفعاليات الاقتصادية القادرين فعلا على خلق صحافة مستقلة ، استمرار منع القدرات المالية والصحفية المصرية ، والترخيص لأفاقين مغامرين لايملكون شرف المهنة ولا متطلباتها المالية ، لابد أن يحول هذه الصحف إلى وسيلة ارتزاق ممن يدفع الثمن وابتزاز لمن يرفض ، مع مايمكن أن يسببه ذلك من نتائج خطيرة للفكر والصحافة بل وأمن مصر واستقلالية قرارها .

فى الولايات المتحدة الأمريكية عندما تبين أن شقيق الرئيس كارتر قبض من ليبيا ، أجبروه على أن يسجل نفسه فى وزارة العدل كوكيل أو عميل لليبيا ، وهو النظام المتبع مع أى مؤسسة أو شخص يتلقى مالا من حكومة أجنبية ، ونحن نطالب بتسجيل كل صحيفة أو حزب تشكل المصادر الأجنبية المصدر الرئيسى لدخله ، تسجيله على قائمة هذه الدولة وإعلان ذلك حتى يفهم الناس المواقف والشعارات ، ونتساءل : هل تراقب أجهزة الأمن والمجلس الأعلى للصحافة هذه الموارد والدخول ؟ وهل هناك وسيلة للتحقق من جدية المطبوع والمباع ؟ وهل يحرم القانون على من يملك حزبا أو جريدة أو يتولى رئاسة تحرير صحيفة الاحتفاظ بحساب فى الخارج .. أم الحكاية سبهللة وشرم برم حتى يقع الفاس فى الراس ![*] .

---

* جريدة مايو ٩٢/٥/١١ .

شرف الكلمة فى مصر وأمريكا ..

ألقت السلطات فى الولايات المتحدة القبض على سفير سابق وناشر وصحفى فى أحدث قضايا التربح من حرب الخليج ، وهذه القضية الجديدة تثير عدة قضايا قديمة فى مصر كنا قد أشرنا إليها فى مقالاتنا عن شرف الكلمة وعملية استئجار ليبيا لعدد من الجرائد والأحزاب فى مصر ، ودفاع هذه الأحزاب والجرائد عن النظام الليبى بزعم أنهم يتحركون من منطلق عروبى أو ناصرى أو اشتراكى بينما الدافع الحقيقى هو المبالغ التى تحول لهم من ليبيا باسم إعلانات عن كتب لا تقرأ أو ثمن نسخ من صحف لا تطبع !

وقلنا أنه لابد من تشريع يضبط هذه الأمور فلا تتحول الإعلانات المدفوعة إلى شعارات وطنية تهاجم سياستنا وتفسد حياتنا ، لأن الديموقراطية لا تعنى العمالة وحرية الكلمة لا تقوم على خداع الناس .. وهاهى بعض المبادىء التى يمكن تعلمها من أحدث القضايا فى أكثر الدول الغربية ديموقراطية وممارسة لحرية الإعلام .

المتهمون ثلاثة : سام زاخم وهو من أقطاب الحزب الجمهورى الحاكم وشغل منصب سفير الولايات المتحدة فى البحرين وظل فى خدمة الخارجية الأمريكية من ١٩٨٦ إلى ١٩٨٩ حيث أقاله بوش ، ويبدو أن سعادة السفير بسبب إقامته فى الخليج تعلم الكثير عن العرب وأيضاً من العرب ، فلما احتل العراق الكويت فى أغسطس سنة ١٩٩٠ سارع إلى السفارة الكويتية يبدى استعداده لتجنيد الرأى العام الأمريكى خلف قرار الحرب لتحرير الكويت ، ووافقت السفارة وسلمته ٧,٧ مليون دولار أو مايقرب من خمسة وعشرين مليون جنيه مصرى ، واتصل المستر زاخم بالمدعو وليم كنيدى وهو ناشر من أرباب السوابق ومتهم فى قضية الكونترا (تمويل المتمردين فى نيكارجوا ضد قرار الكونغرس) واستأجر وليم كنيدى بدوره الصحفى الزملطحى واسمه هنا « سكوت ستانلى » وهكذا توافرت أركان الجريمة كما حدث فى مصر : الفاسى الممول

والصحيفة والصحفى الأفاق ودولة نفطية ، ولم يبق إلا الحزب ، وفى أمريكا لا لجنة أحزاب ولا محاكم .. وقرر عم سام فتح حزب واختار له اسما مثيرا جماعة « أمريكا فى خطر » !! وقدموا — كما تقول الصحافة الأمريكية — أنفسهم للرأى العام كمجموعة من الوطنيين المتطوعين الذين يشنون حملة دعم للرئيس الأمريكى بوش فى جهوده لإخراج العراق من الكويت ، من دوافع وطنية وعن اقتناع ، وليس لأنهم يقبضون ثمن حماسهم هذا من السفارة الكويتية ! والاسم يؤكد أن السفير قد تأثر تماماً بالعالم الأمريكى بل ومنذ الستينات ، ولعل القليل يذكرون الآن شعار صوت العرب أو النشيد الافتتاحى للإذاعة وقتها :

أخى فى عمان أخى فى قطر
أخى فى كل مكان وطنًا فى خطر

وهكذا أقام السفير العائد من البحرين تنظيم « أمريكا فى خطر » ! وراح يدعو لإزالة هذا الخطر باستعجال العمل العسكرى .

ولكن لا أسرار فى الإعلام الأمريكى ، وكل عين وأمامها عشرة أصابع ، وخاصة فى سوق القبض والهبر ، وأزمة الخليج كانت موسماً للإعلام المرتشى ، والدم الذى أريق فى الخليج جذب حيتان العالم كله ، وسرعان ماتسربت معلومات فى الصحف عن ارتباط جماعة « أمريكا فى خطر » بحكومة الكويت بالمنفى فاضطر المكافحون لإغلاق التنظيم وفتحوا جبهة سموها « قوة الدفاع عن الحريات » وأنفقوا ٢ مليون دولار على الحملة فى الصحف والإذاعة والتليفزيون والمقابلات ، ورحلوا الباقى وهو خمسة ملايين ونصف المليون فى حساباتهم الخاصة .

وليس فى أمريكا ما يمنع التكسب ولا الإعلان عن دولة أجنبية أو العمل لحسابها والقبض منها والدعاية لها .. ولكن بشرط الوضوح وعدم إدخال الغفلة على الجماهير فالوطنى وطنى والمتحمس عن اقتناع ولو كان مجنوناً يجب أن يتميز عن الذى يقبض ثمناً لوطنيته أو حماسه ..

وهكذا ألقى القبض على الفرسان الثلاثة والتهمة هى القبض من دولة أجنبية للقيام

بنشاط سياسى لحسابها دون إبلاغ السلطات ، وبذلك خالفوا نصوص قانون وكلاء الدول الأجنبية الذى صدر عام ١٩٣٨ مع تزايد نشاط عملاء النازى فى الإعلام الأمريكى وقتها ، والقانون يشترط على كل من يمارس نشاطا سياسياً لحساب دولة أجنبية أن يسجل نفسه فى وزارة العدل كوكيل لهذه الدولة ، ويملأ استمارة خاصة بذلك تكون متاحة للصحافة والكونغرس ومن يعنيه الأمر ، لكى يعرف الناس حقيقة الدوافع فيقيمون الهتافات والشعارات على ضوء هذه المعلومات ، ولكن الفرسان الثلاثة لم يفعلوا بل تقدموا للشعب الأمريكى ، كوطنيين تحركهم اقتناعاتهم ! وكما جاء فى قرار الاتهام : « قابلوا أعضاء فى الكونغرس ومسئولين حاليين وسابقين فى الحكومة لحثهم على استخدام القوة فى الخليج ، وبذلك يكونون قد غرروا بهذه الشخصيات إذ اعتقدوا أن جهود المتهمين هى عمل تطوعى بدافع الوطنية بينما فى الحقيقة هم وكلاء لحكومة أجنبية ويقبضون سرا منها ثمن جهودهم هذه » .

وبالطبع وجهت لهم تهمة التهرب من الضرائب بعدم الإبلاغ عن المبالغ التى قبضوها ، والتهرب من الضرائب فى أمريكا من أخطر الجرائم وأشدها عقوبة وكثيراً ما تلجأ إليه الدولة لضرب أصحاب النشاطات المشبوهة التى لايتمكن القضاء من إدانتها فإذا أفلتوا من محكمة الجنايات بسبب مهارة المحامين لاحقتهم الضرائب بالسجن والمصادرة .

وهذه القضية ليست إلا حلقة فى مسلسل التحقيقات التى تتناول الدعاية لحرب الخليج فى الولايات المتحدة ، وقد وجهت أصابع الاتهام قبلها لشركة علاقات عامة هى شركة « هيل ونيلتون » وهذه كانت تدير حملة الدعاية للكويت بصفة علنية وقانونية مقابل ١٢ مليون دولار ، وقد اتهمت الوكالة بأنها روجت معلومات كاذبة أو مبالغا فيها عن فظائع عراقية وأبرزها المسرحية التى قدمتها « نيرة » الفتاة الكويتية ذات الخمسة عشر ربيعا ، فيما عرف بأشهر خديعة أجنبية للكونغرس الذى اعتاد أن تغرر به الحكومة الأمريكية وتزوده بمعلومات كاذبة عن نشاطها الخارجى مثل إخفاء علاقات الحكومة الأمريكية السرية مع صدام حسين خلال فترة حربه مع إيران ، ثم اتصالاتها أيضاً مع حكومة إيران وتدبيرها صفقة سلاح لإيران عبر إسرائيل ، وأخيراً وليس آخراً الفضيحة

المستمرة حول تمويل المتمردين فى نيكاراجوا .

ولكن ما لم يحدث من قبل فهو الملعوب الذى شربه الكونجرس من فتاة كويتية ، نقلت الأقمار الصناعية صورتها على ملايين التليفزيونات وشاهدها الناس ودموعها تنسكب والعبرة تخنقها وهى تحكى كيف شاهدت الجنود العراقيين ينتزعون أربعين طفلاً من الحاضنات الصناعية فى مستشفى بالكويت ويقذفون بهم للموت لنقل هذه الحاضنات إلى العراق ، وتمزق قلب الكونغرس العطوف وارتفعت الصيحة فى الإعلام الأمريكى تنادى بالويل والثبور والانتقام لدموع العذراء وأرواح الأطفال الأبرياء !

وبعد التحرير — كما تقول الوشنطن بوست — أكدت عدة منظمات لحقوق الإنسان وجرائم الحرب ومنها منظمة العفو الدولية ، أنها لم تجد أية أدلة تدعم هذا الاتهام ! وبدأ التحرى والاستقصاء ، وإذا بالصحافة الأمريكية تكتشف أن عذراء الكونغرس ليست إلا « نيرة سعود الناصر الصباح » بنت السفير الكويتى فى وشنطن ، وأن هذه الحقيقة أخفيت عن أعضاء الكونجرس الذين كان تقييمهم للشهادة سيختلف طبعا ، لو عرفوا الحقيقة ، وإذا كان تواطؤ المسئولين موضع شك ، فإن الثابت هو إخفاء نسبها عن الجمهور الأمريكى ، بل والرأى العام العالمى الذى تابع شهادتها ، وقد بادرت حكومة الكويت فاستأجرت شركة استخبارات خاصة هى « كرول أسوسياشن » التى قدمت تقريراً من ٩٣ صفحة يؤكد أن ٧ أطفال على الأقل ماتوا بسبب إخراجهم من الحاضنات » !

لقد وعد الأستاذ الكبير إبراهيم نافع فى رده على كلمتى حول حرية الحوار بأنه ينوى أن يتقدم بمشروع قانون أو ميثاق لشرف المهنة للصحافة والصحفيين ، وفى اعتقادى أن الأمر أكبر من الصحافة بل هو لابد أن يشمل سائر المهن ، وأكبر من أن تتولاه النقابات الخاضعة لأصوات الناخبين ، وبالتالى يصعب عليها فرض التشريعات التى تضبط مسلكية أعضائها ، والملاحظ أن المنحرفين هم دائماً حريفة انتخابات .

الأمر يحتاج لتدخل الدولة ووضع التشريعات التى تحقق حرية المعرفة للجماهير ، فنعرف مصدر الوحى وسر الحماسة وثمن الشعارات ، ولن نكون أكثر انفتاحا من أمريكا* .

---

* مصر الفتاة ١٩٩٢/٧/١٣ م .

مساكن الذين ظلموا ..

يفترض فى اليوميات خفة الدم وليست هذه واحدة منهن لأننى لا أحب المزاح فى جديات الأمور إلا فى إطار شر البلية مايضحك ، فأنا أريد التعليق على القرار التاريخى الذى أصدرته لجنة الأحزاب بالاعتراف بالمؤتمر الشرعى لحزب مصر الفتاة الذى خلع القيادة المنحرفة التى كان يمثلها عم صالح والصحفى الزملطحى بعد ما تأكد خضوع القيادة المخلوعة لتوجيهات سلطة أجنبية واعترافها بذلك علنا ، وقبضها أموالاً من هذه الجهة تحت ستار اشتراكات وإعلانات .. وبعد الخيانة المدوية بطلب تدويل مكة والمدينة .

هذا القرار هو أول بادرة تؤكد الاقتناع بأن النظام الديموقراطى قادر على تصحيح نفسه وتطهير صفوفه من الانحرافات والطفيليين الذين أرادوا الاتجار فى الديموقراطية وتأجير الأحزاب والجرائد لمن يدفع ، والحق أن القيادة المخلوعة كانت تشكل ظاهرة خطيرة وغريبة عن الخلق المصرى ، ظاهرة عرفتها لبنان وكانت من أسباب نكبته ، وقد أشفق الواعون على مصير الديموقراطية فى مصر وهم يرون المستوى المتدهور الذى انحطت إليه صحيفة الحزب .. وراح بعض هؤلاء يتطلع للسلطة لكى تتخذ إجراء تحمى به الديموقراطية وشرف الصحافة وكرامة الأحزاب .. حتى لو كان ذلك على حساب حرية العمل والتعبير ، وكانت حجتهم أنه لابد من قانون يضرب على يد المنحرف لكى تكتمل حرية المواطن الشريف .. ولكن التجربة أثبتت أننا لم نكن بحاجة إلى تدخل السلطة ، فمن خلال حرية الصحافة وحرية التعبير أمكن كشف انحرافات قيادة عم صالح والمكونات المنسية لانحراف الصحيفة والمشرف عليها ..

وأهم من ذلك أنها أتاحت للمعارضة داخل الحزب فرصة التعبير عن رأيها ، هذه الحرية التى حرمت منها فى صحيفة حزبها ، فما أكثر ماتتشدق بعض أحزابنا بالحرية

وتحرمها إلا على العصابة المسيطرة على الجريدة ! تطالب بحصة متساوية فى التليفزيون لحزب ليس له نائب واحد ، وفى نفس الوقت تحرم نائب رئيس الحزب من حق التعبير فى صحيفة حزبه .. وتمنع نشر خبر فضلا عن قرارات المؤتمر الذى استطاع أن يعزل القيادة ! ثبت أن الجسم الديموقراطى قادر على تطهير نفسه وأن التعددية تتيح الفرصة لأصوات المعارضة لكى تعبر عن نفسها ، وتقاوم انحرافات وديكتاتورية قياداتها ، وجاء الاعتراف بهذه الحركة التصحيحية التى تمت بأسلوب ديموقراطى وقانونى وسلمى فى نفس الوقت ، تأكيداً لذلك كله ..

ومن الطبيعى أن تتحرك أبواق ليبيا فى الخارج والداخل تنعى الديموقراطية فى مصر التى ينعم بها شعب الجماهيرية العظمى ! وكان من المتوقع أن يفزع البعض ويهرع للتضامن خوفا أن تصبح سابقة تتبع فى تطهير الأحزاب والضرب على يد المنحرفين ، إلا أننى لا أفهم معنى لجوء المخلوعين للقضاء ربما استناداً للقانون الذى يجعل الشقة من حق المطلقة ! فهم لم ينظروا للحزب والصحافة بأكثر من نظرتهم للشقة .. ومن ثم يطعنون فى الحيازة .. اللجنة التى رخصت بوجودكم حكمت بزوال شرعيتكم .. لماذا يكون قرارها فى الترخيص عملا قانونياً ومشروعا وديموقراطياً ، وعندما يصير لغيركم يكون بداية المؤامرة ..إلخ. وكيف إذن تتغير القيادات التى ينتهى دورها أو تنحرف ..

حولوا الأحزاب إلى ملكية عائلية أو شللية للانتفاع الخاص ، وفى الوقت الذى يطالبون بتبادل السلطة (ممكن تضحك هنا وهذه أيضاً من فلسفة أزمة المساكن فعندنا قانون لتبادل الشقق !) فى الوقت الذى يطالبون بتبادل الحكم ، سجلوا الصحيفة والحزب مدى الحياة للذى قفز أولا .. لماذا لاتحاولون إنشاء حزب جديد ولن يكون من الصعب لم أعضاء إذا ما اتفق مقدما على توزيع الإيراد بالتساوى ![1] .

ولكن القضية يجب ألا تنتهى عند هذا الحد .. يجب ألا نسمح بقيام صحف أو أحزاب تعيش على الارتزاق وبيع نفسها لدول أجنبية باسم الإعلانات أو شراء كمية

---

(١) وإلا فما معنى العقد الذي أبرم بين رئيس الحزب والصحفى بدفع تعويض مليون جنيه إذا تقرر تنحيته ألا يعنى هذا رئاسته مدى الحياة ؟!

وهمية من المطبوعة ، يجب ألا يسمح لصحفى يقبض أو يريد أن يبتز دولة أن يفسد علاقاتنا أو أن يعبث بأخطر قضايانا .. الذين يدافعون عن هذا العار الذى طوبناه. ألا يعلمون أن المطالبة بتدويل مكة والمدينة هو شعار يصب بالكامل فى طاحونة الدعاية الإسرائيلية .. ألا تقول إسرائيل للعالم: إذا كان المسلمون يطالبون بتدويل مكة والمدينة التى لا يدخلهما مسلم ، إذا كانوا لا يأتمنون بعضهم بعضا على أقدس مقدساتهم فكيف يأتمنهم العالم على القدس وبأى حق يطالبون بالسيادة العربية على المدينة المقدسة عند المسيحيين واليهود .

هل الحرية هى أن نترك مثل هؤلاء يتاجرون بأقدس قضايانا القومية والدينية ، ثم نتضامن معهم عندما تثور حمية الأعضاء لمقدساتهم فيخلعون المنحرف .. أم أن كل من على رأسه بطحة راح يحسس عليها ؟!* .

---

* مصر الفتاة ٩٢/٦/١ .

إذا ضاقت عليك المعايش .. افتح لك حزبا !

عندما ذهبنا للبنان سمعنا ، لأول مرة ، عن الأسعار الخرافية التى تباع بها تراخيص التاكسى والصحف .. ولما كان يطلق على عدد كبير من صحف لبنان تعبير « صحافة التاكسى » فقد توقعت وجود علاقة بين الصحافة والتاكسى تفسر هذه التسمية ، وهذا الارتفاع الجنونى فى سعر تراخيص الاثنين ، وقد قال لى الأصدقاء أن تعبير صحافة التاكسى يقصد به الصحف المأجورة مثل التاكسى الذى يركبه أى زبون لا يسأله عن شخصيته ولا وجهته بل يتجه به التاكسى حيث يريد ووفقاً لتعليماته مادام يدفع الأجرة والإكرامية ، خاصة وتاكسى بيروت لم يكن يعمل بالعداد بل فشلت كل الحكومات فى إلزام أصحاب التاكسى بتركيب عداد ، وبذلك ترك الأمر للمساومة بين الراكب وصاحب التاكسى يحددان الأجر وفقاً لحاجة الراكب واتجاهه ومخاطر التوصيلة ومخالفتها للآداب والقانون !

ونفس الشيء عن صحف التاكسى التى كانت مفتوحة لمن يركب ويدفع بما يناسب المخاطرة .. فكان تأييد سياسة عدم الانحياز ومحاربة الأحلاف فى عهد السراج وصلاح نصر أرخص من تأييد حلف بغداد ، إذ كان أجر الأولى يتضمن بقشيش الوطنية وحماية الأجهزة التى كانت لها الغلبة وقتها فى ميدان الإرهاب ، فلما انقلبت الآية وأصبحت مصر بلا مخالب فى عهد السادات ، أصبح سب مصر سرفيس ، أى بليرة ويحمل التاكسى عدة ركاب بينما قفز سعر التوصيلة لبغداد أو سوريا أو ليبيا أو سب أحد هذه البلدان لحساب بلد آخر ، إلى مئات الألوف وأحياناً الملايين لأن هؤلاء إذا لم يقف لهم التاكسى ينسفونه بالريموت كنترول ، ولعل هذا يفسر للمؤرخين سر الموجة « الوطنية » والمعادية لمصر فى صحافة التاكسى !

وكما فى التاكسى كذلك فى الصحافة يرتفع سعر التوصيلة فى الأزمات وانقطاع

المواصلات أو حدوث كوارث ، وساعتها تعمل بعض السيارات الملاكى تاكسى لشدة الطلب وارتفاع الأسعار ولو لتوصيله واحدة ، وعندما حدثت واقعة هزت مشاعر العالم الإسلامى تحولت صحيفة لبنانية برخصة ملاكى بنى غازى إلى تاكسى لمدة ثلاثة أعداد وقبضت ثلاثة ملايين دولار ..

وكان يجرى بيع النمر (وهو التعبير اللبنانى عن بيع التاكسى إذ يحتم القانون تغيير النمر عند انتقال ملكية التاكسى) فى رواج محموم وتقفز الأسعار عند كل انقلاب ، وتحدث تنقلات مفاجئة من أقصى اليمين لأقصى اليسار ويستلم الموزع مرتجع عراق الاتجاه ليسلم عدد جديد سورى لنفس الصحيفة ، أما سر ارتفاع أسعار تراخيص التاكسى والصحف ولماذا أصبحت لها بورصة ولماذا لايلجأ الراغب فى إصدار صحيفة أو تاكسى إلى الدولة مباشرة ويطلب ترخيصا .. فتفسيره أن أصحاب التاكسى شكلوا فيما بينهم نقابة واستطاعوا بأساليب عديدة تمتاز بها الدول المتخلفة أن يستصدروا من الحكومة قراراً بمنع إصدار تراخيص جديدة للتاكسى ، وهكذا احتكروا السوق وأصبح على من يرغب فى امتلاك تاكسى أن يشتريه منهم ومع الاحتكار ارتفعت أسعار التراخيص !

وسرعان مااقتدى بهم أصحاب الصحف فشكلوا نقابة واستطاعوا بنفس الوسائل أن يجبروا الحكومة على وقف الترخيص بصحف جديدة ، وهكذا أصبح عدد التراخيص محدوداً ، ولما جاء عبد الحميد غالب (سفير ناصر فى لبنان) ومعه عبد الحميد السراج (ديكتاتور سوريا ورجل ناصر) بملايين مصر لشراء صحف لبنان ونزلت المزاد العراق ودول الخليج ثم ليبيا فضلاً عن روسيا وأمريكا وإسرائيل وكل من له حاجة فى العالم العربى ويريد أن يسمع صوته أو يروج لفكره .. بدأت العملية برشوة المشرفين على الصحيفة ثم تطورت لشراء الترخيص ونقله باسم صحفى لبنانى مرضى عنه من سفارة الدولة المعنية ، وولعت أسعار الصحف ووصلت إلى ملايين الليرات ثم ملايين الدولارات وانطلق شعار : « هنيئا لمن عنده ترخيص تاكسى أو جريدة فى لبنان » ثم تدهورت أحوال لبنان وسقطت صحافتها أو قل احترقت بالنار التى أشعلتها واشتعلت فيها بسعار الجرى وراء المال الحرام ، والغريب أنه بعد أن زالت مملكة الصحافة فى لبنان

فإن بعضهم دفع الملايين فى شراء ترخيص لبنانى ليصدره من لندن مع أن ترخيص صحيفة فى لندن لا يتكلف أكثر من عشرة جنيهات ، لأن بريطانيا وإن سمحت باختلاط الأنساب فهى لا تسمح باختلاط الوظائف ! فالتاكسى لا يعمل بالصحافة والصحافة لا تعمل تاكسى أبدا .. (وإن كانت هناك محاولات عربية محمومة للتحايل على ذلك ، وفى أوروبا الآن صحف عربية أسوأ من التاكسى ، ولكن الأمر لن يستمر طويلاً فى اعتقادنا ، فلابد أن يتنبه الإنجليز إلى أن حرية الصحافة التى يقدسونها لا يجوز استغلالها من جانب العرب ، وعندها سيتغير الموقف) .

فى مصر لم تكن هناك مشكلة فى استصدار رخصة صحيفة إلى أن جاء انقلاب يوليو فظهرت قوانين تقيد إصدار الصحف ولكن طوال عهد عبد الناصر لم تستطع صحيفة واحدة أن تتحول إلى تاكسى فلم يكن رحمه الله يسمح لأحد بالاسترزاق ، ولو تحايل أحدهم فما كان يستطيع نشر حرف لا يقره الرقيب .. وهكذا اختفت القاهرة والسوادى .. إلخ واحتفظت صحافتنا بشرفها ، واقتصر الأمر على إصدار الأعداد الإعلانية ليحصل على عمولتها المشرفون على الصحيفة ، وقد أصدرت دار الهلال عدداً بعنوان « نحن العرب » ولم ترد مصر فيه وغضب عبد الناصر وقال : يعنى علشان ماعندناش جاز نبقى مش عرب !

وحدث أن تمكن وزير الإعلام التونسى من نشر خطبة بورقيبة التى يسب فيها عبد الناصر كإعلان فى صحيفة الأهرام ! ولولا أن ملتزم الصحيفة كان هيكل لضاعت فيها رقاب !

ثم جـاء الانفتـاح

وظهرت تراخيص الأحزاب والصحف وهى لا تخضع لقاعدة معروفة ولا تصدر من جهة واحدة بل تتعدد المراجع .. وهكذا فاز بالترخيص عدد ممن لا يملكون لا القواعد الجماهيرية التى تمكنهم من تمويل الحزب وصحيفة الحزب ولا الإرادة والنية والإخلاص التى تحقق الانتشار الجماهيرى ومن ثم التمويل الشريف .. وإنما طلب

الترخيص أصلا من يسعون للشهرة أو التطلع لمساومة السلطة ولو على مستوى البلدية ! أو الارتزاق الصريح بعد أن ضاقت المعايش وقلت فرص الحصول على إذن استيراد أو تصدير ، وفشلت مزارع البط والديك الرومى ، وعرف أن الحكومة تدفع إعانة لأصحاب تراخيص الأحزاب وتوفر لهم الشقق ، وبعضهم أصبح يطالب بتمويل معركته الانتخابية ومساعدته على أداء الفريضة ولو من المصاريف السرية ! وهكذا أصبح المطلوب بعد الحصول على الرخصة ، البحث عن ممول .. وبدت اللعبة سهلة ومغرية !..

صاحب الترخيص يعرض خدماته ويأتى الزبون فيستأجر الجريدة بعض الوقت وينشر فيها مايريد مقابل الدفع الذى يستأثر به صاحب الحزب ، ولكن قانون الصحافة يشترط أن يرأس التحرير صحفى عضو بنقابة الصحفيين وهو من بقايا امتيازات نقابة الطوائف مثل نقابة أصحاب التاكسى فى لبنان ، فالأصل فى النقابات الحديثة أنها لحماية العاملين فى المهنة ، ولكن نقابات الطوائف التى سبقت العصر الصناعى كانت مهمتها قصر المهنة على أعضائها فهى التى ترخص لمن يعمل فى المهنة ، ونقابة الصحفيين فى مصر هى من هذا النوع لا تضم العاملين فى الصحافة بل ترخص بالعمل فى الصحافة ! وهى بالطبع لا مثيل لها فى العالم المتمدين فأنت فى بريطانيا تعمل فى جريدة ثم تحصل إن شئت ، أكرر إن شئت ، على عضوية اتحاد الصحفيين وليس العكس .

المهم ، صاحب الترخيص كان بحاجة إلى رئيس تحرير ويتم استئجار رئيس تحرير من المسجلين فى النقابة ، وفى البداية أقبل البعض لمجرد أن يدخلوا زمرة رؤساء التحرير فترتفع درجة الفندق الذى ينزلون فيه من ضيافة العراق أو عند أداء العمرة أو فى الزيارة الموسمية لليبيا ، ثم اكتشف بعضهم أن صاحب الجريدة يقبض والنشر يتم باسمهم والحبس من نصيبهم ، فبدأت المساومة على حصة كل منهما . ويتم الاتفاق لفترة ثم يأتى زبون جديد يدفع الخلو ويغير سياسة الجريدة أو اتجاه التاكسى فيفصل رئيس التحرير ، وبعض الزبائن جاءوا يشترطون رئيس تحرير مضمون الولاء واشترط صاحب الترخيص مبلغا مقدماً ، وهنا ظهرت الحاجة لضمانة ضد صاحب الجريدة لكى لا يقبض المبلغ ثم تقفل

الجريدة أو يفصل الصحفى المعين من الدولة أو الجهة المستأجرة للجريدة ، وإذا بنا نسمع عن أعجب عقود وشروط يتعهد فيها صاحب الجريدة بدفع تعويض إذا أقفل الجريدة أو توقف عن إصدارها ..

وقد نُشر أن العقد الموقع بين الزملطحى ورئيس الحزب المخلوع كان يقضى بإلزام صاحب الترخيص بدفع نصف مليون جنيه إذا أغلق الجريدة وخمسمائة جنيه عن كل عدد لايصدر ومدة العقد ١٥ سنة !! ولما كان لا مصطفى أمين ولا هيكل ولا موسى صبرى حصل على مثل هذا العقد ، ولما كان تاريخ الزملطحى فى الصحافة لا يتجاوز العمل فى نشرة بدولة الامارات ويشك أن يكون عم صالح قد سمع عنه قبل اللقاء السعيد فلابد أن موضوع العقد كان يدور حول أمور أخرى غير كفاءة الأستاذ الصحفية .. ولعل القضاء سيكشف لنا بعض المستور ولعل القضاء يساعدنا على الفصل بين مهنة الصحافة ومهنة التاكسى* ..

---

* مصر الفتاة ٩٢/٦/٨ .

سب الدين لأهالى البوسنة !

قال الرئيس مبارك أن بعض المعارضين يعارضون أى عمل تقوم به الحكومة ! وهذا صحيح وماكنت أظنه يصل إلى هذا المستوى ، أعنى إلى حد سب دين أهل البوسنة ومعارضة تأييدهم لمجرد أن حكومتنا ــ جزاها الله خيراً ــ أيدت مسلمى البوسنة والهيرسك وعارضت واستنكرت حرب الإبادة التى يشنها الوغد الشيوعى سفاح أو صدام بلغراد بل وامتد الهجوم إلى من أسماهم بالكتاب المنافقين الذين يدافعون عن البوسنة والهرسك وذلك فى مقال أعلن عنه فى الصفحة الأولى للواء ميم طلعت أحمد مسلم !

قال فض فوه : « تشير بيانات رسمية كثيرة وكتابات بعض الكتاب حول أوضاع الإخوة المسلمين فى جمهورية البوسنة والهيرسك إلى قدرة عالية على النفاق السياسى وقصر النظر ..»

لماذا ياطويل التيلة على رأى سهير البابلى ؟!

أسمعنا الأسطوانه إياها : وماذا عن فلسطين وماذا عن ليبيا والعراق .. إلخ تماماً كما كان عملاء الروس يعتبون الاهتمام بافغانستان ويقولون أن هذا على حساب الاهتمام بفلسطين ! وانتهى إلى أنه « لانستطيع أن نقبل الموقف الرسمى وموقف كتاب الحكومة وغيرهم الذين يبدون غيرة شديدة على جمهورية البوسنة والهيرسك ويدعون إلى عقاب الصرب بينما يساهمون فى الحصار المضروب على ليبيا .. إلخ »

ثم ينزلق خطوة أخرى فيعارض قرارات الأمم المتحدة فيقول كاتب حكومة بلغراد اللواء ميم (لم أعرف إلى ماذا ترمز الميم .. الميمات كثيرة وإن كنت قد استبعدت أن يكون مهندساً فقد قال أن أذربيجان أقرب إلينا من البوسنة وهو بذلك جاهل بالجغرافيا

وهى أول ما يدرسه المهندسون) إن الاهتمام بمسلمى البوسنة لا يكون بتوقيع عقوبات على جمهورية الصرب ولكن عن طريق استعادة الوفاق بين الشعوب التى عاشت وتعاونت منذ الحرب العالمية الأولى .. خاصة وأن المسلمين ليسوا أغلبية وأن العناصر الأجنبية هى التى تشعل الفتنة .. إلخ » .

بعض الكتابات تصيبك بالقرف فتعجز عن الرد وهذه منها ، وعلى أية حال فهذا ليس موقف الجريدة التى يبدو أنه لا يقرؤها فهى حافلة بالبيانات والإعلانات المؤيدة لمسلمى البوسنة من الصفحة الأولى إلى الأخيرة ، ورئيس الحزب يحضر مؤتمرا فى طنطا للتضامن مع البوسنة ..

هل هى مجرد كلمة صدرت فى إطار العند يورث الكفر .. ومعاندة الحكومة فى كل ماتفعل حتى لو استجابت لمطلب الحزب ذاته ؟! أشك أن يكون ذلك فقط لأن معارضته لفرض عقوبات على الصرب ومحاولته جعل الضحية والجانى على قدم المساواة تعزز الشك فى أن موقفه له ارتباطات ودوافع أخطر من مجرد عناد الأطفال !!* .

* مصر الفتاة ٩٢/٦/٨ .

عن شرف الكلمة .. يتحدثـون !

كنت قد قررت أن أخص بهذا الحديث ، الأستاذ الكبير جداً محمد حسنين هيكل باعتبار دوره الأكبر فى ماجرى لشرف الكلمة فى مصر بل فى الصحافة العربية عموماً ، وآخر جهوده هو هذا الأسلوب العجيب الذى اتبعه فى كتابه عن حرب الخليج ، إذ آثر أن يخفى رأيه فى موقف حكومته عن قرائه المصريين والعرب ، بينما بذل كل جهد ممكن لتشويه هذا الموقف فى الطبعة الإنجليزية المخصصة للتوزيع بالخارج ! بعكس الكاتب الذى يلتزم بشرف الكلمة إذ يفترض فيه الحرص على تعريف مواطنيه بالحقيقة كاملة وخاصة فيما يتعلق بحكومتهم ، أما عن الخارج فإما أن يلتزم بحرفية شرف الكلمة فينشر نفس القول أو يلتزم بشرف المواطنة فيرفض الإساءة لحكومة بلده عند الأجانب ، وقد فعل هيكل العكس فلا التزم بشرف الكلمة ولا شرف المواطنة ، فنافق السلطة هنا وخدع المصرى ، ونافق الأجانب هناك مهاجماً مصر وحكومتها .

كان الحديث إذن من حق هيكل ولكن ــ رحم الله شوقى ــ حديث الأفاعى طويل المدى ، فقد طالعت بعد عودتى من الخارج الصحف المتراكمة فوجدت مسرحية تدور حول شرف الكلمة من إعداد وتنفيذ رئيس هيئة الكتاب القاسى وليس الماسى وعبد المعطى حجازى ومراسل مجلة حوار .

والحكاية أنه لظروف نعلم بعضها وخفى علينا أو أخفى عن الناس معظمها ، أصبح هذا الثالوث يسيطر على المنابر الرسمية الثقافية ، وبما أن القاعدة جرت على أن من لايملك يعطى من لايستحق فقد رأت هيئة الكتاب أن حرية الكلمة وحرية الإبداع لا تتحقق بمجرد الانتشار فى الصحف ، فمولت وأصدرت مجلة أدبية وأهدت رئاسة تحريرها لحجازى ، وإتماما لحرية الفكر أنشئت مجلة أخرى هى الفصول أهدت رئاسة تحريرها للأستاذ الكبير جابر عصفور الذى أكن له كل احترام وتقدير لسبب بسيط جداً

هو أنني لم أقرأ له حرفا فى حياتى ولا أعرف أحداً قد قرأ له ، وإذا كان الأستاذ عصفور قد بلغ به تواضعه أن يكون منكورا إلى هذا الحد رغم صلاحيته لتولى رئاسة مجلة تنفق عليها الدولة ، وتوجه الفكر فى مصر ، فلابد أنه حقا جندى الأدب المجهول وقد استقر العرف على تكريم الجنود المجهولين حتى فى النشر فله منا ألف تحية وتقدير ، « ولولا كى ياجرادة ماوقعت ياعصفور » مع الاعتذار لتوفيق الحكيم !

وإذا كان الأمر قد فاض بالمثقفين المصريين بل والغالبية العظمى من المواطنين من سيطرة هذه العناصر ، فإن الدكتور هدارة وحده قد وجد من مسئوليته أن يحتج ومن الشجاعة ما جعله يسطر ذلك فى شكوى للسيد رئيس الجمهورية حول سيطرة واستئثار اتجاه بعينه حدده الدكتور فى رسالته التى قال فيها : « إن الأمر يا سيادة الرئيس قد جاوز حده وأصبح المثقفون الأصلاء لا يدرون من وراء هؤلاء الماركسيين أو وزير الثقافة الضائع فى دهاليز الفن أو رئيس هيئة الكتاب الضائع بين النشوة والأصحاب »

وقال « كيف يمكن أن تشارك الدولة بأموال شعبها فى التحريض على الدين والأخلاق والقيم والنظام تحت شعار الحرية التى لم تكن فى تطبيقها عندهم غير السجن والتعذيب .. إلخ » .

وهذا الأسلوب فى الكتابة هو نقد وشكوى واحتجاج وصرخة غضب من مثقف فاض به وبنا الكيل ، وتنبيه للسلطات بما قد يكون قد حجب عنها من حقائق المجتمع المصرى وما يجرى فى دهاليز المؤسسات العامة ، التى تصدر مجلة تقول فى عددها الأول أن مهمتها هى التركيز على المحرمات !..

إن استنكار ذلك برفع الصوت لدى المسئولين ، هو حق بل واجب لكل مواطن وكل الدساتير تنص على حق مخاطبة السلطات ، وقد جرى العرف عندنا وفى سائر بلاد العالم كما اعترف مراسل حوار على تحويل السلطة مثل هذه الاحتجاجات إلى الجهة المسئولة للرد عليها ، وليس خيانة الأمانة بتسليمها للصحف وكأن فى الأمر فضيحة ! ولابد أن الدكتور هداره أتاه بعض علم مراسل حوار .. فهو لم يتصورها وشاية ولا السلطة نظرت إليها بهذه العقلية لتكتمها وتضعها فى ملف المشكو والمشكو فى حقه . بل

حولتها للمسئول لعلها تسمع منه تفسيراً ، ولكن الإرهاب والبلطجة والشعوذة والإسفاف الذى يتسم به الناصريون والماركسيون / الأمريكيون .. رأوها مناسبة ليجعلوا من رئاسة الدولة سلطة مباحثية ، الكتابة إليها بلاغ أو وشاية ! بل ويتطاولون على مقام الرئاسة فيوحون وكأنها من فرط حبهم قد غدرت بالشاكى لها فحولت شكواه لخصمه نكاية فيه ! مع أن إجراء السلطة هو الذى كان يرجوه ويتوقعه الشاكى فهى تسأل المشكو فى حقه عن تفسير أو رد ولكنه لم يتصرف كموظف مسئول ، بل كمتآمر يسلم أوراق الرئاسة للنشر بدون إذن صريح من الرئاسة ، وهى وحدها فعلة توجب الإقالة !

.. الوشاية هى الكتابة للمباحث ..

الوشاية هى الكتابة للسفارة الفرنسية وتبرير حتى الاحتلال الفرنسى .

الوشاية هى الكتابة لسفارة هولندا وتدبير أو تزوير أوراق معها لتسهيل الهروب من مصر .

الوشاية ليست فى رفع صرخة احتجاج لرئيس البلاد ، بل الوشاية ياسادة — إن كنتم قد نسيتم — هى كتابة التقارير لمسئول حزب البعث فى بغداد أو باريس أو فى صحيفة المحرر والوطن عن الأوضاع فى مصر ، ومقالات لينشرها البعث ضد حكومة مصر مقابل دفع نفقات الاستمتاع فى باريس أو الضيافة مع الإركاب لبغداد ومنها .. ليست الوشاية أبداً فى رفع صيحة احتجاج لرئيس الدولة عن تحكم عصفور فى نشر أو عدم نشر آراء الدكتور هدارة مع أن الكل يعرف (إلا أنا) من هو عصفور .. (آه لو حد يعرفنى به لقلت وأفضت ولكن أعترف أننى أجهل عنه ما أجهله عن جنين بظهر الغيب !) .

الإرهاب هو التصريح الذى أطلقه حجازى فور عودته من المنفى أو الابتعاث العراق فى باريس الذى أراد به إرهاب الناشرين وهو إعلانه أن الرئيس أبلغه أنه معجب بكتاباته ! ولأنه سيئ النية سيء القصد فقد فاته أو تعمد تجاهل أول مبدأ يتعلمه المتأدبون ، وهو أن هذا الإعجاب من حق الرئيس وحده إعلانه وليس من حق المعجب

به ، هكذا يقضى الأدب والعرف على من لايهدف إلى الاستغلال ، أو حتى التوريط .

لو كان هؤلاء يكتبون فى صحف القطاع الخاص لما اهتممنا بهم ولكانت كلمة حق واحدة كافية لحرق كل باطلهم ، ولكن خطورة الأمر أنهم مفروضون بقوة الدولة وبمالها فى صحافة الدولة مما يمكنهم من احتكار الفكر وإيهام الجيل الجديد أن موقفهم هو السبيل للكتابة وهو سياسة الدولة ، وهم لايمثلون لا الفكر ولا الجماهير .. وفى بلد يتقاتل فيه المثقفون ويقتلون حول رؤية الهلال لايمكن أن يكون حجازى ومراسل حوار ومن يعطيهما الصحف والمجلات هم الطليعة ! إنهم ينافقون السلطة بتجنبهم المعارضة ولكنهم يؤلبون الجماهير على السلطة بأن ينسبوا لها مواقفهم المعادية لمشاعر الجماهير ..

إن من يريد التصدى للمحرمات لايمكن أن يمارس ذلك فى مجلات هيئة الكتاب ، بل يخرج إلى الشارع ويرفع قميص الثورة ونحن سندافع عن حريته الكاملة فى أن يقول ، بشرط ألا يتستر بسلطة الدولة ولا ينفق مال دافع الضرائب لمحاربة معتقدات الجماهير فى الحلال والحرام ، هذا لايحدث إلا فى الدول الشيوعية* .

---

* الأخبار ٢١/٤/٩٢ .

شرف الكلمة وأحد صبيان هيكل !

لنا فى خراش أسوة ! وخراش هذا من السلف الصالح الذى قال أو قيل فيه :

تكاثـرت الظبـاء على خـراش … فلايـدرى خـراش مايصيـد

وصيد اليوم هو أحد صبيان هيكل ، الذى اندفع يشيد ويروج لأستاذه ويغمز من جانبنا ! وإذا أراد الله نشر فضيحة طويت أتاح لها لسان مطيباتى !

هو من تلاميذ هيكل الأوفياء الذين يمتازون بعدم القراءة إلا ما يقدمه لهم هيكل وقد تفضل فنشر فى الأهرام إعلاناً غير مدفوع الأجر عن وصول الشحنة الأولى من كتاب الأستاذ باللغة الإنجليزية وانتهزها فرصة فألقى قفاز « تحدى كتاب هيكل »[٧]

وفهمنا مما كتبه أنها المرة الأولى التى اطلع فيها على الكتاب أو على الأقل تقديم الناشر له ، ونعترف بخطيئتنا إذ قرأنا الكتاب قبله بثلاثة شهور ! ولم نقتصر على قراءة كلمة الناشر بل فتشناه سطراً سطراً لسوء حظه وحظ أستاذه ، أما المحرر الجالس القرفصاء فقد انتظر حتى جاءه الكتاب يسعى ثم استشهد بما كتبه الناشر على غلاف الكتاب ، مع أن العامة فى مصر يسخرون من شهادة أم العروسة لابنتها ولا يحملونها على محمل الجد ، ولو حكمنا على كل كتاب بما يكتبه الناشر فى مقدمته أو على غلافه أو فى الإعلانات والملصقات لاضطرب أمر النقد اضطراباً شديداً .. وقد قرأنا باهتمام وبغير استمتاع محاضرة الأستاذ عن الفرق بين العقل التحليلى والعقل العقائدى .. ولم نفهم من ينقد ومن يمدح ؟! فأستاذه بدأ بموقف عقائدى هو تبرئة ساحة الملك حسين وإدانة الجبهة المعادية لصدام ، وحاول أن يلوى عنق الحقائق لإثبات الموقف المسبق .. بل إن موقف صبية هيكل هو الموقف العقائدى مع مافى ذلك من ابتذال لمعنى العقائدية فهم

• الأهرام ٩٢/٦/٢٦ .

بحكم العلاقات القديمة تورطوا فى تبنى كتاب هيكل قبل أن يقرءوه فلما أحيط بهم بعد ما نشرته الأخبار لم يتصرفوا من منطق الاعتراف بالخطأ ولا حتى الإيمان بالحوار ، وإلا لكان موقفهم منا مختلفاً انطلاقاً من قول الصالحين : بارك الله فى من أهدى إلينا عيوبنا .. ولكنهم يصرون على الموقف العقائدى ويتحينون الفرص للعودة للدفاع عن هيكل وكتابه ونفث غضبهم على من كشف أستاذهم .

ما علينا ، لقد أشبعنا موضوع الكتاب نقداً ، أما عن قيمة الكتاب من ناحية الصناعة فنزيد الأستاذ وصبيه علما .

سبق وقلنا أن هذا الكتاب الذى ليس له مصادر بل مجموعة حكايات تفتقر للأمانة والمصداقية ، قوبل بإهمال تام من الصحافة العالمية فلم تعلق عليه صحيفة واحدة ، فلما أشرنا إلى هذا الإهمال ، يبدو أن مؤلفه ألح فى ضرورة الحديث عنه فكتبت الصنداي تايمس التى يملكها اليهودى المعروف روبرت مردوخ وهو نفس المالك لدار النشر التى طبعت كتاب هيكل والذى يصر على وصفها بأنها أكبر دار نشر فى العالم ويكرر ذلك أكثر من مرة مع أن ذلك غير صحيح وقد اتصلنا بالدار وهى **Harber Collin'** فنفت المتحدثة باسمها هذا الشرف وقالت « إذا أردت الصدق المنجى فقل إننا واحدة من أكبر خمس دور نشر فى العالم » والذين لايعرفون هيكل ونفسيته لا يفهمون هذا الحرص على الكذب .. ولماذا لايكتفى بكونها دار نشر كبرى ؟! (حدث التراجع واعترفوا أنه من أكبر الناشرين البريطانيين وليس أكبر ناشر فى بريطانيا ولا فى العالم !)[1] .

كتبت الصنداى تايمس تعليقا سخرت فيه من الكتاب وتمنت أن يكون هيكل قد بدأ يتعلم .. والكلمة بعنوان : « أحلام اليقظة » بقلم المعلق السياسى دافيد برايس جونز (سامحنا أننا نقرأ رغم أننا لا تمتلك عموداً وربما لأننا كتبة سريحة باليومية نضطر للقراءة قبل أن نكتب لكى يقرأنا الناس ، نحن لاننتظر حتى تأتى الكتب على الجمال ولا نكتب عن كتاب ثم نجهل ماتكتبه عنه الصحف أو نعلم ونخفيه !) نعود لكاتب الصنداى

---

(١) ولم يعتذروا ولا فسروا كذب هيكل وترديدهم خلفه أكذوبة أنها أكبر دار نشر فى العالم حتى فضحناهم !

تايمس الذى بدأ تعليقه الساخر على كتاب هيكل بالإشارة المعروفة عن البوربون الذين لم ينسوا ولا تعلموا وقال : « هيكل كبوربونى عربى لم ينس ولكنه بدأ فى هذا الكتاب خطوة نحو التعلم هى خطوة متعثرة ولكنها أفضل من بلاش » ويستمر الكاتب فى السخرية من منطق هيكل .. إلى أن يقول .. « وفى عرضه للمناورات الدبلوماسية للحملة يقدم هيكل اسكتشات شيقة بل ومسلية عن زعماء العالم وهم يهرعون للتليفون يشون لبعضهم البعض مخاوفهم وحساباتهم وهو لا يقدم أى مصدر لهذه المحادثات الخاصة التى لايمكن التحقق من مصداقيته عنه ، ولكن لا ضير فالأمر لا يخرج عن هذا الذى تخيله .. ! »

إنه اتهام صريح بالفبركة ..

وينهى تعليقه بأن هيكل الذى كان بوقا لعبد الناصر بإعلانه ـــ فى هذا الكتاب ـــ أن الديموقراطية هى الحل يكون قد خطا الخطوة الأولى فى التعلم بصرف النظر عن كتابه » . (صنداى تايمس ٩٢/٥/٢٤) .

هذا هو موقف الصحافة العالمية من كتاب التحدى .. إنه كما قلنا أفشل كتاب لهيكل لسبب بسيط أنه يكتب عن قضية لايمكنه ادعاء مصادر فيها أو تزييف روايات . كما ظل يفعل أربعين سنة حول تاريخ الناصرية ، إذ كان يفبرك محادثة تليفونية بين ناصر وعامر ويزعم أنه حضرها أو أعطاه ناصر نسخة منها بوصفه الأمين على تاريخه ، فلما سقط فى شرك مكره واخترع مثل هذه المحادثات لأبطال أزمة الخليج أصبح فضيحة لأن الناس يعرفون أنه لا حضر ولا شهد ولا قابله أحد إلا الملك حسين وطارق عزيز وهكذا سخرت منه صحيفة ناشره !

ننتقل الآن لشرف الكلمة ويبدو أنه قدرنا كلما تحدثنا عن هيكل أن نترجم على شرف الكلمة ، حتى لو كان الحديث يتناول صبيانه !

المطبلاتى لهيكل قال الآتى : « إن الطبعة الأولى للكتاب نفدت والبالغ عددها مائة ألف نسخة وقد صدرت خلال تلك الأشهر الثلاثة ، طبعات أخرى للكتاب فى أكثر من

عشر لغات من بينها الفرنسية والالمانية والإيطالية والاسبانية واليابانية بالإضافة إلى العربية » حرفيا .

ولأننى أحب المختصر المفيد أقول للأستاذ محمد السلماوى هذا تهجيص ، معلومات مضللة مضحكة ، ولم يعرف عنك أنك كاتب كوميدى ! أنت تستغل عموداً فى جريدة كبرى لترويج الكذب وبينى وبينك القضاء[1] ..

معلوماتنا هى الآتى :

لم يصدر من الكتاب لحينه إلا الطبعة الإنجليزية فى المملكة المتحدة والعربية فى مصر ، ولم يبع من الكتاب باللغة الإنجليزية أكثر من خمسة آلاف نسخة ، ولو تجاوزها لوضع فى قائمة أكثر الكتب مبيعاً التى تنشرها الصنداى تايمس كل أسبوع وهو لم يدخلها بعد والكتاب الذى على رأس القائمة لم يتجاوز خمسة وعشرين ألف نسخة وصدر قبل كتاب هيكل بشهر ! إن كانت أرقامك صحيحة فخذنى للقضاء ..

.. حتى فى هيكل لا نقول الصدق .. وأسفى على شرف الكلمة !• .

---

(١) إنها قضية خطيرة أن ينخع كاتب فى صحيفة كبري بهذه الطريقة ! هو لا يستطيع حتى إحصاء عشر لغات ولو من باب الفشر فتوقف بعد الرابعة !! وهو يعمل فى النشر والثقافة ويتصور أنه يمكن ترجمة وطبع كتاب فى عشر لغات فى ثلاثة شهور !! ماذا حدث ؟ وإلى أي مدي تدهورنا .

• الأخبار ٦ يوليو ١٩٩٢ .

حكاية المجد للعذراء .. وهيكل من تانى .. !

أقر وأعترف أن الأستاذ هيكل يتمتع بأقوى رأس فى مصر ! فالمصريون متفقون على أن ضربتين فى الراس توجع ، وها هو الأستاذ هيكل تلقى ضربتين فى الأسبوع الماضى ولم يسمع توجعه بعد ، ولذلك قررنا أن نوجه له ضربة ثالثة عله يسجل لمصر رقما قياسيا ، فى نشفان الدماغ ، ويكون قد خدمها مرة فى حياته ولو فى ذكرى أكتوبر !

وجه الضربة الأولى الأستاذ صلاح منتصر عندما أعاد ما نشره هيكل فى الأهرام ٢٦ مايو ١٩٦٧ ، عن كيف مسح وزير خارجية عبد الناصر البلاط بالسفير الأمريكى الذى جاء يحمل رسالة شخصية من الرئيس الامريكى استراب فيها الزعيم بسبب لهجتها الودية ! وأثبت الأستاذ منتصر أن كل مانشر فى الأهرام لم يحدث وكان من اختراع هيكل ! ويبقى على المؤرخين والمحللين البحث عن السبب الذى جعل هيكل يفبرك هذه البهدلة لأمريكا عشية حرب ١٩٦٧ وإلى أى مدى خدم ذلك إسرائيل .

الضربة الثانية هى البيان الذى أصدرته حكومة أفريقيا الوسطى عن طائرتها التى أكد هيكل ــ فى موسوعة الأكاذيب التى أصدرها عن حرب الخليج ــ هبوطها فى القاهرة بجنودها المتجهين للسعودية طلبا للأجر ، قال بيان الحكومة أن طائرتها لم تهبط أبداً فى القاهرة لسبب بسيط هو أنه لم تكن هناك طائرة ولا اشتركت أصلا بقوات فى الحرب ! وكان ظن هيكل أن حكام أفريقيا الوسطى لا يقرءون الإنجليزية أو أن كتابه لا يصلهم .. لطشت معاه !

ننتقل للخبطة الثالثة فنبدأ من البداية كعادتنا فنقول أن وصف هيكل لحرب الخليج بالصليبية اقتبسه من كتابنا الصادر قبل كتابه بسنة ، وهذا الوصف أو التحليل ، منطقى

مع تفكيرنا وكتاباتنا خلال أربعين سنة ، غريب وشاذ على تفكير علمانى النظام الناصرى .

نحن الذين قلنا : « الحملة الصليبية الثانية عشرة التى استدعاها صدام » وقد خصصنا باباً كاملاً عنوانه : « هل جاءوا للتبشير أم للتحرير » ص ١٦٩ وفصلا بعنوان « الصليب والمدفع » ص ١٩٧ وعلقنا على سؤال جندى أمريكى : هل المسيحيون فى العراق من بقايا الحملة الصليبية « السابقة » بقولنا : « وليس المهم فى حديثنا جهل الجندى بتاريخ المسيحية والمسيحيين فى الشرق الأوسط ، بل قوله الحملة الصليبية « السابقة » فهو مثله مثل عشرات الألوف من الجنود الأمريكان والبريطانيين كان على يقين أنه يخوض الحملة الصليبية ، الحالية ، ضد الإسلام والمسلمين بل والعرب .. رغم حقيقة أن نصف العرب كانوا مع الولايات المتحدة ضد صدام ! إلا أن الإعلام الأمريكى والمدارس الأمريكية والشارع الأمريكى تصرف وعبر عن اقتناع بأنه يحارب كل العرب والمسلمين منهم خاصة !..»

والصاروخ الذى استشهد به هيكل المكتوب عليه « إذا لم يسعفك ربك فنادى المسيح » منقول عنا (ص ٢٠٨ من كتابنا) ولكن نحن أشرنا للمصدر وهيكل اعتبره مثل النار والكلأ والماء ..

أخذ هيكل الفكرة ورأى أنها تخدم مغازلته للبلهاء من الإسلاميين ، ولكن بما أنه هيكل فلابد أن يضيف جديداً لما قلناه ، وهنا كان مصرعه ! فقد أخذ الاسم الذى أطلق على قرار الجنرال شوارتسكوف بتطويق القوات العراقية بالهجوم من العراق وليس من الكويت وهو **Hail Mary** وترجمه المجد للعذراء ، واستشهد به على صليبية المعركة ! وللأسف سقط المؤرخ الكبير عبد العظيم رمضان فى الشرك الذى نصبه هيكل .. وبالمناسبة أنا ضد المنهاج الذى ينتقد به الدكتور رمضان كتاب هيكل ، فقد نصب نفسه محامياً عن نوايا وسمعة الولايات المتحدة وجعل هيكل هو الثورى الذى يتهم ويعارض أمريكا ! وهى صورة غير صحيحة فلا أمريكا بريئة ولا هيكل ضد أهدافها . وهذه كلمة عابرة ، لا تفسد للود قضية !

أما حكاية « هيل مريم » فقد علق الدكتور « ويلتقط هيكل بذكاء الاسم الرمزى الذى اختاره الجنرال شوارتسكوف .. الذى ترجمه المجد للعذراء .. وقال الدكتور إنه يسمع منذ سنوات أغنية أفا ماريا (أفا هى هيل باللاتينية) ولم يحس بأحاسيس دينية .. إلخ » .

والحقيقة أنه إذا كان هيكل قد التقط الاسم بذكاء فهو إما جاهل أو نصاب ، لأن التعبير لا علاقة له بالسيدة مريم ولا الحروب الصليبية ولا أغنية الموسيقى شوبرت ، وإنما .. ؟

لأ .. مش حاقول حاعلقكم شوية !

(كان الشائع والذائع والمنتظر هو هجوم القوات الأمريكية على القوات العراقية عبر اقتحام خطوط دفاعها فى الكويت ، حيث يفترض أن تدور المعركة البرية المنتظرة من كل المؤمنين بأم المعارك ولكن الجنرال الأمريكى تجنب اختراق أو مواجهة الدفاعات العراقية مفضلا الالتفاف حولها بدخول العراق التى تركها صدام عن قصد أو جهل بلا دفاعات . وهذه العملية ، أعنى عدم اختراق خطوط الدفاع ، تكتيك معروف فى لعبة الفوتبول الأمريكية بهذا الاسم هيل مريام **Hail Mary** .

هذه كل الحـكاية

والغريب أن هذا الشرح عرض على شاشات التليفزيون أكثر من عشرين مرة ونقلته الـ **CNN** للعالم كله فى التعليق على تطويق القوات العراقية فى الكويت وأخذها قبضا باليد بدلاً من القتال ، ولكن لا من يقرأ ولا من يسمع !)[1] .

إن كان كتاب هيكل هذا قد افتضح فضيحة اللحمة فى السوق ، فإن كل كتاباته اعتمدت على التلفيق واختراع الأحداث وابتكار النظريات التى لا أساس لها من الواقع ويخطىء بل يجرم من يستند إليها فى التاريخ .

---

(١) هذا الجزء سقط من جريدة الأخبار وقد أشارت الصحيفة لذلك فى الطبعة الثالثة كما أعدت أنا نشره فى الأسبوع التالى .

لا يوجد كاتب فى تاريخ مصر امتهن شرف الكلمة مثله ولا أعرف كاتباً أنزلت كتابته بأمتنا ما أنزله هيكل بنا من مصائب وانكسارات وتخلف منذ أربعين سنة ، والمصيبة أنه خلق مدرسة جريئة على الحق فاجرة فى تناولها لأحداث التاريخ !

ولعلى بهذه المناسبة أتوجه للسيد الرئيس ليأمر بمصادرة الوثائق التى بحوزته المملوكة أصلاً للدولة المصرية ، والتى أعطيت له بغير حق ، وبدون سابقة فى التاريخ ، إلا أن الذى لا يملك تعود فى نظام عبد الناصر أن يعطى من لا يستحق ، وهكذا تحولت أوراق مصر إلى ممتلكات خاصة يتاجرون فيها ، ويزورون ما حلا لهم بلا رقيب ولا حسيب !

وأخيراً نصيحة للكاتب الكبير .. يكفى ماجنيت ، آن الأوان لكى تحتجب ، ورحم الله من عرف قدر نفسه ، إننا نخشى عليك مصير منيرة المهدية أو تتحول إلى سخرية أهل المهنة مثل المرحوم صالح عبد الحى ، ولا شك أن ماكتبته عن صدام والملك حسين يكفيك بقية عمرك .. وارحموا عزيز صحف ذل* .

---

* الأخبار ٢٠/٣/٩٢ .

هل تظهر نقابة حـرة للصحفيين ؟!

فى أواسط الصحفيين تذمر وتساؤل حول وضع النقابة ووضع المشتغلين فعلاً بالصحافة ولايستطيعون دخول النقابة ، والصحفيون عموماً يتساءلون : هل يعقل أن يستمر قانون النقابة الذى ينص فى مادته الأولى على :

أ ــ العمل على نشر وتعميق الفكر الاشتراكى والقومى بين أعضائها وتنشيط الدعوة إليه فى داخل المؤسسات الصحفية وبين جمهور القراء » .

هل يمكن بعد كل ماجرى فى العالم وفى مصر ، أن يستمر هدف النقابة هو نشر وتعميق الفكر الاشتراكى ؟

أين هو الفكر الاشتراكى ؟ وباسم من تعمل النقابة على ترويجه ؟!

ألا تشكل هذه المادة خروجا عن قانون النقابات المهنية الذى يحظر عليها العمل الحزبى والمذهبى ، وتشكل افتئاتا على حق أعضاء النقابة المعارضين للفكر الاشتراكى ؟! وأهم من ذلك إنها تضع الصحفيين الذين يعارضون الفكر الاشتراكى ، وهم الغالبية العظمى الآن ، فى موقف المتناقض مع قانون نقابتهم ، ووضع النقابة ذاتها فى موقف غير أخلاق وهو إعلان مالا تلتزم به ، وإلا لقدمت كل الذين يهاجمون الفكر الاشتراكى لمجلس تأديب ، لأنه مادام هناك قانون فيجب احترامه أو تغييره إذا اقتنعنا بخطئه ، لا التغاضى عنه !

وقد قلنا أكثر من مرة أن فلسفة قانون النقابة نابعة من عقلية ونظام الطوائف فى القرون الوسطى حيث الطائفة تحتكر حق الترخيص بمزاولة المهنة ، ومن يريد استئجار الحرفى فى هذه المهنة أو تلك يذهب لشيخ الطائفة ويتعاقد معه وهو يرخص له وللحرفيين بالعمل . نفس العقلية التى تحكم نقابة الصحفيين ، فهى تصدر ترخيصاً

بمزاولة المهنة لأعضائها .

والأصل أو المفروض هو أن يعمل من شاء بالصحافة ، ثم ينضم اختيارياً فى بعض البلدان لنقابة الصحفيين التى تدافع عن المهنة والعاملين فيها ، فإذا استطاع شاب أن يدير صحيفة بنجاح وتفوق أكثر من شهرين تسعى النقابة لضمه لا أن ترسل وراءه العسس ، وتحاول منعه !

سيقول البعض أن نقابة المهندسين ونقابة الأطباء .. إلخ ، هذا صحيح بعض المهن تتطلب شروطاً علمية معينة ، تتحقق النقابة من توافرها مثل التأكد من دراسة الطب قبل الترخيص له بمعالجة الناس ، ولكن مهنة الصحافة هى من المهن الخلاقة التى لا ترتبط بتعليم معين ولا بشهادة بعينها ، ونرجو ألا يخطىء فهمى الأميون ، فالتعلم ضرورى فى كل مهنة وهو أهم من ضرورى فى صقل عملية الخلق ، وفى الصحافة بالذات ولكن أى علم ؟ إن النقابة تشترط الحصول على مؤهل جامعى وهو عكس ادعائها الاشتراكية وعكس الخمسين بالمائة عمال وفلاحين فقانون النقابة الحالى يجبر حزبا عمالياً على استئجار حامل شهادة جامعية من أعضائها ليدير صحافة العمال ، وإلا استحال عليهم إصدار جريدة !

والنتيجة هى امتهان القانون والمهنة إذ أن وظيفة رئيس التحرير تتحول إلى امتياز يحصل على ريعه وهو فى منزله ، بينما يمارس المهنة فعلياً شخص آخر غير نقابى ! ولو كان هذا القانون يحكم صحافة مصر فى عصورها الذهبية لما عرفت الصحافة العقاد ولا المازنى ولا رفاعة الطهطاوى ولا عبد الله النديم ولا كامل الشناوى ولا الخميسى ولا هيكل ولا العشرات من نجوم الصحافة الذين لم يحملوا مؤهلاً عالياً ! والمفروض أن تضع النقابة القواعد لضبط مسلكية المهنة ، فلا يتاح لصحفى يطمع فى مال قارون ، أن يقبض من أكبر رموز الفساد فى العالم الإسلامى ، لكى يستخدم قلمه وصحيفة حزبه فى التهجم على قضايانا العربية ومقدساتنا الدينية !

من حق الصحفى أن يدافع عن الخونة مثل الشيخ هاو هاو ، وينشر لهم إعلانات بشرط توضيح أنها إعلانات مدفوعة الأجر . ولكن ليس من حق صحفى ولا من شرف

الصحافة أن يقبض الصحفى فى جيبه من الوالد ويدعى أنها قضية عامة ، أو أن يقبض من ليبيا ويعترف بذلك علنا بل ويعلن أن حكومة ليبيا تضغط عليه لتحديد موقفه من حكومة بلده ، وتنشر الصحافة العالمية أن الصحيفة تدار مباشرة من قبل جهاز المخابرات فى بلد أجنبى ، فإذا غضبت قواعد الحزب من هذا الوضع ، وطهرت الجريدة منه ، يستخدم التناقضات الانتخابية وصراعات مراكز قوى (لا نفهم أبعادها بعد) لفرض نفسه والتنكيل بخصومه !

ماهى مصلحة النقابة فى التدخل فى الخلافات الحزبية أو فى تصويرها كمن يحتضن الذى يقبض من ليبيا ؟ هل بحثت النقابة فى العقد الموقع بين الصحفى الزملطحى والمتكسب السياسى ؟ وهل عرض عليها هذا العقد المريب ، وهل هى لم تجد ما يريب فى تعهد صاحب جريدة حزبية بدفع مليون جنيه إذا أراد تغيير الصحفى ؟!

أين مبادىء الحزب فى هذا .. وأين الجدية .. ؟ كيف سكتت لجنة الأحزاب على هذا العقد الذى يعنى بصريح العبارة إسقاط الحزب لحقه فى الإشراف على الصحيفة وواجبه فى ضمان خضوعها لخط الحزب الذى تقرره أجهزته ؟ كيف يكون الحزب مسيطراً على الجريدة إذا كان إخراج الصحفى يعرضه لدفع مليون جنيه؟، أليس هذا بيعاً صريحاً للصحيفة وحرية الحزب وإلغاء لكل حرية العمل السياسى .. أليس هذا أولى باهتمام القانون ؟!

لكل فعل رد فعل وإذا لم تسقط النقابة التزامها الاشتراكى إذاً لم تصبح نقابة العاملين فعلاً فى الصحافة ، فلا يستبعد أن يتحقق ما يدور عنه الحديث ، وهو إعلان نقابة حرة غير اشتراكية للصحفيين ولا أظن أن القانون يمنع ذلك* .

---

* مصر الفتاة ١٩٩٢/٨/٣ .

الباب الرابع

أعداء أكتوبر

٣٨ ـ ليس حباً في ناجي العلي .

٣٩ ـ جائزة الموساد .

٤٠ ـ عودة الوجه الكئيب .

٤١ ـ في ذكرى الأربعين .

٤٢ ـ الأمريكان ألغوا الملكية .

٤٣ ـ أضاعت الثورة نصف الوطن .

٤٤ ـ « نجيب وضباطه تخلوا عن وحدة وادي النيل »

٤٥ ـ اجتمع الثوار بالأمريكان في قبرص .

٤٦ ـ زكريا وأنور وصبرى متفقون على فصل السودان .

ليس حباً في ناجي العلي ..

ولكن بغضاً في فلسطين ومصر !!

أنا اختلفت مع الأستاذ إبراهيم سعده في كثير من المفاهيم والقضايا ، ومنها الموقف من القضية الفلسطينية ، وفي منطلقات الموقف من رحلة السادات وتطوراتها — ولعل الأستاذ سعده يذكر أنني أول من قال أن المنظمة أخطأت خطأ إستراتيجياً برفض الحضور في ميناهاوس . على أية حال هذا حديث طويل بطول هزائمنا . ولكنني لم أجد نفسي قط متفقاً مع الأستاذ سعده إلا في حملته العادلة جداً على نور الشريف الذي قبل أن يمثل دور شخصية مريبة لم تطلق رصاصة واحدة ضد إسرائيل وقتلت في رواية على يد الفلسطينيين بسبب حملته على القيادة الشرعية للمنظمة ، وفي رواية لأسباب نسائية . وكان كما قال تعليق جريدة الحياة ينتقل في سيارة مرسيدس . لا يهمنا ذلك وإن كان يثبت أنه ليس النموذج لمن أراد تمجيد الثورة الفلسطينية ، وإنما ما يعنيني هنا أنه فعلاً كان يستخدم رسومه الوقحة الفاجرة في النيل من مصر ولو لم تكن هذه حقيقة لنشروا له كتاباً برسوماته حتى يعرف الناس من هو البطل . بل إن اختيار هذه الشخصية بالذات ليس سهواً ولا خطأ إنه يهدف إلى عدة أهداف لا قومية ولا فلسطينية ! .

وأول هذه الأهداف هو الإساءة إلى القيادة الفلسطينية الشرعية في هذا الوقت بالذات ، حيث تنصب كل حملات إسرائيل ضد هذه القيادة ، إنهم يريدون الإساءة إلى قيادة أبو عمار في هذه المرحلة التي تتعلق فيها كثير من القضايا بالقيادة الشرعية للمنظمة ويصر الشعب الفلسطيني بالداخل على التمسك بهذه القيادة التي مهما تكن انتقاداتنا لها فهي أشرف العاملين لقيادة فلسطين وأقربهم مودة لمصر ولم تفكر يوماً في التآمر على مصر أو اغتيال مصري ! . فتكريم منشق على هذه القيادة وجعله رمزاً للبطولة الفلسطينية يحرج وضع قيادة أبو عمار . ولعل البعض لا يعلم أن ناجي العلي كان يعمل

لحساب أبو نضال الذي تولى اغتيال كل قيادات المنظمة من الحمامي إلى أبو إياد والذي اغتال يوسف السباعي وتسبب في كارثة الطائرة المصرية والذي نقل نشاطه الآن إلى السودان ، ولعل الأستاذ نور الشريف يعرف أن معسكر أبو نضال في ليبيا الذي دبرت فيه كل الاغتيالات ضد المنظمة ومصر اسمه مخيم الشهيد ناجي العلي .. !

يريدون نكأ الجرح في العلاقات المصرية الفلسطينية ، فلو كان الهدف تمجيد البطولة الفلسطينية فهناك الآلاف من الشخصيات التي ليس لها موقف مميز فى عداوة مصر . هل الهدف الآن هو مهاجمة كامب ديفيد والسادات .. إن كان ذلك فالفيلم مناسب والشخصية غير مناسبة ، إذ هناك من هاجموا السادات وكامب ديفيد من المصريين والفسطينيين ولم يسفوا إسفاف ناجي العلي الأصل والصورة ! وكان يمكن أن تعالج من خلالهم القضية بما لا يثير حساسيات الشعب المصري الذي لا يقول أحد أنه سينحاز إلى جانب ناجي العلي ضد السادات أو سيفضل مغامرات ناجي العلي في لندن على استرداد سيناء .

ولو كان الهدف عرض كفاح الشعب الفلسطيني فهناك عشرات من الشخصيات التي قاتلت إسرائيل وأحبت مصر .. لماذا ليس فيلماً عن كمال ناصر العربي المسيحي الشاعر الذي اغتالته إسرائيل علناً في قلب بيروت .. أو أبو يوسف أو أبو هشام الذي اغتالته الموساد لأنه وقف ضد الاحتلال العراقي للكويت ، وهو شاعر مبدع وابن مصر كما هو ابن فلسطين . هناك أهداف أخبث خلف إنتاج هذا الفيلم .أخبث من التعريض بكامب ديفيد إذ أين هي كامب ديفيد ، ومن يستطيع أن يرميها بحجر وكلهم تطوح بهم الأسفار ما بين واشنطن ومدريد وموسكو !

السادات استرد سيناء وهدم المستوطنات وهم يقبلون الأيدى لتوقف إسرائيل بناء المستوطنات خلال المفاوضات لحسن الناس تأكل وشهم ..

كان من الممكن أن يعتذر نور الشريف بجهله ويقول أنا ممثل لو عهد إلى بتمثيل شخصية الشيطان لأجدت تمثيلها ، وحاسبوا المؤلف . ولكنه رفض وكابر وفي اعتقادي ، أن نور الشريف هو ضحية حالة التورم التي أصابت بعض ممثلينا الذين تصوروا

أنهم قادة سياسيون ويتدخلون في كل قضية سياسية فيأخذون بوزا ويحللون الموقف وتهرع إليهم بعض الصحف بطلب تصريحات . نور الشريف يعرف أنه لا في العير ولا النفير ، وإن كل مجده أنه كان أحلى من حسن يوسف فاحتل مكانه وذلك زمن غبر . وعليه فليرجع نور الشريف إلى الحق ويعترف أنه لا يفقه شيئاً في القضية ولا الكامب ولا يعرف الفرق بين ناجي العلي وإبراهيم ناجي وأنه تورط وضحكوا عليه وأنه يعتذر أو يقوم بطبع ألبوم رسوم ناجي العلي ويعرضه للبيع في مصر ! أهذا يمجد يا نور ! هل بلغ الولاء لعبد الناصر وكراهية السادات حد كراهية مصر ، كراهية حرب أكتوبر .. ماذا في تاريخ القضية الفلسطينية أكبر وأشرف وأهم من حرب أكتوبر لكي تسقط سهواً ! لم أقرأ في حياتي أفجر ولا أوقح من قول أحدهم : هل كل من ينتج فيلماً عن فلسطين لا بد أن يذكر حرب أكتوبر .. ؟

إن لم يفعل فماذا يذكر يا أوغاد !

أرجو أن تقوم مؤسسة أخبار اليوم بطبع ألبوم ناجي العلي وتدعو الشعب لمقاطعة أي إنتاج فني لنور الشريف لنثبت مرة أننا نغضب لكرامتنا ، وأنه لا يجوز لمن كان يقبض من الخليج أن يتمرجل على مصر وحدها ، أين انتقاداته لسوريا والعراق بل حتى الأردن .. هل أعطى شعب لفلسطين مثلما أعطى مصر .. ومن بين حكام مصر الثلاثة فاروق وناصر والسادات ، ناصر فقط هو الذي لا حارب ولا هاجم ولا اعتدى ولم يمت حتى أعطى إسرائيل فلسطين من البحر للنهر وعليها الجولان وسيناء .

اذكروا مصرة مرة !!

---

(1) أخبار اليوم ٢٢ فبراير ١٩٩٢ .

هذا الفيلم يستحق جائزة الموساد !

وأخيراً وأمام هزيمتهم الفاضحة لجأوا إلى سلاحهم التقليدي فشقوا الجيوب ولطموا الخدود وفعلوا مثل اليهود الذين يعتبرون مجرد نقدهم يشكل جريمة عداء للسامية ! هم أيضاً اعتبروا نقد فيلم ناجي الشريف عدوانا على الحريات و « **سفاهة وسلفية** » كما جمع بين السفاهة والسلفية واحد من الحشرات التي اعتادت أن تنخر في قلب هذه الأمة دون معقب . فإذا ألقم ــ بالحق ــ حجراً هددنا كالعانس بالفرار أو الانتحار ! في منطقهم أن الخفافيش وحدها لها حق القول وفرض الظلام ، فإذا تقدم مواطن بشمعة ، صاحوا : هذا عدوان على حرية الظلام والإظلام ، يحنون لإرهاب الستينات يوم كانت حرية الرأي هي أن يهزأوا بالأمة ودينها وتاريخها وبطولات شعبها وجيشها ! أما أن يتقدهم قلم فهو إرهاب ورجعية !

حرية الإبداع هي أن يختاروا شخصية رسام كاريكاتير لم يدخل فلسطين منذ كان في العاشرة من عمره ، ولم يشترك في معركة مسلحة باسم فلسطين . عاش ثلاثة حروب خاضها العرب والمصريون أساساً فلم يساهم ولا حتى بلتر دم . استخدم فنه في السخرية بمصر وقيادة فتح ، وأغفل نهائياً حرب أكتوبر ، محاها من التاريخ ثم جاء أصحاب الفيلم يعرضونه في بلادنا ، وكان لا بد أن يقول البعض : عيب .. لم تحدث مصادرة ولا سجن ولا محكمة عسكرية بل معارضة بالرأي لفيلم ينكر كفاح وتضحيات الأمة العربية .. ويتنكر لمنظمة فتح وطابور الشهداء الذين قدمتهم في أشرس معركة غير متكافئة مع عدو لا يقبل إلا الإبادة الدموية . الحرية أن يفرضوا علينا تمجيد من جعل الشعب المصرى يخرأعلى شاطىء القنال وهو يستعد لأول وآخر معركة مجيدة في تاريخ الشرق خلال الخمسمائة عام الأخيرة . ولو نشر ذلك في الدنمرك لانتحر ألف مواطن ولقدم الرسام والناشر لمحكمة عسكرية ، فما من جريمة أبشع من إهانة جيش في زمن الحرب ! ولكنهم يطالبوننا بتمجيد هذا الوغد الذي كان ناعماً في الكويت ولندن والذي

يعترف المخرج أو المنتج (واحد اسمه الديك) اعترف أنه كان يقول غير ما يفعل فجاء يصحح سلوكه بعد مماته قال : « **حاولت أن أجعله إنساناً يمارس مايقوله** » بعد الموت !

تمجيد هذا الوغد هو الديموقراطية والإبداع ! أما الإرهاب والرجعية التي تغري بالانتحار أو مغادرة الديار فهو أن يحتج ابن شهيد ابن فلاح مصري بويضة الإنكلستوما التي أفرزها فوق خط بارليف أشرف من ناجي العلي ومن كل الذين دبروا هذا الفيلم .

هؤلاء أعجز من أن يخوضوا معركة النقد وحرية الرأي ، فيلمهم معروض في أكثر من دار وأقلامهم مشرعة للدفاع عنه ولكنهم يجنون لمجرد نقد الفيلم ولهم الحق فكيف يروج منطقهم في ظل حرية الفكر إذا كان هذا هو مايقوله صفوتهم ..

سألوا أحدهم لماذا تجاهلت حرب أكتوبر فقال حرفياً : « **إننا تناولنا الديموقراطية ومدى تطبيقها في الوطن العربي وجسدت هذه المسألة في الفيلم وكنا مهمومين بإبراز كل المراحل التي أثرت على الديموقراطية ومنها حرب ٦٧ وشرذمة الشعب الفلسطيني ــ وإذا كان أحد مهموما بحرب ٧٣ فلن يكون أكثر من الشعب المصري** » .

يعنـــي إيه ؟!

وفسر آخر أن الفيلم « **ركز على هزيمة العرب والتناقض الذي شاع بينهم** » .

وبضدها تتميز الأشياء ، وماذا لو كان قد سجل المرة التي اتفق فيها العرب وانتصروا لتكون عبرة !

وقال أحدهم أن « **معظم محبي الوطن يهاجمونه وهذا نوع من الحب القاسي الكستوري أقصد الصوفي** » طب ماتعتبروا الهجوم على الفيلم من صنف هذا الحب ؟! وإذا كان يقال : قل لي من هم أصدقاؤك ؟ أقل لك من أنت .. فانظروا من وقف مع فيلم ناجي العلي ، إذا ذكروا لنا صحيفة واحدة أو جهة اشتهرت بمعاداتها لمصر نقدت الفيلم فسنقول أنه حمال أوجه ..

بالعكس

الذين يعادون كل ماهو عربي وكل ماهو مصري وكل ماهو مسلم ، وقفوا مع الفيلم ، مع نور الشريف الذي أصبح زعيم اليساريين الذين يتوارون خجلاً في العالم كله إلا في مصر . قادتهم وأئمتهم يطرحون جثة لينين للبيع وهم يحتفظون ويطوفون ويتمسحون برمم لم يكن لها من اليسار إلا العمالة . نعود للفيلم فنختصر القضية ونقول أنه يأتي في إطار الدعاية الإسرائيلية التي تريد أن تقول للفلسطينيين : الكل خانوكم الكل باعوكم .. ليس أمامكم إلا التفاهم مع الإسرائيليين وقبول العيش بشروطهم لتكونوا عملاء ووكلاء إسرائيل في حكم واستغلال العالم العربي .. وهذا هو الدور الذي يعد لهذا اللون من الفلسطينيين الذين يمثلهم ناجي العلي الذين تحت شعارات الرفض ينشرون اليأس ويزرعون الهزيمة .. العرب كلهم باعوا القضية وخانوها فإن واجهتهم قالوا نقصد الأنظمة ..

حسناً فأين دور الشعوب ؟ كيف يؤرخ لقضية فلسطين دون كلمة لشهداء المصريين في حرب١٩٤٨؟.كيف يمكن أن أقنع أحفاد المتطوعين والضباط والجنود المصريين الذين أراقوا دمهم في سبيل فلسطين عام ١٩٤٨ أن يعيدوا الكرة ، إذا كان الثوري الفلسطيني يشطبهم من التاريخ ؟!

كيف يمكن إغفال شهداء المصريين الذين اغتالتهم إسرائيل في البر والبحر والجو ، كيف يمكن إغفال الأبطال المصريين الذين استشهدوا في حربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ؟

إذا سمحنا لأنفسنا أن نهاجم الحكومات التي صنعت هزيمة ١٩٦٧ فكيف نسمح بنسيان مائة ألف جندي وضابط قتلوا في الصحراء باسم فلسطين ؟

كيف نمجد من كان يجلس في غرفة مكيفة الهواء في الكويت يسخر من الجيش المصري الذي يستعد لحرب أكتوبر. وتغفل عمداً أن شقيق السادات استشهد وهو في الجو وليس جالساً فوق خوذته كما صورها الفنان المرتزق في الكويت ثم في صحافة ليبيا ..

ألم يكن إنتاج فيلم عن ابن شريفة فاضل الذي استشهد في سبيل القضية ، أشرف وأصدق وأخلص وأكثر خدمة للقضية من تمجيد من لم يذرف قطرة دم واحدة في سبيل وطنه بل قتل كما يقال بيد فلسطينية !

إذا كنا نتفق جميعاً على أن قضية فلسطين لا أمل فيها بغير مساندة الشعوب العربية جمعاء فكيف يمكن أن يكون فناً أميناً أو عملاً لصالح قضية فلسطين الذي ينكر كفاح الشعوب العربية من أجل قضية فلسطين ويقول للفلسطينيين : العرب كل العرب خانوكم. وهو كذب ..

الأمة العربية لم تخن العرب . بل الأمة العربية خسرت فرصتها في القرن العشرين كله وربما في القرن الحادي والعشرين بسبب قضية فلسطين . الشعوب العربية قبلت ضياع حرياتها ونهب أموالها من أجل شعب فلسطين وقضية فلسطين . المواطن العربي لم يتأخر في تقديم كل ما طلب منه ، وإذا كانت تضحياته قد ذهبت عبثاً فليس الذنب ذنبه ، ولا الحل هو إنكار جهوده وزرع العداء بينه وبين الفلسطيني . ونفس الشيء عن القيادة الشرعية للشعب الفلسطيني التي يلتف حولها ويتشبث بها الشعب الفلسطيني بالداخل والخارج ، وتقف إلى جانبها الشعوب العربية كلها ، هذه القيادة التي تركز الموساد على استئصالها في حرب لا تعترف بقانون ولا خلق . والتي كان من أفعل أسلحتها حملات المتطرفين وتخريبهم وفي مقدمتها رسومات ناجي العلي ، الذي كان يحرض الفلسطينيين ضد قيادتهم بنفس اتهامات إسرائيل . وتأملوا الذين يدافعون عن الفيلم هل فيهم من أحد قال كلمة خير في فتح ؟!

هل أصبح نور والبطران أكثر فلسطينية وثورية من أبو عمار وأبو أياد وأبو يوسف وأبو هشام وأبو الهول وآلاف الشهداء من أعضاء فتح !

الفيلم يركز علي تحطيم أبو عمار .

ولعلنا نذكر عندما سقطت طائرة أبو عمار في ٧ أبريل الماضي واختفت أنباء الزعيم الفلسطيني لفترة ، هب الفلسطينيون داخل وخارج الأرض المحتلة ، يعبرون عن

مشاعرهم نحو الرجل القضية ، الذي وهب حياته لقضية فلسطين فلم يعش إلا لها وبها . أو كما وصفته الهيرالدتريبيون : « **الذي حول قضية فلسطين من قضية مخيمات ولاجئين لاوطن لهم إلى القضية السياسية الأولى في الصراع العربي ـ الإسرائيلي وكسب اعتراف ١١٧ دولة بمنظمة التحرير ..** » .

وكانت هذه المشاعر العفوية التي لم يحركها تنظيم ولا جندتها إذاعة ، خير إعلان عن فشل مابذلته إسرائيل من جهود خلال سبعة وعشرين سنة لعزل « **أبوعمار** » وتشويه سمعته وتصفيته وطنياً وليس جسدياً أو قبل تصفيته جسدياً ، لأن أبوعمار الرمز هو الخطر الأكبر الذي تخشاه إسرائيل ، والذي يأتي الفيلم في إطار مقاومته ، وإذا كنا لا نجزم بعلم ناجي ولانور بهذا الهدف فإن الذين مولوا وأنتجوا الفيلم يعلمون جيداً .. أي هدف يخدمون : ضرب أبوعمار ومصر ..

تدور أحداث المرحلة الأولى للفيلم في جريدة السفير وهي ليبية مائة في المائة وهي التي حملت لواء سب مصر ومنظمة التحرير .. كما أن الموسيقي التصويرية لمعركة بيروت تدور على لحن معروف جداً من الإذاعة الليبية ، مع أن الفلسطينيين يعرفون جيداً أنهم كانوا يحاربون إذاعة العقيد ضمن من حاربوا في معركة بيروت .

ورسالة الإعلام الليبي منذ الفاتح من سبتمبر هي الحط من المصري ومصر حماية للكيان النفطي ، وتحريضاً للمصريين على الكفر بالعروبة ، وقد نجح هذا الإعلام إلى حد كبير جداً ولذلك نري المصري الوحيد في الفيلم سكران طينة بصفة دائمة « **ويقلب عيشه** » وسط مخيم اللاجئين !

الفيلم يتبني حرفياً موقف العقيد أثناء غزو بيروت عندما ظل يطالب أباعمار بالانتحار وعدم الخروج من بيروت ، ولو سمح لطائرة فلسطينية واحدة بالعمل من ليبيا لانقلب الموقف تماماً ، ولكنه اختار الشوشرة ومحاولة التشكيك في وطنية وصلابة أبوعمار ، وناجي العلي الذي كان يقبض من ليبيا في الفيلم الذي مولته المخابرات الليبية مباشرة يكرر نفس الادعاءات ، فناجي العلي يتساءل أو بالأحري يتهم : « **كيف هرب قائد المقاومة في بيروت** » والحديث عن عار انسحابه والمذيع الذي يسخر الفيلم منه

يرمز لأبى عمار وأخيراً نرى « الممثل » « الشرعى » « الوحيد » وحده في مركب شراعي ورافع راية بيضاء !

أو هكذا كانوا يتمنون .

إنه فيلم ضد مصر وفتح وأبى عمار وكفاه بذلك من عار !

إنها نفس المؤامرة .. يقولون للفلسطيني خانك العرب وخانك زعماء فتح ما الفائدة .. لا تحاول .. تقدم للشريف الإسرائيلى وسجل اسمك في قوائم الهنود لتنتقم من العرب ودعاة الكفاح الفلسطيني . ما هو الفن إن لم يقدم الأمل مع العرض المؤلم للواقع البشع ؟!

أما لماذا العداء الخاص لحرب أكتوبر فليس كراهية في السادات بل لأنها أول وآخر خروج عن الدائرة الإسرائيلية الطباشيرية التي كان يسمح فيها بالتحرك العربي .

أول سابقة تقول للأجيال أنه يمكن إذا ما توافرت الإرادة مباغتة اليهودي وهزيمته وأنه لولا مساندة الولايات المتحدة لكان بوسع العرب هزيمة إسرائيل . إنهم يريدون محو ذلك من التاريخ ومن ذاكرة العربي ، لكى لا يحاوله أحد أبداً .

معجزة التاريخ التي حققها الجيش المصري والسوري كانت غلطة أو التقصير كما سماها اليهود ، ولابد من إهالة كل التراب عليها لينساها العرب ، بل يتحول أهم وأشرف نصر عربي/فلسطيني إلى عار يتجنب فيلم عن فلسطين الإشارة إليه ! وهذا من روائع الفُجر الإعلامي الإسرائيلي الذي أوحى بهذا الفيلم الذي يستحق بجدارة جائزة الموساد !!* .

---

* أخبار اليوم ١٩٩٢/٣/٧ مع إضافة

عودة الوجه الكئيب !!

في شهر واحد تتابعت هذه الأحداث ..

ذكرى تحرير سيناء أو نكبة استرداد سيناء كما يراها الناصريون الذين تخصصوا في تسليم سيناء لإسرائيل ويعز عليهم أن تسترد لأن ذلك في حد ذاته تشهير أو تعريض بالزعيم الخالد . والثاني سقوط عميل كابول بعد أن عرض خدماته علي واشنطن لضرب الإسلام فقالوا له مايلزمشي ! لأن المتطوعين تكاثروا على خراش فمايدري خراش بوش من يستخدم .. ومن الذي يريد عميلاً مفضوحاً غارقاً في وحل الخيانة ودم شعبه ! وهاهو يحاول الهرب إلى الهند ليتمتع برؤية ذبح المسلمين إن أعجزه قتلهم ، ولاعزاء للعملاء الذين أيدوه في مصر وشاركوه العار أبد الدهر . وأيضاً في نفس الشهر الذي نشر فيه تاجر الموبيليا كيف اتهموه بسرقة صورة عبدالناصر فانتهكوا عرض زوجته أمامه ! وهو مالم يحدث في تاريخ مصر في أسوأ عهود خضوعها للحكم الأجنبي ، ولكنه حدث عشرات المرات في عهد عبدالناصر .. في نفس الشهر تم إشهار الحزب الناصري ..

قبل خمس سنوات نشرت كتابي « **الناصريون قادمون** » فاستنكر البعض وابتسم البعض قائلاً أنني أرى أشباحاً وهل يعقل أن يعود في نفس الجيل ، الحزب الذي هزم مصر في جميع معاركها وحولها من أغني دولة إلى أفقر دولة في الشرق الأوسط وبنى إمبراطورية إسرائيل التي تحولت من حفنة مستعمرات أقل من مليون إلى ثالث أو ربما ثاني قوة ضاربة في العالم خلال ١٨ عاماً من حكم عبدالناصر ! وكم كان زعيم الناصريين المرخص له صادقاً وبارعاً عندما عدد بطولات عبدالناصر فلم يشر بحرف لإسرائيل !

وقد فسرت ــ وقتها ــ توقعي عودة الناصريين ، بالوفاق الروسى الأمريكى أو بالأحري بالانبطاح الروسى أمام أمريكا عندما قبل جورباتشوف مارفضه السلطان

عبدالحميد ، أي إنقاذ اقتصاد روسيا مقابل التسليم بمطالب الصهيونية فوافق قيصر الشيوعية على شحن اليهود السوفيت لإسرائيل . وقلت أنه ــ من وجهة نظر إسرائيل ــ لا يوجد مكان في العالم يستوعب هؤلاء أفضل من سيناء ، ولا توجد قوة سياسية قادرة على تسليم سيناء لإسرائيل وتحت شعارات بطولية إلا الناصريين .. والآن يكتمل المربع الضائع في لغز الشرق الأوسط ويسهل على من يريد أن يفهم سر هذا الموقف الشاذ للإعلام العربي منذ حرب أكتوبر إلى اليوم ، لماذا رفض الناصريون العائدون أن يحيوا ذكرى استعادة سيناء ولو بكلمة مجاملة .. لماذا تشن هذه الحملة لطمس ذكرى حرب أكتوبر واسترداد سيناء من التاريخ ، من ليالى الحلمية لناجي العلي لكل ما سطر في الصحف والبيانات . كان البعض يقف مذهولاً أمام هذا الشقلباظ في الفكر العربي .. ويتساءل كيف يكون السادات الرجل الذي قتل من اليهود أكبر عدد بعد هتلر واسترد منهم أكبر غنائم حرب ١٩٦٧ هو العميل ؟ والذي لم يشن حرباً قط على إسرائيل وسلمها سيناء مرتين هو البطل ؟ كيف يصبح من أعد وخطط وفاجأ إسرائيل لأول مرة بشن هجوم على جيشها ، سخرية الإعلام الثوري بينما الذي أعلن « **أنا ماعنديش خطة لمواجهة إسرائيل** » والذي نشر في الصحف أنه سيتلقى الضربة الأولى هو موضع التمجيد والإشادة ، بل ويتربع في قيادة الحزب ، الجنرال الذي دافع عن نفسه بأنه كان طرطوراً في حرب ٦٧ ؟! كان يقال أن المصريين والعرب لا تهمهم سيناء بقدر ما تثيرهم صفقة فراخ فاسدة وقعت في عهد بطل أكتوبر ومسترد سيناء وأنه أمام فضيحة الانفتاح يغرق في العار ، أي نصر على إسرائيل !! كان العقل البريء يكاد يجن وهو يرى الهجوم على كامب ديفيد والمطالبة بإلغائها لا من حركة حماس بل من نفس الأشخاص الذين دعوا لقبول إسرائيل قبل السادات والذين يشتركون الآن في المفاوضات مع إسرائيل للوصول إلى السماح بالإقامة في ظل المستعمرات الإسرائيلية ، فلا يجرؤ عربي الآن أن يطالب إسرائيل بتدمير مستعمراتها وينفذ ذلك ، كما أجبرها الخائن المنحرف بتاع الانفتاح والفراخ الفاسدة !

الآن اتضح وانكشف اللغز .. فلكي تسترد إسرائيل سيناء لتسكن عليها خمسة ملايين يهودي ، لا بد من محو سيناء من ذاكرة المصريين والعرب ، لا بد أن يقترن القتال

ضد إسرائيل واسترداد سيناء بالعار والخيانة والفراخ الفاسدة وضياع قهوة زينهم واللى سافروا برة وجابوا فلوس وانكسروا . إلخ . لابد أن يهال التراب في ذاكرة العرب على أكتوبر وسيناء ، وأن يرتفع شعار إلغاء كامب ديفيد كمطلب ثوري ! قبل تسع سنوات قلنا أن إلغاء كامب ديفيد هو مطلب إسرائيلي لأنه لا يعني الآن إلا تسليم سيناء لإسرائيل مقابل سحب سفارتها من مصر ؟! فكانت النتيجة أن أغلقت المطبوعة التى كتبنا فيها هذا الكلام وحكم على وأولادي بالسجن ستة شهور وأصبح لدعاة إلغاء كامب ديفيد ما لا يقل عن عشر مطبوعات تمول من العراق وليبيا وآخرين من دونهم لا نعلمهم ، الله والموساد والسي إى إيه يعلمونهم .

في نفس الأسبوع الذي أعلن فيه عودة الناصريين كان النصف الثاني على الجانب الآخر يلاغي الناصريين إذ أعلن ديفيد إيفري وهو مدير عام وزارة الحرب الإسرائيلية رفضه لاتفاقية الكامب لأن مصر لم تخلص في ما يتعلق بالتزاماتها إزاء السلام وكان الأستاذ هيكل يسجل قائمة بانتهاكات المصريين للسلام بتعداد ما جرى من حوادث ضد الإسرائيليين على الأرض المصرية وإن كان قد أغفل إنجازات التنظيم الناصري .. !

وليس من الضروري أن يصل الناصريون للسلطة ، ونحن لا نتوقع أن يستمر وكيلهم الحالي بل لابد أن يسلم الوكيل للأصيل أو الوريث الشرعى . نقول أنه يكفى الوجود الناصري البارز وهو ما ستحققه الأموال والأجهزة العالمية ، وفي ظل شعار محو عار كامب ديفيد ، تتاح الفرصة لإسرائيل لاحتلال سيناء لثالث مرة ، ولن تكون الثالثة ثابتة بإذن الله ووعى الشعب .

أما عن دور الناصريين في تخريب مصر واقتصادها ، فقد قلت في كتابي أنه لا يتصور قطاع خاص ، ولا نمو اقتصادي في ظل الناصريين الذين ما زالوا يتحدثون عن إنجازات التأميمات وسيئات النظام الرأسمالى ، أول حديث لوكيلهم هو مهاجمة الرأسمالية وإعلانه أنه يهدف لإعادة توزيع الثروة ، أى أخذ أموال الذين معهم وتوزيعها على الفقراء .. والذين يتصورون إمكانية ازدهار اقتصاد حر في ظل عودة الناصريين أذكرهم بحكاية جحا عندما تحرش به الأمير وأمره أن يأخذ خروفاً ويطعمه أفضل طعام لمدة سنة

بشرط ألا ينمو الخروف ولا كيلو واحد ، وأيقن جحا بالهلاك ولكن زوجته طمأنته وقالت : عندي الحل . وربطت الخروف في شجرة ووضعت أمامه أطايب الطعام وأعذب الماء ثم ربطت في مواجهته ذئباً ضارياً وقالت لحجا : لا تهتم مادام بوز الإخص هذا أمامه فلن يزيد جراماً واحداً لو أكل الدنيا ومافيها ؟!

فهل عاد ذو الوجه الكئيب . ذو الأنف المقوس والندوب .

رحم الله صلاح عبدالصبور .. كان شاعراً عظيماً وصدق المثل المصري : « **لا يبقي على المتاود إلا شر البقر** » مع الاعتذار لفلان المبدع !* .

---

* الأخبار ٩٢/٥/٧ .

فى ذكرى الأربعين لانقلاب يوليو ..
أين كنا وكيف أصبحنا ... ؟!

نحن آخر من تبقى من الجيل الذي عرف مصر قبل الثالث والعشرين من يوليو ثم عاش تجربة انقلاب يوليو كاملة ، والكل يطلب شهادتنا فإذا أدلينا بها رفضوا سماعها أو فزعوا منها ! الجيل الذي ولد في ظل يوليو وارتبط بأجهزتها وتحمس لشعاراتها ، وخطط مستقبله على استمرارها ، يعز عليه أن يكون بلا تاريخ أو أن يتَّهمَ بأنه ساهم في كل هذه الهزائم وأوصل مصر إلى ما هى فيه ، عن وعى أو في ظل فقدان الوعي كما اعتذر توفيق الحكيم . ولذلك يرفض بعض هذا الجيل الاستماع ، يرفض محكمة التاريخ ، ويصر على الدفاع عن « **ثورة يوليو** » عن غير اقتناع وبغير حجة .

ولعل هذا يبدو واضحاً في حيرة مؤلف ليالي الحلمية فهو رغم كل الضجيج الناصري الذي ساد المسلسل ، لم ينجح في إخفاء اقتناعه العميق بشاوات مصر وبطلان شعارات الناصرية وفلسفتها إن ـــ نسبة فلسفة لتلك المجموعة المحدودة الثقافة العديمة الخبرة التي كان قدرنا أن تحدد مصير مصر ربما لمائة عام !

ويكفي أن نتأمل أبطال المسلسل فسنجد أن الباشا البورجوازي الذي أممته الثورة ودفعته للهرب من مصر بشخصه وأمواله ، هو وحده الذي يحسن ويشفق ويساعد ، وأهم من ذلك هو وحده الذي يريد تصنيع مصر ، هو وحده الذي يقاوم الغش والكسب الرخيص بل يريد الكسب من الإنتاج وليس من النهب والسوق السوداء ، هو وحده الذي يرفض التهرب من الضرائب ثم هو وحده الذي تنتهي الملحمة وهو يبني مصر الغد بإعادة مصنع أبيه للعمل ! فيعيد مصر القديمة مصر الإنتاج والتصدير والعمال المنتجين .. ومن الجيل الجديد الذي ينفذ هذه الأهداف الشريفة والتى نريدها كلنا مهما اختلفنا حول التاريخ .. من الذي يكمل رسالة البدري الباشا ؟

إنه البطل الذي ينفرد بأنه كريم الأبوين شريف الجدين ، الأُرستوقراطي الدم مائة في المائة ابن الباشا البدري وحفيد الباشا السلحدار ! هو وحده الإنسان الكامل الذي تفخر بسمعته وسلوكه كل عذراء ، ليس له جريمة خلقية واحدة ولا هدف له في النهاية إلا تشغيل العمال وإعادة بناء الصناعة المصرية التي دمرها عبدالناصر ، بل هو يحارب في جبهتين : صناعة مصر وثقافتها ، وأيضاً لكي يكون الكامل الكمل يهتم بانتمائها العربي فينتج أو يخرج فيلماً عن الانتفاضة ويتزوج ثورية من تنظيم جورج حبش كمان !

كل من شاهد المسلسل قال : لو أن مصر بها مليون عادل البدري لحلت مشاكلنا؟!

أما أخوه على البدري زهرة الجيل الناصري فكان فاسداً حتى النخاع بفعل الخمسين بالمائة من دم العمال والفلاحين في عروقه أو تربيته . وكذلك الأخت التى رغم انحدارها من السلحدار ومن باشا آخر إلا أنه عمدة من الفلاحين ، وهو النموذج الظالم أو المسخة الذى اخترعه بديع خيري والريحانى لعمد الريف ، ويعتقد الأستاذ يحيى حقى أنه وضع عن عمد لحساب الإنجليز والسراى في وقت كان العمد هم قادة الطبقة الوسطى في الريف خلف الوفد وضد الإنجليز والسراى ، ولذلك فسدت زهرة بفعل دم العمدة الفلاح .

حتى ضباط يوليو سرقوا وانحرفوا .. في المسلسل طبعاً !

وباختصار ولأن المناسبة تاريخية وليست فنية أقول أن مؤلف ليالى الحلمية يشارك جيلنا العجوز اقتناعاته وهي أن مصر التي صادرها عبدالناصر كانت أفضل وأن على من يعنيهم أمر مصر أن يستأنفوا المسيرة من حيث حطمها رجال يوليو .. أي بناء مصر الرأسمالية من جديد .. مختلفة بالطبع ولكنها ليست اشتراكية ولا ناصرية بالتأكيد .

فهل كان هذا هو اقتناعنا في يوليو ١٩٥٢ عندما جاء إعصار يوليو ؟

لا ... كانت أوهام الاشتراكية وجراثيمها تفسد تفكيرنا ، لم تكن الرأسمالية المصرية تتمتع بحرية العمل بسبب الاحتلال ومن ثم لم يكن لها فكرها الذي كان يمكننا اعتناقه والقتال عنه ، فقبلنا أن تذبح أمامنا بل وبتأييد الكثيرين !

لقد حكمت ثورة يوليو أو انقلاب يوليو كما أصر على تسميته ، فالثورة التي تستحق هذا الاسم فعلاً هي التي تضع الوطن في مستوى أعلى وأقدر في مواجهة تحدياته القومية ، وليست التي تهزم هزيمة ساحقة قومياً ، ولا نصر لها إلا على فريق من مواطنيها أو كلهم ..

انقلاب ٢٣ يوليو حكم ١٨ سنة ، واستغرقت إزالة عدوانه ٢٢ عاماً ولا يبدو أننا نجحنا كثيراً ، فمازال الحزب الشيوعي المصري ــ (**العالم العربي هو المنطقة الوحيدة التي مازال يعيش فيها هذا الحيوان المنقرض المسمى بالحزب الشيوعي**) حزب جماهيرنا العاملة المصري يحذر من إلغاء قانون الإصلاح الزراعي خشية أن يتحول الإنتاج للتصدير ! وهو بذلك يكشف عن الهدف الحقيقي للإصلاح الزراعي ؛ إخراج مصر من ميدان المنافسة العالمية في التصدير . وقد قلنا ذلك فعلاً في نقدنا لقانون الإصلاح الزراعي الذي ألح عليه الأمريكان من أيام روزفلت الذي طالب به الملك فاروق في الأربعينات ــ بشهادة هيكل ــ ثم فرضوه فرضاً على ضباط يوليو رغم معارضتهم ، لأنهم كانوا يعتقدون أنه سيدمر إنتاج مصر الزراعي ، ولكنهم انقادوا لطلب الأمريكان بشهادة الوثائق التي لم يطعن فيها أحد .

وقد تحققت مخاوفهم بالكامل ولكن بعد فوات الأوان واكتسح القطن الأمريكي ، بل أي قطن ، القطن المصري من الأسواق العالمية ، كما زحف القمح الأمريكي إلى مخابزنا وتدهورت الإنتاجية حتى قبل الفلاح المصري لأول مرة خلال عشرة آلاف سنة هجران الأرض بل وقتلها في ما يعرف بالتجريف . كنا في صبانا نتألم عندما توصف مصر بأنها بلد زراعي ، كنا نريدها صناعية زراعية وها هو يوليو جردها حتى من الثروة الزراعية فنحن نستورد طعاماً بأربعة عشر ألف مليون جنيه سنوياً !

مازال إعلامنا متأثراً بمفاهيم يوليو ، ينظر للرأسمالية كنشاط مشبوه أوتندرج تحت الضرورات تبيح المحظورات ، فقدنا الحس الديموقراطي حتى تصعقنا مقالة نقد في السلطة ونعتبرها من علامات الساعة ! وحتى يطالب بعض كبار الكتاب بإعادة الإرهاب الناصري فقد جرب مرة ــ على حد قولهم ــ وكان مفعوله أكيداً .. !! بل

إن الكثير يعتقدون أن هذه المواجهة مع التيار الإسلامى هى من آثار عدوان يوليو الذي شن ضدهم مجزرة دموية تركت بصماتها على تفكير الجميع .

كل هذا هو بعض ميراث يوليو التى نحتفل بأربعينها اليوم ونعجز عن دفنها ولنبدأ من البداية :

في مثل هذا اليوم : ١٩ يوليو ١٩٥٢ كنا فى معتقل الهاكستب وهو مطار قديم استخدمه الأمريكان خلال الحرب ووضعت فيه الحكومة المعتقلين بعد حرق القاهرة ، والجيل الذي عاش معتقلات الثورة سيسيء الظن جداً بمعتقلات الرجعية ، ولكن للأسف الشديد فإن الصورة مختلفة تماماً .

المعتقل الذي عشنا فيه كان أشبه بمصحة إجبارية ، نلعب طاولة مع الضباط وأحياناً كوتشينة أو شطرنج ، وكان معنا قهوجي وزعيم نقابي في نفس الوقت ، فزرعنا له مساحة خارج بنيان المعتقل وحولها هو إلى قهوة بالشيش والطاولة والضمنه وشرايط أم كلثوم تلعلع في ليالى الصيف الطويلة ، وما أطول الليل على المعتقل ولو كان جنة . وكان عم حسن يقدم السحلب والقرفة والبيرة ولكن الكحوليات الأقوى كانت لاتشرب إلا في الغرف الخاصة ، وقد وافقت إدارة المعتقل علي استقبال المعتقلين لزوجاتهم في هذه الغرف الخاصة ، ولابد أن بعض الذين نقابلهم اليوم في سن الأربعين لهم علاقة بهذه اللقاءات التي لم يعرفها أي معتقل في العالم .

وكان الطعام يأتي من جروبى للمعتقلين على ذمة الأحزاب . أما عن الكادحين فقد نظمنا احتجاجاً انتهى بموافقة إدارة المعتقل على صرف المخصص لطعامنا نقداً ، وشكلنا لجنة مطبخ كان يطوف مندوبها في المساء ومعه ورقة وقلم يسأل كل معتقل ماذا يحب في فطوره وغداه وعشاه ، أو فطوره وسحوره ، وتشتريها إدارة المعتقل تحت إشراف مندوبنا ، وأعترف أننا طلبنا وأكلنا فعلاً بعض الأصناف التى كنا نسمع عليها في الخارج ولم نتشرف بالتعرف عليها إلا خلف أسوار معتقل فاروق !

وفي معتقل الثورة منعوا الورق والأقلام وكتبت قصتين نسخهما زميل على ورق

البقرة وكتبت أنا دراسة كاملة لكتاب كليلة ودمنة على علب السجاير وصادروها كلها . أكلنا الظلط وماء أخضر لايمكن أن تعرف ماهيته ، وكان معنا سجين من الحزب الشيوعي اليوناني الذي كان يطالب بضم قبرص لليونان ، وكان ينصحنا بإضافة الملح وتسخين الطعام ويؤكد نصيحته بقوله « **أي حاجة سخنة وحادقة يمكن أكلها !** » وقد استخدمت عبارته هذه في العديد من النكت التى لا يسعدنى تذكرها أو ذكرها . وكنا نستخدم الحلاوة التي يقدمها متعهد السجن واسمه للغرابة حمزة البسيوني ، ولاأدري إذا كان يمت بصلة لحمزة الآخر !! كنا نستخدم هذه الحلاوة في إشعال النار وتسخين الميك ، لأنها لاتؤكل والسبب واضح فهي لاحادقة ولاسخنة !

وكان أخطر مانهدد به السلطة هو التهديد بالإضراب عن الطعام ، ولما دارت الأيام واعتقلنا في زمن الثورة هددنا ولم يستجب أحد فأضربنا وتدهورت صحة أحدنا في اليوم العاشر من الإضراب وخاف مأمور السجن فاتصل بالسيد زكريا محي الدين أو مكتبه يبلغ أن أحد المعتقلين في حالة خطرة فرد عليه مدير المكتب : « السيد العضو بيقولك لمايموت اتصل بينا مش قبل كده » ، وقد مات الكثيرون فعلاً في سجون الثورة .

في معتقل فاروق كنت مازلت طالباً في الجامعة وكانوا ينقلوننا في سيارات نقل مكشوفة من المعتقل إلى الجامعة لأداء الامتحان حيث يتعاون معنا الجميع في اللجنة تقديراً لوطنيتنا التي أفضت بنا إلى السجن ، فقد كانت القضايا واضحة وبسيطة ، كما في قهوة السماحى : النظام عميل للاستعمار ومادمت في السجن لسبب سياسى فأنت ضد هذا النظام لأنك وطني ومساعدتك فرض على كل وطني .

وفي الطريق كانت سيارتنا تقف في ميدان المحطة الذي أصبح ميدان رمسيس فنستغل الموقف ونهتف هتافات من طراز : « فاروق أحرق القاهرة » .. « إلى انقره ياابن المره ! » .

وإذا كانت المره مفهومة وهى أمه الملكة نازلى التى أفسدتها مبشرة إسكتلندية كانت تتولى رعاية الطفل فاروق . وقد انتهت الملكة الوالدة إلى مخادنة عشيق ابنتها ثم زوجها ثم قاتلها وتنصرت ودخلت الدير .. ومن ثم كان سب فاروق من ناحية أمه مفهوماً ولكن

أنقره لا موضع لها إلا السجعة ؟ فهو أصلاً من ألبانيا وليس من تركيا ولم يدخل أحد من أجداده أنقره قط حتى نطالبه بالعودة إليها .

ولما كان ابن المرة هذا يعرف في القانون والدستور والنظام القائم بتعريفات أخري مثل حضرة صاحب الجلالة ملك البلاد المعظم .. إلخ فقد وجدت السلطات نفسها في حرج شديد مما اضطرها إلى إصدار إنذار صريح بأنه إذا تكررت الهتافات فستضطر لإلغاء الامتحان وليكن ما يكون ! ولكن لا توقفنا نحن ولا هم ألغوا ، بل كان الضابط يسد فمنا بيده ويستعطفنا قائلاً : « علشان خاطرنا إحنا معاكم . بس إحنا موظفين ما تخربوش بيتنا ويجيبو لكم ناس ما ترحمشى .. » ..

وقد حدث !

في سجن الثورة صدرت التعليمة التالية : يحظر أداء الامتحان إلا .. أكرر إلا للمحبوسين في قضايا مخلة بالشرف ! وذلك لاستثناء السياسيين دون إعلان ذلك .. وأصبح النقل في عربات مغلقة تماماً مثل عربة السماوي التي تنقل الكلاب الضالة !

أشياء كثيرة تغيرت ..

وصحيح أن مصر شاهدت معتقلات وتعذيبا في الفترة ما بين ١٩٤٨ ـــ ١٩٥٠ إلا أنها كانت فترة شاذة وكان ضحاياها من فئة واحدة هم « الإخوان » الذين اعتبروا دائماً خارج القانون منذ حرب فلسطين الأولى . ثم جاء السقوط الشامل للأحزاب التى أقامت عهد الإرهاب . مؤشراً على أنها فترة شاذة مرفوضة . تستحق أن تسقط نهائياً من تاريخنا ولا عودة لها . وقد عشنا من يناير ١٩٥٠ إلى يناير ١٩٥٢ فى فترة انطلاق لا يستطيع عجوز مثلى أن ينساها . وجريدة أحمد حسين تضع مانشتاً : « سنبول عليك يا سراج الدين ! » وسراج الدين كان وزير الداخلية وأقوى رجل في الحكومة . وكان قد نشر خبرا يقول أنهم سيقيمون له تمثالاً فاختارت الجريدة لمانشتها الرئيسى هذا العنوان !

كان أتعس الكتاب حظاً من لم توجد له تهمة العيب في الذات الملكية . ولم أكن من

التعساء كنت متهماً بقضية عيب في الذات على مقال في جريدة المعارضة التى كان يصدرها المرحوم فتحى الرملى والد لنين الرملى وقضية دعوة لقلب نظام الحكم في كتابي الجبهة الشعبية (١٩٥١) وكانت قضيتان أمام النيابة والقضاء ولم أحبس على ذمتها يوماً واحداً إلى أن جاءت الثورة فسجنت بعد ذلك على هذا الكتاب وخلافه مدة عامين ويومين !

ولما أحرقت المخابرات البريطانية القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢ وفتحت المعتقلات لم تستطع الدولة أن تمارس أي تعذيب أو أن تعيد ولو بغض ماجرى في عهد أحزاب الأقليات .. كان واضحاً أن النظام تمزق وأن انتصار الديموقراطية المحتوم والأكيد أو هكذا كنا نتوقع في يوليو من أربعين عاماً .

ولكن جاء الانقلاب فدفن الديموقراطية وحقوق الانسان وكرامة المصري ١٨ سنة فلما جرت محاولات إخراج الديموقراطية من قبرها كان واضحاً ولايزال أنها تعاني أعراضاً خطيرة بسبب وأدها طوال هذه المدة . ثم يرفض الناصريون أن تسأل الموءودة بأي ذنب قتلت ؟! وأنا أقول وأدها لأن الديموقراطية التى أتحدث عنها لم تكن مكتملة وكيف تكون في ظل محتل أجنبي ؟!

ماالذي كنا نرفضه في يوليو ١٩٥٢ وماالذي كنا نريده لمصر ... ؟

كنا نريد وضع نهاية للاحتلال البريطانى وتحقيق استقلال ووحدة وادي النيل في دولة واحدة بمفهوم الوحدة الاندماجية في الخمسينات . مع فارق أن الغالبية العظمي من الحركة الوطنية لم تكن تعتبرها وحدة بين بلدين أو شعبين بل شعب واحد في وطن واحد وبعضنا كان يضيف « ملك واحد » . وكانت هناك مجموعة تقول بحق تقرير المصير كرد علي مناورات الإنجليز وبضمانة أن السودانيين إذا ماأتيحت لهم حرية الاختيار فلن يختاروا إلا الوحدة . وباستثناء الشيوعيين لم يكن هناك من يقبل انفصال السودان ..

وكانت القيادات السياسية كلها علي وعى بأن الولايات المتحدة الأمريكية تريد أن تحل محل الوجود والهيمنة البريطانية . وأنها في نفس الوقت تدعم بريطانيا في مواجهة

حركات التحرر الراديكالية ، وكان النظام في مجموعه يرحب بانتقاله لوصاية أمريكا تخلصاً من الإنجليز . والمخابرات الأمريكية التي بدأت العمل من الأربعينات اخترقت النظام تماماً وستشرف على الاطاحة به . وكانت الحركة الوطنية في مجموعها تعادي أمريكا مثل بريطانيا .

وكانت البلاد تعيش في ظل أول هزيمة ضد إسرائيل ، وربما لأنها كانت الأولى فقد كانت مرارتها أشد رغم أنها من ناحية النتائج المباشرة أو الظاهرة كانت أفضل بكثير مما تلاها من هزائم ، وكان دور أمريكا في دعم إسرائيل يضيف إلى حيثيات رفضها من الحركة الوطنية .

وامتد العداء للاتحاد السوفيتى من هذا المنطلق في الفترة من ١٩٤٧ إلى ١٩٥٠ ولأن الشيوعية كانت مرتبطة باليهودية ، وتعزز ذلك بالدور الذي لعبه الاتحاد السوفيتى في فرض تقسيم فلسطين ودعم قيام إسرائيل حتى كان يبدو في بعض الأحيان أكثر تعصباً لقيام إسرائيل من الولايات المتحدة ذاتها ! وقد تبين أن هذا الموقف الغريب والقبيح واللامبدئى من جانب موسكو المخالف لكل تعاليم الماركسية وإعلانات ستالين حول شروط الاعتراف بالقوميات وحول عنصرية وإمبريالية الصهيونية ، هذا الانقلاب غير المفهوم في الموقف الروسي كان ثمنه أسرار القنبلة الذرية التي سلمها اليهود للاتحاد السوفيتى مقابل التأييد الدولي والأسلحة من تشيكوسلوفاكيا التي كانت تحت السيطرة الروسية الكاملة ولم يكن روزنبرج وزوجته جاسوسين يعملان من أجل المال ولا شيوعيين يخدمان العقيدة بل مجرد يهوديين ينفذان تعليمات قيادة إسرائيل .. وكل ماعاناه الغرب والولايات المتحدة بالذات بسبب حصول الاتحاد السوفيتى مبكراً على القنبلة الذرية سببه إسرائيل ، ثم تحسن الموقف بالنسبة لروسيا في حرب كوريا التي رفض النحاس باشا ، وحده من بين حكام العالم الثالث تأييد أمريكا فيها ، ودفع ثمن ذلك غالياً ..

وقد عبرت الحركة الوطنية عن كراهيتها لأمريكا بسيادة اصطلاح : « الاستعمار

الإنجلو أمريكى » الذي ظهر لأول مرة عام ١٩٤٦ وفرض نفسه على جميع البيانات والشعارات .

ولذلك عندما يقول خالد محي الدين أنه استراب في أمريكية يوليو عندما طلب عبدالناصر حذف هذا الشعار بالذات من منشورات الضباط الأحرار ، ابتداء من مارس ١٩٥٢ فإن ملاحظة خالد محي الدين تؤرخ بداية التناقض بين فكر تنظيم الضباط الأحرار ، الذي لم يكن في البداية أكثر من صدى مشاعر وشعارات الحركة الوطنية ، وبين النخبة التي ستسيطر على التنظيم ثم تاريخ مصر .. النخبة التى اختارت التعاون مع الأمريكان ضد الإنجليز المحتل الفعلى للبلاد وكان تكتيكاً ناجحاً وفي نفس الوقت كارثة إستراتيجية كما سنوضح أو نناقش* .

* أكتوبر ٩٢/٧/١٩ .

الأمريكان ألغوا الملكية لفصل السودان ..

في مثل هذا اليوم من أربعين سنة سقطت الملكية في مصر بقبول الملك فاروق التنازل عن العرش ومغادرة البلاد .. وكان إلغاء الملكية بناء على اقتراح أمريكى ، كما شهد بذلك المرحوم فتحى رضوان (انظر كتاب ٧٢ شهراً مع عبدالناصر) وكان الأمريكان هم الذين دبروا خلع الملك فاروق لأسباب عديدة منها عجزه أو رفضه الاعتراف بإسرائيل كما أكدت محاضر اجتماعاته مع السفير الأمريكى التى أصر فيها الملك على عدم الاعتراف ، وفي وثائق الخارجية الأمريكية أن « أبا إيبان أبلغ الوزارة في ٣١ يوليو ١٩٥٢ أن خلع الملك لا يضير إسرائيل لأن الملك تبني موقف العرب المتصلب كما أصدر الملك تعليماته لسفرائه بأن يسقطوا من حسابهم أي احتمال للسلام مع إسرائيل » أما لماذا إلغاء الملكية فقد شرحت ذلك في كتابي « كلمتى للمغفلين » إذ كانت حكومة الوفد باصدارها مراسيم أكتوبر ١٩٥١ التي أعلنت فيها وحدة وادي النيل تحت التاج المشترك وتسمية ملك مصر ملكاً لوادي النيل ، قد قطعت الطريق علي أي تسوية ممكنة مع بريطانيا لا تتضمن الوحدة مع السودان ، فلما خلع فاروق انتقل اللقب إلى ابنه أحمد فؤاد ولم تكن هناك حكومة مهما كان بطشها قادرة على إصدار مرسوم يجرد ملك مصر من هذه الصفة ، والإنجليز يرفضون أي تسوية لا تنص أو قل لا تحقق انفصال السودان ويسخرون من القرار المصري عن التاج CROWN المشترك فيسمونه « المهرج » CLOWN المشترك ! وجاء المخرج الأمريكى بالحل.للتخلص من المراسيم وذلك بإلغاء الملكية كلها بتاجها وألقابها ، وفرحنا نحن وهللنا لتحقيق أمل العمر ولم ننتبه إلى أننا أضعنا معها السودان !

كل الشعوب الحية تحاكم تاريخها وأحوجها لذلك التي سقطت في سباق الصراع الوحشي الذي يحكم سلوك الأمم رغم كل ما يقال لنا عن العالم الجديد ، بينما العالم الثالث

وبالذات العربي المسلم يعيش أحلك فترة مرت في تاريخ الشعوب المستضعفة ، ولا يهرب من محاكمة تاريخه إلا المهزوم الذي يفزع من مواجهة حقائق التاريخ ، كما كتب أحدهم يقول أن سبب الفتنة والإرهاب وكل ما نحن فيه هو التشكيك في ثورة يوليو !

في روسيا وأمام المحكمة الدستورية العليا المكونة من ١٣ قاضياً تجري محاكمة التاريخ الروسي كله ، وهي المحاكمة التى يطلق عليها المنادون بالتجديد « نورمبرج موسكو » أسوة بمحاكمات نورمبرج التي حاكمت زعماء النازي ، والغريب أن القضية أثارها الشيوعيون أنفسهم ربما طبقاً لنظرية عقدة الذنب التي تجعل المجرم يسعى لمعاقبة نفسه ولو دون وعى ، فقد لجأ بعض أعضاء الحزب الشيوعى للقضاء مطالبين يبطلان قرار يلتسين بحل الحزب ومصادرة أملاكه استناداً لكونه تنظيماً إجرامياً « مول الإرهاب واختلس الأموال من الشعب وأقام ديكتاتورية مخالفة لذات دستوره » .

وهكذا تحولت القضية إلى محاكمة تاريخ الاتحاد السوفيتى وتاريخ الشيوعية كلها ، وقد حشدت الحكومة كشهود إثبات كل ضحايا النظام الشيوعي الأحياء الذين سيتحدثون عن « الملايين الذين قضوا نحبهم في مجاعات من صنع الإنسان ومعسكرات الاعتقال في سيبيريا » .

وقد لاحظت الصحيفة الأمريكية أنه بسبب فشل الحكومة في الاتفاق على دستور جديد في البلاد فإن الحزب الشيوعى سيحاكم بموجب الدستور الشيوعى القديم الذي كان يجعل من الحزب صنماً فوق القانون ومصدراً للشرعية !

والحكومة والمتهمون كما هى العادة يحذرون من نتائج الحكم على مستقبل البلاد .. يالتسين صرح في الوشنطن بوست أن الحكم سيحدد مصير روسيا ، فلو صدر بتأييد الشيوعيين فسيدعم الديكتاتورية وقد يقود البلاد إلى حرب أهلية « إن مستقبل روسيا يتوقف على المحكمة وليس علي الرئيس فإن الفاشست والشيوعيين ، يزحفون في انتظار حكم البراءة لتاريخ الديكتاتورية » .

وقال ليونيد جوزمان مستشار الحكومة « إن هذه المحاكمة هى بداية عودتنا

للمدنية ، إنهم مسئولون عن وفاة الملايين والملايين من الناس فإذا حصلنا على حكم بتجريم الحزب والمخابرات الروسية فسيمكن بعد ذلك تحديد مسئولية الأفراد ، وقال القس جلب ياكونين الذي كان معتقلاً وهو عضو في البرلمان الآن : « يجب أن تكون المحاكمة خطوة أولى نحو محاكمة الحزب دولياً علي جرائمه في حق الإنسانية » .

ويتشبث الشيوعيون بقميص الديموقراطية الذي حولوه لممسحة فيقول الدفاع عنهم « إن حلهم إجراء غير ديموقراطى قد يستخدم ضد غيرهم ، ويمهد لقيام ديكتاتورية تلغى كل حزب ليس على هواها ! » .

وإن يكن أهم ما قيل في الدفاع عن الحزب والقيادة السابقة هو قول ممثل الشيوعيين فيكتور كالتسيف : « إن الحزب ساهم في هزيمة النازية وبناء الاتحاد السوفيتى كقوة عظمى وأنجز منجزات عظيمة في العلوم والتعليم وكان صوت روسيا مسموعاً في جميع أنحاء العالم .

وهذا هو بيت القصيد .. !

إن كان الشيوعيون الروس بوسعهم الاعتذار بماحققوه للوطن ولو على حساب الشعب فماذا يعتذر الناصريون أمام محكمة التاريخ وقد أذلوا الشعب وهزموا الوطن ؟!

لنرجع للبداية ، حيث وقفنا المقال السابق عند شهادة خالد محي الدين باتصال القيادة العليا لانقلاب يوليو بالأمريكان ، فقد نقل عنه قوله : « الصلة بين الضباط الأحرار وبين أمريكا بدأت في مارس ١٩٥٢ ، وقد شعرت أنا بذلك قبل أن أقرأ كتاب « كوبلاند » من موقف عبدالناصر من الاتجاه اليساري ، فقد بدأ في ذلك الوقت يطالبنا بالتخفيف في المنشورات كما بدأ ينتقد التفسير العلمى للتاريخ مع أنه كان يتقبله قبل ذلك ، وكنت أتصور أن هذا من تأثير جمال سالم عليه ، فجمال سالم دخل اللجنة القيادية من يناير ١٩٥٢ ومن يومها بدأنا نسمع كلاماً عن الحكم الديكتاتوري وكلاماً عن التفاهم مع أمريكا وعن خطر الشيوعية من جمال سالم ، ولاحظت أن جمال عبدالناصر بدأ يسكت . من هذا يتضح أن الضباط الأحرار لم تكن لهم أي علاقة

بالأمريكان في الفترة التى حدث فيها الحريق وإنما بدأت هذه العلاقة من مارس ١٩٥٢ » .

ولو أنصف خالد نفسه والتاريخ لقال « في حدود علمى » فهو شعر بهذا الاتصال بعدما بدأ وضع اللسمات الأخيرة في الانقلاب ، ولم يعد من الممكن إخفاء الاتجاهات والارتباطات ولكن الأمريكان لا يستطيعون تجنيد عضو قيادي في تنظيم يستعد للثورة ، لابد من صلات أقدم ، وعلى أية حال ورغم وجود روايات تتحدث عن علاقة عبدالناصر بالسفارة الأمريكية من ديسمبر ١٩٥١ وكتاب « امرأة من القاهرة » يزعم أن عبدالناصر كان على اتصال بضابط مخابرات أمريكى اسمه ستيفنسون خلال الحرب العالمية الثانية . وهناك اعتراف أحد الضباط الأحرار من الذين تمت تصفيتهم وهو حسين حموده الذي قال أنه « حضر شخصياً عدة اجتماعات في منزل الملحق العسكري الأمريكى بالزمالك مع جمال عبدالناصر وهذه الاتصالات بالسفارة الأمريكية كانت في الفترة من عام ١٩٥٠ ــ ١٩٥٢ ميلادية » حرفياً .

وقد أيد هذه الرواية اعتراف نفس الملحق العسكري للأستاذ محسن محمد أنه استطاع أن يوثق صلته بالضباط الأحرار ، و « سمعتهم كثيراً وهم يقولون أن حكومتنا عميلة للاستعمار وكنت أشجع الضباط أن يمارسوا استقلالهم ويكونوا مصريين وقد شجع ذلك الضباط على الثورة » .

وإذا كان الإعلام الناصري قد حاول فترة أن يصور شخصى الضعيف وكأننى مخترع صلة ثورتهم بالأمريكان فقد أصبحت هذه الصلة حقيقة لا ينكرها جاد يريد التأريخ لانقلاب يوليو وإنما انتقل الأمر الآن لتفسير هذه الصلة ونتائجها .

فكما قلنا كانت الحركة الوطنية في مصر تعادي الأمريكان لعلمها بأنهم يسعون لوراثة النفوذ البريطانى في مصر ، بعكس عبدالناصر الذي بشهادة هيكل كان يعتبر الانتقال من دائرة النفوذ البريطانى إلى دائرة النفوذ الأمريكى قدراً محتوماً فهو كما يحدثنا هيكل كان يشير إليهما بعبارة « الرايحيين والجايين » وقد حرص هيكل على كتابة اللفظين

كما هما بحروف لاتينية elrayheen walgayeen في الطبعة الإنجليزية من كتابه عن حرب السويس ــ كما يسميها ــ وهذا يدل على أنه سمعها من عبدالناصر شخصياً ولمرات عديدة حتى رسخت في ذهنه ورأي أنها قد أصبحت جزءاً من التاريخ ، وهكذا رأى عبدالناصر أن الذكاء والمصلحة يفرضان عليه أن يرتبط بالجانبين ، وهذا يعزز تفسيرنا بأن انقلاب يوليو بالصيغة التي تم بها لم يكن تعبيراً عن الحركة الوطنية التى تجمعت في مصر بعد الحرب العالمية الثانية بل مجرد إفراز للصراع الأنجلو أمريكى ومن ثم فقد كان محكوماً بقوانين هذا الصراع ، بقصور ومحدودية إرادة وحركة أدوات هذا الصراع وقابلية، وحتمية خضوع هذه الأدوات لضغوط ومصالح ومساومات طرفى هذا الصراع ، فلو كانت الناصرية هى التعبير عن الحركة الوطنية المصرية الضاربة بجذورها إلى مطلع القرن التاسع عشر لماتنكرت للديموقراطية ولاضربت الرأسمالية وأهم من ذلك لماقبلت فصل السودان .

ولو كانت إفرازاً للصراع المصري ــ العربى ضد إسرائيل لاتخذت مساراً يختلف جذرياً عما ارتكبته وانتهى بتحول إسرائيل من دولة مزعومة إلى أقوي قدرة عدوانية في المنطقة ، لو كانت الناصرية رد فعل للتحدي الإسرائيلى لما بدأت عهدها بكل هذه الآمال في مصالحة إسرائيل والتعايش ولاكان عبدالناصر يتصلب مع كل الأطراف في حرب ١٩٥٦ ويتنازل لإسرائيل وحدها .. ولكان مفهومه وممارسته للوحدة العربية بصورة مختلفة تماماً .

ولنضرب مثلاً بالحركة الوطنية في فيتنام ، فلأنها لم تكن مجرد ظاهرة من ظواهر التناقض الأمريكى الفرنسى ولا الأمريكى الروسى ، ولا الروسى الصينى ، بل التعبير الصحيح عن الوطنية الفيتنامية فقد قاتلت الفرنسيين الرايحين والأمريكان الجايين ، واستفادت من كل التناقضات إلا أنها لم تقبل أن توظف لحساب أي طرف ولاقبلت المساومة على أهدافها الوطنية ، وقد كانت أمريكا أكثر من مستعدة للاعتراف باستقلالهم لو قبلوا التخلى عن سودانهم أو جنوب فيتنام ولكنهم لم يقبلوا واستمروا في الحرب عشرين سنة أخرى حتى تم تحرير وتوحيد الجنوب رغم أنف أكبر دولة في العالم بل

وزغم أنف أكبر حليف لهم وهو الصين ، استفاد الفيتناميون من رغبة أمريكا في إزاحة فرنسا واستفادوا من تخوف الصين من الأمريكان الجاثمين دون أن يكلفوا الوطن أو المبادىء تنازلاً ، لأنهم كانوا الابن الشرعي لثورة ووطنية القومية الفيتنامية ، وهذه هي أهمية تحديد « الرحم » الذي استقبل « انقلاب يوليو » وغذاه ثم ولده* .

---

* أكتوبر ٩٢/٧/٢٦ .

أضاعت ثورة يوليو نصف الوطن ..
والله يعلم كم جيل سيدفع الثمن ؟!

لو اعتذر الشيوعيون الروس عن جرائمهم في حق المواطن بما حققوه من إمبراطورية وقوة ومجد لوطنهم روسيا ، فبماذا يعتذر الناصريون وقد أهدروا كرامة الإنسان وأضاعوا الوطن معاً ؟

وقد اخترت أن أتحدث عن جرائم يوليو في حق الوطن ، باعتبار أن الاتجاه العام ، إلا من غرائب المخلوقات ، هو الإقرار بجرائم يوليو في حق المواطن ، ولكن فقط لتنشيط الذاكرة ، حول مافعلته يوليو بالإنسان ، أستشهد ببعض الذين لم يتهمهم أحد بالحقد على الناصرية وأبدأ بنجيب محفوظ الذي ينفي بشدة أحد صبية هيكل أنه يعادي الناصرية ، عظيم ! إليكم شهادته ، عن استبداد يوليو وكأنها : « استمرار للحكم الملكى المطلق بل تجاوزته صرامة وشمولاً إضافة إلى جرائم جهازها الإرهابى الذي فاق مافعله المماليك والعثمانيون بنا ... وتركتنا تلا من الخرائب والأحزان ولم يكن أمام من يخلف الزعيم الراحل إلا أن ينقذ مايمكن إنقاذه وأن يقيم من البناء المتهالك حجراً أو جداراً » .

وخالد محمد خالد الذي نسى صداقتنا غضبة لثورة يوليو وإنكاري لثوريتها وكتب أربع مقالات ضدي بجريدة الوفد ؟ في إثبات هذه الثورة ! فماذا قال عنها : « وصل الأمر بالثورة وقائدها إلى قبول التضحية بكل شيء في سبيل أن يبقى المعبد والمعبود ... المعبد الذي سيقت إليه الملايين المخدرة من الناس .. هذا الكم الهائل والفظيع من الجرائم لاالتجاوزات .. ضاع كل شيء وفتحنا أيدينا التي كان فيها قبض الريح » .

وفي احتفالات يوليو قال الدكتور أسامة الغزالى حرب في الأهرام : « إن ثورة يوليو فى سعيها لهدم النظام القديم إنما قضت فعلياً على النخبة المصرية السياسية والاقتصادية ... وهكذا حرمت مصر من النخبة السياسية ومن النخبة الاقتصادية » .

بالله عليكم لو تمكن مستعمر لئيم من ألد أعداء قومه وقرر أن يقضى عليهم للأبد أكان يفعل بهم أفظع من أن يبيد نخبتهم الاقتصادية والسياسية ؟ نحن لا نغفر إلى اليوم للسلطان التركى أن نقل من مصر صناعها ، أترانا نغفر من خصى مصر بإبادة نخبتها السياسية والاقتصادية ؟ أهكذا تفعل الثورات في شعوبها وأوطانها ؟!

وأخيراً لقد كشف وزير الداخلية كيف أجبر عسكر يوليو بالتعذيب شاباً على هتك عرض أبيه الشيخ المعمم ؟ هل سمعنا عن مثل ذلك في تاريخ التتار أو معسكرات إبادة اليهود أو في أحلك سنوات ستالين ؟ هل كان ذلك يهدف إلا لكسر أنف الأمة وضمان سكوتها عن الجرائم في حق الوطن وقبول هيمنة إسرائيل ؟ وهل يغضب لوطنه من هتكت حكومته عرضه ومع أبيه ؟ (قد كنا نتمنى لو طويت صفحة عار يوليو للأبد ، ولكن ماذا نفعل وقد عادت تهدد جيل الأبناء ، ويحتفل بها في مهرجانات ويدافع عنها من هم على قائمة المرتبات لبعض المنظمات غير المصرية)[1] .. أما أعجوبة زمانه من حرم عبدالناصر عليه الكتابة ، ثم هو يدافع لا عن الزعيم فحسب بل وعن حزب الناصريين ، نرجوه أن يعرفنا سر كراهية عبدالناصر له ولكتاباته ، لنزداد حباً للزعيم ! وبمثل هؤلاء المدافعين لا نحتاج لمزيد من الخصوم فلأتحدث أنا إذن عن جرائم الناصرية في حق الوطن .

وأولى هذه الجرائم في اعتقادي هى التخلى عن السودان ، قبول فقدان نصف التراب ونصف الشعب ، وهو مالم يقبله حاكم مصري من شريف باشا إلى صدقى ، والغريب أن مصر لم تعرف حكومة مستهترة بالتراب ، مفرطة في أرض الوطن مثل حكومة عبدالناصر ! ولا حتى زيور الذي أعطى جغبوب للطليان ، عبدالناصر ترك أول وآخر وحدة فى تاريخ العرب تنهار على يد حفنة ضباط ، ورفض أن يطلق رصاصة واحدة دفاعاً عن الوطن والشعب الذي سلمه مصيره واستأمنه على وحدته ، مدعياً أن السلاح العربى لا يقتل العربى ، وقبل عام واحد كان يخوض حرب اليمن حيث ظل العربى يقتل العربى خمس سنوات ! ثم فى كل حرب ضد إسرائيل يكون أول قرار هو الانسحاب من سيناء وتركها لليهود !

(١) سقطت عند النشر في المجلة .

سأحكي لكم كيف خان انقلاب يوليو وحدة وادي النيل ، وقضى على فرصة وحق الشعبين فى تكوين دولة عظمى بل أقوى دولة فى أفريقيا وغرب آسيا وجنوب البحر الأبيض ، تخلى عبدالناصر عن هذه الإمكانية وسلم هذا الدور لإسرائيل ! وبدلاً من أن ينتشر المصريون والسودانيون فى مائة مليون فدان فوق أرضهم وتحت رايتهم ، تحولوا إلى عمال تراحيل العالم العربى ، يتغربون من أجل قروش ، ويعودون في نعوش !

وأنا عندما أتحدث عن ضياع السودان فلست أوجه حديثى هذا للذين يضعون مصالح أو مكانة فرد أو بضعة أفراد فوق مصلحة الوطن ، الذين يرفضون التاريخ لأنه يحمل الإدانة لمن يعبدون من دون الله ، أو لأن التاريخ يثبت خطأ بعض معتقداتهم ومسلماتهم .. لست أوجه حديثى للذين لا يعرفون شيئاً عن السودان ولا يعنيهم أن يعرفوا ، الذين يسخرون من مطلب وحدة وادى النيل ويتلهون أو يلهون الناس بالثرثرة عن الوحدة مع الجزائر والعراق وعمان ! الذين أضاعوا الوطن القومى الوحيد الممكن ويبحثون عن مشروع قومى .. قولوا لهم : في صيف يوليو ضيعتم اللبن ! .

لست أكتب لهؤلاء ، إنما أخاطب الذين يعنيهم مصير بلادهم ويريدون معرفة هذا التاريخ ، فكما قال سندباد عصري قبل خمسين سنة : ماأقل معرفة المصريين بتاريخهم !

وأستشهد هنا بكلمات المؤرخ السوفيتى « روي سيدفيديف » مؤلف كتاب « درع التاريخ يحكم » : « لاسبيل للديموقراطية والتخلص من التخلف ومواجهة التحديات التى توشك أن تعصف بمصيرها إلا بالتعامل الحر مع التاريخ ، إسقاط القدسية عن كل الأحداث والشخصيات فلاتبقى إلا قدسية واحدة تختص بها الحقيقة ، والحقيقة التى تقررها الوقائع والحوار الحر وليست قرارات الطغاة الذين يسمون أنفسهم القيادات التاريخية ، ومصيرهم مزابل التاريخ » .

ولست أوجه حديثى لذلك القطاع من المثقفين السودانيين الذين رباهم الاستعمار البريطانى بطريقة بافلوف ، طريق الربط بين كلمة معينة والألم ، بحيث يصبح مجرد ذكر هذه الكلمة يثير فى قلوبهم مشاعر الحقد والبغض .. هذه الفئة استطاع الاستعمار أن

يشكل عقلها على نحو أصبحت معه لاتعيش ولاتفكر إلا بكراهية مصر ولا يعنيها إلا تشويه مصر وأهداف مصر وتاريخ مصر .. لايحاربون من بين استعمارات العالم إلا الاستعمار المصري المزعوم ! مهما اختلفت أسماؤهم وتبدلت شعاراتهم ، ولا يقلقهم مصير السودان ، ولا يعنيهم أن تخضع بلادهم حتى للسيادة الأثيوبية بل وربما الأوغندية أو التشادية ! مادامت تمارس كراهية مصر .

وقد قلنا ألف مرة أن الوطنى الحقيقى يضع الوطن فوق اختلاف النظم ! وقد شاهدنا في الأيام القليلة الماضية كيف فرحت مصر كلها بهزيمة المنشق العميل جون قرنق ، رغم الخلاف العارض والمؤسف الذي يخيم على العلاقات بين الشقيقين .

أنا من الجيل الذي اعتبر وحدة وادي النيل قضية وطنية ومصيرية ، التفريط فيها خيانة ، والفشل فيها يهدد وجود مصر بما يقرب من الفناء ..

ويكفى أن أشير إلى المخاطر التى شكلتها الحبشة فترة هيلا مريم بمساعدة عربية وإسرائيلية عندما شرعت تنفذ الحلم التاريخى لأعداء مصر وهو قتلها ظمأً بمنع ماء الفيضان .. ولا حاجة للقول أنه لو كانت وحدة وادي النيل قد تحققت منذ أربعين عاماً كما كان المفروض ، لكان وضع مصر والسودان أفضل بشكل حاسم في أية مواجهة مع أية دولة تفكر في ابتزازهما بماء النيل أو المساس بوحدة التراب السودانى ، ولماذا نخفى رأسنا فى الرمال ؟ ماذا يحدث لو قامت دولة معادية في السودان وقررت الضغط على مصر بمياه النيل ؟!

كل هذه الأسئلة كانت حاضرة في ضمير ووعي القوى الوطنية ولكن صلة ضباط يوليو بالمخابرات الأمريكية واقتناعهم بأن استمرارهم فى السلطة لا يتوقف على رضاء الشعب جعلهم يخاطرون بوحدة الوطن .

ولست أريد أن أحاضر في تاريخ وادي النيل وإنما أقول أن حكومة مصر ابتداء من الباشا محمد على إلى ضباط يوليو لم تنظر إلى السودان قط كمستعمرة ولاعاملته

كمستعمرة ولا كان بوسعها أن تفعل ذلك لأن الاستعمار كما يعرف طلبة المدارس ، هو ظاهرة حديثة خاصة بالدول التى دخلت المرحلة الرسمالية ، ولذا لم توجد مشكلة وطنية بين مصر والسودان .. ولا خطر في بال مصري أو سودانى ، إلى زمن الاحتلال البريطانى ، وجود افتراق محتوم فى المصير فضلاً عن تناقض وطنى .

وقد حاول الإنجليز من جانبهم ، تزوير التاريخ ، وهم أكبر مزيفى تاريخ عرفهم الجنس البشري .. فادعوا أن ثورة المهدي فى السودان كانت حركة استقلالية ضد الاستعمار المصرى ! فى نفس اللحظة التى كانت فيها مصر تسقط تحت شعار الاستعمار البريطانى ! فتأمل كيف نكون مستعمرين بالفتح والكسر فى وقت واحد !! ولم تكن مصر قد دخلت فى العصر الرأسمالى بعد ، فضلاً عن أن توصف بالإمبريالية ، ولم تكن هناك قومية متغلبة مثل القومية الروسية أو التركية حتى يقال إنه القهر الإقطاعى !

فالثورة المهدية لم تكن ضد مصر الدولة ولا مصر الشعب إلا بقدر ما يمكن إطلاق هذا الوصف على الثورة العرابية ذاتها ، كانت ثورة المهدي ضد حكومة الخديو التى باعت البلاد شمالها وجنوبها للإنجليز أو الاستعمار الأوروبى عامة ، وضد الدولة العثمانية أو الترك الذين أوصلوا المسلمين إلى هذه الحالة . فثورة المهدي التى شوهت وتاجروا بها ، كانت ثورة ضد الاستعمار الأوروبى المتمثل فى الحكام الأجانب والتشريع والنظم المقتبسة من الغرب ، وفى الجهاز الإداري للخديوي الذي خضع للاستعمار الأجنبى وأصبح مجرد نخاس يحفظ الأمن ، وينظم عملية نهب مصر والسودان لصالح الاستعمار العالمى ، وأيضاً كانت ضد السلطنة العثمانية ، لأنها بتخلفها ورجعيتها وخنوعها للاستعمار أصبحت الغطاء الشرعى ، الذي تنفذ من تحته الاستعمارية الأوربية ، وأصبحت العقبة التى تحول دون قيام حركة إصلاحية إسلامية أو مقاومة وطنية ناجحة ، فى أجزاء الإمبراطورية التى تتعرض للغزو ، فالسلطان هو الذي أصدر منشور تجريم أو عصيان عرابى ، وهو يخوض الحرب دفاعاً عن مصر الولاية العثمانية ضد الغزو البريطانى .. ! وباسم السلطان وتابعه الخديوى كان السودان يوزع بين غوردون

وردلف سلاتين وجيس وبيكر وفرانك .. وباسم السلطان سيفتح البريطانيون السودان ويسحقون الثورة الوطنية .. ومن هنا فالثورة السودانية متلاحمة ومتكاملة مع الثورة المصرية (العرابية) تحركها نفس الأهداف وإن فاتهما ، لسوء حظ الشعبين ، التكامل التنظيمي ، إلا أنهما كانتا ضد نفس العدو ؛ الإنجليز والسلطة التركية المتمثلة في الخديو وكبار الضباط والمديرين . فيكتب « الحسن العبادي » وهو من منظري الثورة السودانية وزميل المهدي في خلوة الشيخ محمد الخير — يقول محللاً ظروف الثورة ومبرراتها: « وقد هجمت الكفرة فجأة ، على جل ممالك البلاد الإسلامية واستولوا عليها بالفعل ، وعكسوا الأمر ، وصارت أفكارهم متوجهة للاستيلاء على بلادنا السودانية ، وقد فاجأوا واستولوا على مسجد وعش الأولياء مصر المحمية ، ولذلك فقد فر بعض العلماء الصالحين والأولياء بدينها من مصر إلى جهات الغرب والشرق والشام ، وبعضهم سجن حتى مات كخاتمة المحققين الشيخ محمد عليش » (وهو شيخ الأزهر الذي أفتى بخلع توفيق) .

يكفيني هذا النص للرد على من فسق الاستعمار البريطاني في عقولهم ، الذين يدعون أن الثورة المهدية كانت ضد مصر .. ولنذكر أن المهدى حاول أن يأسر غوردون حياً لكى يفتدي به « أحمد عرابى » .. وكان فى نيته مواصلة الزحف لتحرير مصر ، فقد كتب المهدي للخديو توفيق ماكان عرابى سيكتبه لو أنه لجأ إلى السودان . قال المهدى للخديوي : « فسلمت أمر أمة محمد لأعداء الله الإنجليز وأحللت لهم دماءهم وأموالهم ، وما كان يحسن بك أن تتخذوا الكافرين أولياء من دون الله وتستعينوا بهم على سفك دماء أمة محمد .. وهاأنا قادم إلى جهتك بجنود الله عن قريب إن شاء الله تعالى ، فإن أمر السودان قد انتهى » ولا شك أنه لولا أن الأجل وافى المهدي لنفذ وعده وتوجه إلى مصر التى وضع بنفسه خطة فتحها وأصدر أمره بالحملة فى ٢٦ مايو ١٨٨٥ ... وهو ما فعله خليفته .. ففى الشمال والجنوب كان الجميع يفكرون ويتصرفون من منطلق وحدة الوطن ووحدة المصير .

وإذا مضينا مع التاريخ فسنجد أن أول وزارة مصرية أجبرت على الاستقالة ، كانت

حكومة شريف باشا وكان السبب هو رفضها الاستجابة لأوامر سلطات الاحتلال باخلاء السودان وقال شريف باشا : « إذا تركنا السودان فالسودان لا يتركنا » وشريف هو أول رئيس حكومة مصرية جعل وحدة وادي النيل مقدمة حتى على استقلال مصر .. فقد قبل شريف باشا أن يشكل حكومة فى ظل الاحتلال ولكنه لم يقبل التخلى عن التراب بالانسحاب من السودان .

وأول اغتيال سياسى وقع فى القاهرة كان ضد رئيس الوزراء الذي اعترف بالاحتلال الإنجليزي للسودان في اتفاقية ١٨٩٩ .. ولما قامت ثورة ١٩١٩ وقام الحكم الوطنى والأحزاب ، أصبح السودان هو جوهر القضية الوطنية بعد أن أعلن الإنجليز استقلال مصر ، وأصبحت القضية المصرية نظرياً هى قضية الوصول إلى اتفاق مع بريطانيا حول تنظيم العلاقة بين دولتين مستقلتين .. وهنا شكل السودان العقدة التى استحال على المتفاوضين تخطيها ، لأنه ما من مصرى كان يقبل فصل السودان ، وما من حكومة كانت تقبل تسوية لوضع مصر على أساس فصل السودان .. وبالمقابل لم تكن بريطانيا بالتى تقبل وحدة وادي النيل .. وتحضرنى هنا كلمة النحاس باشا : « تقطع يدي ولا يقطع السودان » وكان ذلك يعنى إلغاء المفاوضات وطرد حكومة الوفد من الحكم .. بل حتى صدقى باشا ظل يحاور الإنجليز حتى انتزع منهم نصاً يقبول وحدة وادي النيل تحت التاج المشترك لتتراجع حكومة بريطانيا تحت ضغط الجماعات الاستعمارية ، وتسحب التصريح وتسقط المعاهدة ويسقط معها صدقى باشا » ..

ولإعطاء فكرة عن مدى عمق مطلب وحدة وادي النيل في وجدان الجماهير المصرية نورد تلك القصة : فعندما أدرك صلاح سالم أن الوحدة ضاعت اقترح على عبد الناصر أن يجعل الأمر بيده لا بيد عمرو فيتوجه عبد الناصر للخرطوم ويعلن هناك استقلال السودان بقرار منفرد من جانب مصر ، فكان رد عبد الناصر : « إذا كنت سأذهب للسودان وأعلن استقلاله .. فالأفضل أن أتوجه بعد ذلك ، إلى الكنغو ولا أعود إلى مصر بعد أن أعلن هذا الاستقلال » وهكذا اختار عبد الناصر أن يتم التخلى عن السودان بالأسلوب التآمري .

كان الأمر يحتاج لجهد كبير ينسى المصري السودان ، وهو ماحققته سلسلة عمليات صفقة السلاح وباندونج وعدم الانحياز وحلف بغداد ومعركة السد وتأميم القناة ، ثم العدوان الثلاثى والخوف على مصر ذاتها والموقف المخزي لحكومة السودان وقتها ، ثم الانتصار على العدوان ، مع شيء من السجن والاعتقالات والخوف والجوع والبطش ، والكثير من التعتيم على الحقائق والمعلومات ، والسخرية من وحدة وادي النيل كما فعل هيكل حتى أدهش السفير الأمريكى ذاته .

ونسى السودان ، ولم يضطر عبدالناصر للذهاب إلى الكونغو ، فقد أرسل ذاكرة الشعب ووحدة وادي النيل بدلاً منه إلى هناك .. وإن كان لم يفته إرسال الجيش بعد ذلك للكونغو ! ..

ولعل أعجب ماقرأناه هذا الأسبوع من مدرسة هيكل هو قول أحدهم أن عبدالناصر تخلى عن السودان استعداداً للمواجهة مع إسرائيل ! ولن أناقش ذلك حتى يتكرم الإستراتيجى قائله فيشرح لنا كيف كان السودان يعوق المعركة مع إسرائيل ؟! مع أننا فى ٦٧ عندما تعرضنا للضرب في العمق وضعنا الكلية الحربية فى السودان بعيداً عن متناول الطائرات الإسرائيلية ![*] ..

---

* أكتوبر ٩٢/٨/٢ .

السفير الأمريكي لحكومته :

« نجيب وضباطه تخلوا عن وحدة وادي النيل » !

صحيح أن مناسبة يوليو هى التى فتحت سيرة السودان ، ولكنى لاأنفى تأثير أزمة حلايب على اختياري ، فهى من نتائج قبول رجال يوليو انفصال السودان ، وأنا شخصياً لى علاقة بأزمة حلايب ، فربما أكون أول من أثارها فى الصحافة المصرية ، (وأرجو أن يصوبنى من يعلم غير ذلك فقد تخون الذاكرة) كنا فى رحلة فى البحر الأحمر ووصلنا إلى حلايب ، وللمصادفة الغريبة ، فوجئنا بوزير الداخلية السوداني يأتى للمدينة ، وكان من حزب الأمة الذي اعتمد فى وجوده السياسى ولا يزال على استثمار عداوة مصر وافتعال المواجهة معها ، وتحرشت أنا بوزير الداخلية السودانى قائلاً : مرحباً بك فى وطنك الثانى ، لماذا لم تخطر السلطات لتحتفل بزيارتك ؟ فرد بجفاء : أنا فى بلدي السودان ولاأحتاج لإخطار أحد !

وكان تحقيقاً نشر فى أخبار اليوم فى أبريل ٦٧ واهتم به الرئيس عبدالناصر فأمر بتشكيل لجنة لاسترداد حلايب تحت إشراف زكريا محي الدين ، ولكن شغلتها أحداث مايو ويونيو وتجمدت القضية مرة ثانية كما سبق وفعل عبدالناصر فى انتخابات ١٩٥٧ واستفتاء الوحدة ١٩٥٨ .

ولكن الأزمة الآن لها طابعها الخاص ، فالعلاقات متوترة ، والجيل الذي يعالجها لا يعرف وادي النيل ولا يحس بأية رابطة خاصة تميز علاقة مصر والسودان عن علاقة أي منهما بليبيا أو الجزائر ، والقضية دخل فيها النفط ، والشركات الخبيرة فى زرع الفتن باختيار المناطق المختلف عليها بالذات لطلب تصاريح بالتنقيب !

ولاأظن أن العهد الجديد في السودان يحتاج لسياسة حزب الأمة لتجميع الجماهير حوله بافتعال معركة ضد مصر ، فهو لديه من المعارك ما يكفيه وإنجازاته فى الداخل وفى

الحرب ضد الانفصاليين خلقت له قاعدة شعبية ، تغنيه عن جر الشكل مع مصر وتحميه أيضاً من ضغوط الذين لا يريدون إلا الكيد لمصر ، فبعض الحكومات وبعض القوى تستطيع الارتزاق والتعيش بعداوة مصر ، ولكن السودان كوطن وشعب لا يمكنه الحياة إلا فى تكامل مع مصر ، ومصر من ناحيتها لا تسعى لمعركة مع السودان ، رغم تحريض عناصر معينة لا تهمها حلايب ولا أسوان ، بل كل هدفها إلغاء الإسلام فى مصر والسودان ، ولكن مصر التى رفضت سيناء والسلام بغير طابا وهى كيلو متر واحد لن تفرط فى حلايب ، ومن هنا لا بد من حل يتفق مع ضرورات الحاضر وحقائق التاريخ ، ولعل هذا ما يفرض علينا أن نحكى للجيل الذي سيحل أزمة حلايب بعضاً من تاريخ البلدين أو تاريخ جيلنا الذى أضاع وادي النيل كله ، ولكى يغطى جريمته حاول أن يمحو تاريخ وادي النيل ، ونستأنف من حيث وقفنا فنقول : كانت حكومة الوفد الأخيرة فى ظل المد الوطنى الذي ساد قبيل انقلاب يوليو قد طرحت العلاقة مع السودان طرحاً جديداً لم تصل إليه الحكومات السابقة ، وذلك عندما أعلنت بعد التفاوض والتشاور مع أحزاب السودان ودون الرجوع لبريطانيا ، منح الحكم الذاتى للسودان في ظل التاج المشترك .

وأوضحنا كيف كانت مخاطرة كبيرة من جانب حكومة يوليو قبول حق السودان في الانفصال ، وأعترف أنه قد مرت على فترة كنت مقتنعاً فيها بسلامة نية الضباط الحاكمين ، وكان تفسيري لغلطتهم هذه ، أنها صدرت تحت اقتناع يبلغ حد اليقين من أغلبية أعضاء المجلس وتنظيم الضباط الأحرار أن الشعب السودانى لن يختار إلا الوحدة مع مصر إذا ما حررت إرادته في الاختيار وهو ما حدث فعلاً إذ اختار السودانيون الاتحاد فى أول انتخابات ..

يعزز ذلك أنه حتى ٢٥ مارس ١٩٥٤ كان صلاح سالم يتحدث لمجلس الثورة عن : « المشاكل المتوقعة فى السودان بعد أن أصبح مضموناً قيام الاتحاد بين البلدين . وقد أطال فى هذا الموضوع وأطال المجلس الاستماع له » ، (البغدادي) وحتى يوليو (١٩٥٤/٧/٢٩) كان « إتلى » رئيس الوزراء السابق والبعيد عن خفايا السياسة

الإمبراطورية ، يتهم حزب المحافظين بإلقاء السودان في البحر وأنه يتوقع أن « يسقط » السودانيون مرة أخرى فى يد المصريين » وفى جلسة مجلس الثورة ٢٥ مارس ١٩٥٤ حدد عبدالحكيم عامر أهداف الثورة كالآتى :

« الهدف الأول : الاستعمار والتخلص منه ، الهدف الثانى : السودان وقيام الاتحاد معه . الهدف الثالث : الإصلاح الزراعى وضمان تنفيذه » ، (وهذا يؤكد ماقاله الأستاذ صلاح منتصر أن الأهداف الستة فبركت بعد ٢٣ يوليو بسنوات) .

وصلاح سالم اعتبر : « انفصال السودان خيانة وطنية لا يجرؤ على مواجهة الشعب بها ولا حمل مسئوليتها تاريخياً » ، وأن الذين اتهمهم بالعمل على تحقيق الانفصال (من المصريين) « ارتكبوا جريمة الخيانة العظمى » ، وقد « وافقه عبدالناصر على ذلك الوصف » ، وهذه كلها من شهادات عبداللطيف البغدادي .

صلاح سالم — على الأقل — لم يكن يختلف فى تفكيره وتقديره للسودان عن الوزير الوفدي « طه حسين » الذي اتهم محمد صلاح الدين بالخيانة لأنه أدلى بتصريح دون الرجوع للحزب يوافق فيه على انفصال السودان إذا اختار السودانيون ذلك .

كذلك يمكن القول أن القيادة الجديدة تفاءلت وعلى رأسها زعيم أمه سودانية وأبوه وخاله دفنا فى السودان ، وأسهم هو شخصياً فى الحركة الوطنية بالسودان قبل ثلاثين سنة .. إذن كان لهم عذرهم فى المخاطرة أو تحدي الإنجليز بقبول فكرة « حق تقرير المصير » إذا ماقبلنا هذا التفسير .. وكما قلت كنت أنا شخصياً مقتنعاً به مدة إلى أن بدأ نشر الوثائق ، وبصفة خاصة مذكرات البغدادي ، الذي كان عضواً فى مجلس الثورة ، وظل به إلى أن أعلن حل هذا المجلس .. فقد أورد على لسان صلاح سالم بعداً آخر للقضية شديد الخطورة ، وهو مايدور حوله حديثنا ، إذ اكتشف صلاح سالم ، وهو مكلف بتحقيق وحدة وادي النيل ، أن القيادة العليا تنفذ مخططاً مخالفاً ، وأنها متفقة مقدماً على الانفصال .

وأستبق تسلسل الأحداث فأقدم هنا وثيقة تعزز شكوك صلاح سالم وتثبت أن قيادة مجلس الثورة كانت تعرف وفى وقت مبكر جداً أنها تتخلى عن السودان ، فقد كتب السفير الأمريكى لحكومته فى ١٩٥٢/١٠/١٢ : « نجيب وضباطه يدركون بوضوح أنهم يتخلون عن سياسة حكومات مصر الماضية التى كانت تطالب بوحدة وادي النيل » وقال نفس السفير : « ولو أن المصريين قلبوا المائدة على الإنجليز بطرح مقترحات تؤيدها الأحزاب السودانية الرئيسية والتى تهدف إلى إنهاء السيطرة البريطانية على السودان ، إلا أن الحقيقة هى أن بريطانيا كسبت معركة إبعاد المصريين من السودان والمصريون يعرفون ذلك » .

وقد عبر إيدن كذلك عن ارتياحه وهو يمدح رجال يوليو لأنهم قضوا على عقبة السودان فقال : « الصخرة التى كانت تتحطم عليها المفاوضات هى مطالبة مصر الدائمة بوحدة مصر والسودان تحت التاج المصري ، وإنجلترا كان يهمها دائماً إبعاد السودان عن مصر وتعمل على أن ينال استقلاله لأن ذلك يحقق مصالحها » (نقلاً عن بغدادي الذي لم تواته الصراحة الكافية لكى يقول وقد « حققنا لبريطانيا مصالحها كاملة ») .

ونعود للتاريخ المعروف فنقول أنه عندما بدأ الأمريكيون الضغط على الإنجليز لحل المشكل الرئيسى بين مصر والغرب .. أي الجلاء ووحدة وادي النيل .. كانت قضية الجلاء مرتبطة من وجهة نظر الإنجليز بقبول استمرار القاعدة البريطانية في منطقة قناة السويس ومبدأ الدفاع المشترك .. وقد قبل عبدالناصر التنازلين وهو مالم تجرؤ حكومة مصرية على قبوله .

أما قضية السودان ، فكان الأمريكان وبعض الإنجليز — قبل يوليو — يفكرون في حل يقوم على التسليم باللقب ، ففى اجتماع وزيري الخارجية البريطانى والأمريكى سأل الأخير : « ألم تحكم المحاكم البريطانية بأن ملك مصر له الحق فى لقب ملك مصر والسودان ؟ فاضطر الوزير البريطانى إلى الوعد بالبحث عن لقب أقل من ملك » » وفى مذكرة لسكرتير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط وأفريقيا قال : « إن الولايات المتحدة تعتقد أن القوى الأربع (أمريكا — بريطانيا — فرنسا — تركيا ج)

يجب أن تكون مستعدة لقبول اللقب الرمزي لفاروق « كملك السودان » بل حتى بريطانيا أبلغت الولايات المتحدة فى ٢٨ يناير ١٩٥٢ أنها : « وإن كانت غير قادرة على الاعتراف بالملك فاروق ملكاً لمصر والسودان إلا أنها لن تعارض اعتراف الدول الأخرى » ثم جاء الحل من أوسع الأبواب .. بإسقاط التاج .. كما شهد رضوان وهيكل ذاته .

قررت أمريكا أنها الفرصة الأخيرة لإخراج بريطانيا من مصر والسودان .. إذ وجد الحكم القوي الذي يستطيع قبول وفرض مالا يرضى به الشعب .. فبدأت كما قلنا الضغوط الحاسمة على الإنجليز ، وهنا قاتلت الإمبراطورية العجوز معركتها الأخيرة ، وصممت أنها لن تقبل بأي حال اتحاد السودان مع مصر .. وكانت تأمل فى سقوط النظام إذا ما قبل ولو مبدأ الانفصال ، أو تدبير انقلاب بريطانى ضده ، يجمد الموقف مرة أخرى ، كما كان يحدث فى سوريا من تبادل الأمريكان والإنجليز للانقلابات .. أو على الأقل يعجز النظام الجديد عن فرض فصل السودان على الشارع المصري ، أو فى النهاية يتم الجلاء وتتنازل مصر لبريطانيا عن السودان .

وأيقنت الولايات المتحدة أن رفض بريطانيا لاتحاد مصر والسودان هو رفض نهائى لاسبيل لتذليله .. لابالمساومة ولابالضغوط فى الحدود المسموح بها بين الدولتين لأنه يمثل إستراتيجية بريطانية أساسية وسياسة تاريخية فى إضعاف مصر ومنع امتدادها ، وقضية حيوية لحماية المصالح البريطانية الاستعمارية والتبشيرية فى أفريقيا السوداء ، ولو كانت وحدة وادي النيل قائمة ، لتذكر الأوغنديون أنهم كانوا جزءاً من السودان ومن مصر وكان حاكمهم يعين من القاهرة ، ولتنبهوا وهو الأهم أنهم فى « وادي النيل » يصبحون أكثر أمناً على دينهم وحريتهم .. (تأمل إلى أين مدت أسرة محمد على حدود مصر وكيف قلصها عبدالناصر .. ثم احتفل بذكرى ثورة يوليو) !

وصادف هذا الموقف البريطانى هوى لدى المبشرين الأمريكان ، والاستعماريين التقليديين — فى الإدارة الأمريكية — من أعداء الامتداد العربى الإسلامى فى أفريقيا ، والمدرسة الصهيونية التى ترفض أية تقوية لمصر ، والتى تعتقد أن الضغط على الشعب

المصرى أو خنقه داخل حدود مصر هو أفضل وسيلة لانهيار مقاومته وقبوله السيادة الإسرائيلية على المنطقة .. أو على الأقل تقليل فعاليته .

ومن ثم كانت الصفقة هى إقناع الإنجليز بقبول الجلاء عن السودان مقابل عدم اتحاده مع مصر ، وإقناع المصريين بالتركيز على تحقيق الجلاء وبناء قوة مصر بدلاً من « الجري وراء سراب وحدة وادي النيل » التى لن يسمح بها الإنجليز أبداً .. أو « أوهام وضغوط وحدة وادي النيل » كما سماها مؤرخ الناصرية !!

وهذا ـــ كما تبين أخيراً ـــ هو ما اقتنعت به وقبلته « الجهات العليا » في مصر والتى كما سنرى كانت أكبر وأعلى من مجلس الثورة ، وما ضم من وطنيين بسطاء .. ولكن عملية الإخراج اقتضت الاقتصار على قبول مبدأ حق تقرير المصير مع الترويج والإيعاز ، بأنهم إنما جروا رجل الإنجليز ، وأن السودان لن يقبل إلا الاتحاد مع مصر ، وكل الدلائل كانت تعزز هذا الظن .. وكلنا كنا نغنى مع عبدالوهاب : « السودان لمصر ومصر للسودان » وعلى ثقة من تأكيد شادية : « ولا السودانى يسيب مصره » ! وحتى إذا ما حاول الإنجليز التملص فإن ذلك سيخلق وضعاً جديداً يمكن لمصر استثماره ، هكذا كان الجميع يفكرون ، بينما كان الآخرون في قمة يوليو قد بدأوا العمل سراً فى تنفيذ الاتفاق الأنجلو ـــ أمريكى بفصل السودان .

وسيقول الناصريون إننى قد بررت فعلاً التخلى عن السودان وهو الجلاء عن مصر ، وأقول : لا ، وإنما أنا أشرح كيف أثر الأسلوب التآمري والعلاقات الخفية على قراراتهم فهم يزعمون أن الجلاء أصبح محتوماً بعدما استحال على الإنجليز البقاء في القناة بفضل حركة المقاومة المنظمة التى قادها عبدالناصر والمخابرات المصرية ضدهم ، لا المقاومة الفوضوية الارتجالية الوفدية .. إلخ .

إن كان ذلك صحيحاً .. فالجلاء إذن كان مضموناً فلماذا تطوعت حكومة الثورة بدفع بقشيش بمثل هذا الحجم وهو التنازل عن نصف الوطن الذي تسلموه ؟! لماذا .. ؟!

ثانياً : لو كانت ٢٣ يوليو تتمتع بالثورية المفروضة لأمكن تنظيم مقاومة فعلية ضد الاحتلال لا في مصر وحدها ، بل فى مصر والسودان ، ولتحقق الجلاء وتمت الوحدة بالأسلوب الفيتنامى .. لا البورقيبى .. وإن كان حتى بورقيبة نال « تونس » كاملة . كان الوضع فى السودان أكثر من ناضج للثورة ، لو قام وضع ثوري حقيقى فى مصر لرفض المساومة وصمم على المجابهة الثورية مع الإنجليز ، وهاهو السفير الأمريكى يشهد بذلك : « إذا تشدد الإنجليز وانهارت المفاوضات حول السودان ، فإن مركزهم فى السودان سيتدهور وباستمرار وستكون هناك متاعب تنتهى بإجبارهم على الانسحاب » .

ولكن المفاوضات استمرت وتجنبت الانهيار لأن الجانب المصري فرط فيمالم يصدق حتى الأعداء أنه قابل للتفريط ! وقد شهد سلوين لويد الوزير البريطانى : « أعلن حكام مصر الجدد تنازلاً لم تقدمه حكومة مصرية من قبل وهو حق السودانيين فى تقرير المصير » .

بدأت الثورة تعالج قضية السودان أو تحل « العقدة » أو تدفع بعض ثمن الجلاء .. فاختارت « صلاح سالم » الذي وصف نفسه بأنه يجهل كل شيء عن السودان وقال : « لم أقرأ في حياتى قبل ٢٣ يوليو عن السودان سوى كتابين لعطا أثناسيوس عن الصيد فى جنوب السودان ، والثانى لتشرشل بعنوان « حرب النهر » ولم يكن لى صديق سودانى واحد يحدثنى وأتحدث معه فى شؤون بلاده وأهله ، ولم أسمع شيئاً عن السودان إلا من والدي الذي أمضى زهرة شبابه وحياته فى ربوع القطر » .

وكانت مصر تضم المئات إن لم نقل الآلاف ممن عاشوا فى السودان ولقضية السودان ولهم صداقات بل ومكانة قيادية لدى السودانيين ، ولكن الثورة لم تختر أحداً منهم ولا استعانت بأحد منهم .. ولن نشير إلى الزعامات المصرية التى كانت لها قوى سياسية وجماهيرية فى السودان مثل الوفد والإخوان والشيوعيين فهؤلاء كانوا فى السجن أو العزل ، كان لديهم مثلاً « فتحى رضوان » وهو صاحب تاريخ عريض فى الدعوة

لتراث الحزب الوطنى ، والتمسك بوحدة وادي النيل .. بل أعطوها للصاغ صلاح سالم ..

ولكن حتى « صلاح سالم » لم يكن المسؤول الحقيقى عن السودان لدى « الجهات العليا » فى مصر !!* .

---

* أكتوبر ٩٢/٨/٩ .

ضباط الانقلاب :
اجتمعوا بالمخابرات الأمريكية في قبرص
وتآمروا مع الأمريكان على فصل السودان .. !

المثل الصعيدى يقول : صاحب البيت سكت ، الحرامى نقر ! وهكذا خرج أحد الذين فرضتهم الدبابة على ثقافة مصر يدافع عن عبدالناصر بسب الشعب المصرى ! والزعم بأن مأساة زعيمه أنه ظهر في البلد الزلط ديه فهو كما يدعى كان أكبر من مصر وشعب مصر أو كما قال : « إن عبدالناصر زعيم لا نظير له دون أدنى شك ولكن مشكلته أن أحلامه وطموحاته كانت « أكبر من إمكانات وطاقات وقدرات وفكر بلدنا وشعبنا ياليت المتنافسين في الشتيمة يدركون هذه الحقيقة » .

كذبت والله ! مصر أكبر من أي زعيم ، مهما كانت عطاياه لكم وشعب مصر هو الذي حقق المستحيل وهو الذي منعه عبدالناصر من تحقيق الممكن لما سلم الأمر لغير أهله وحكم خسيسها في رئيسها وأنفق المال فى غير مستحقه ، ولم يعد أمامكم من سبيل للدفاع عن خيبتكم إلا سب مصر وشعبها ، قل لو كانت مصر بحراً من شقق الحراسة والوزارات والشركات والمصاريف السرية لنفد البحر قبل أن تنفد أطماع يوليو ولو جئنا بمثله مدداً ! ونعود لحديث السودان الذي أضاعوه ، حتى أصبحنا نقاتل على حلايب ، ولولا خيانتهم لكانت دولة وادي النيل اليوم مائة مليون وتشكل فى أفريقيا وغرب آسيا ما تمثله الولايات المتحدة فى الأمريكتين ، ولكانت إسرائيل حديثاً يتلوه رواة الأساطير .

قلنا أن صلاح سالم هو الذي كلفه مجلس الثورة ظاهرياً بتحقيق وحدة وادى النيل ، بينما كانت الخيوط الحقيقية في يد عبدالناصر الذي مثله فى اللجنة الخماسية لتقرير المصير ، حسين ذوالفقار صبري ، وهو شقيق على صبري ومدير مكتب عبدالناصر

للشئون السياسية ، وقتها ، وهو الذي اتهمه صلاح سالم بأنه ينفذ مؤامرة فصل السودان المتفق عليها بين ناصر والأمريكان .. ولو عاش صلاح حتى قرأ كتاب **DIVIDED WE STAND BRITAIN, THE US AND THE SUEZ CRISIS** (منقسمون وقفنا .. بريطانيا وأمريكا فى أزمة السويس ، تأليف و . سكوت لوكاس) لكانت حيرته أقل فقد عرّفنا الكتاب لأول مرة أن وفداً يمثل عبدالناصر قد اجتمع فى قبرص مع رجال المخابرات الأمريكية قبل الانقلاب ! ويقول المؤلف فى كتابه الذي حصل به على الدكتوراه من جامعة لندن : « كان الكنز الذي فتح أمام المخابرات الأمريكية ، وهو برنامج التدريب العسكرى لعام ١٩٥٠ حيث تقرر إرسال ٣٠٠٠ ضابط مصري للولايات المتحدة وجرى اختيار المرشحين لتلقى الدعم » الأمريكى (وضع المؤلف كلمة الدعم **SUPPORT** بين قوسين للفت نظر المغفلين) كما تم إقامة اتصالات شخصية يمكن تطويرها في القاهرة (فاهم واللا أفسر فى وشك ! ج) ويكمل المؤلف : « من بين الأكثر من الخمسين ضابطاً الذين درسوا فعلاً فى الولايات المتحدة كان على الأقل ستة منهم فى حركة الضباط الأحرار التى نفذت انقلاب يوليو ١٩٥٢ ... وجمال سالم قضى عدة شهور فى الولايات المتحدة للعلاج ، وقبيل الثورة اشترك على صبري رئيس مخابرات القوات الجوية الملكية والذي يؤيد سراً الضباط الأحرار ، اشترك فى دورة مخابرات فى ولاية كولورادو لستة شهور ، وهذه الدورة عادة لا يسمح بالانضمام إليها إلا لضباط دول حلف الأطلنطى » ، « فى اكتوبر ١٩٥١ ــ والكلام لا يزال لمستر سكوت ــ أوصل أحمد حسين السفير ، القادم فى وشنطن ، روزفلت (كيرميت رزوفلت الذي دبر انقلاب يوليوج) بالضباط الأحرار واستخدم رجال المخابرت الأمريكية هذه الصلة للاجتماع بممثلى الضباط الأحرار فى قبرص ، وقد تم اختيار المتصلين بعناية فصبرى (على) كان موضع ثقة فاروق ، وعبدالمنعم النجار كان قريباً للملكة ناريمان والكولونيل عبدالمنعم أمين كان من الأثرياء (!!) وكان من الطبيعى أن يعقب اجتماعهم مع روزفلت ، مناقشة مع قائد مصر المقبل ، الكولونيل جمال عبدالناصر ، كما وثقوا علاقات مهمة بين الضباط والسفارة الأمريكية وبالذات مساعد الملحق الجوى الليوتانت كولونيل دافيد إيفانز ، والسكرتير السياسى وليم ليكلاند .. وبين أكتوبر

ويوليو ، كان ليوكلاند يستشار يومياً من صبري والنجار ، وقد فتح ليكلاند قناة مع عبدالناصر عبر محمد هيكل الصحفى فى أخبار اليوم المملوكة لمصطفى أمين وهو عميل آخر للمخابرات الأمريكية » . **LAKELAND ESTABLISHED A CHANNEL TO NASSER THROUGH MOHAMMED HEIKEL, A JOURNALIST FOR THE NEWSPAPER AKHBAR EL YOM OWENED BY MUSTAFA MAIN, ANOTHER CIAA GENT** (للمزيد انظر : ثورة يوليو الأمريكية ـــ الطبعة الثالثة) .

نعود للمسكين صلاح سالم الذي أعد نفسه لدور بطل الوحدة ! وقد نجح صلاح سالم نجاحاً كبيراً فى البداية وخاصة فى جنوب السودان ، والجنوب كان الجانب الشائك الذي زعم الإنجليز أنه لايمكن أن يقبل الاتحاد .. فإذا بصلاح سالم يكسبه برقصاته ، أو هكذا حرصت الصحافة البريطانية على تصوير الموقف ، بينما الحقيقة أن الجنوبيين الذين عاملهم الإنجليز معاملة الحيوانات وحرصوا على إبقائهم عراة ومنعوا عنهم الثقافة والحضارة ، وحولوا جنوب السودان إلى « سفاري » آدمى .. رأوا شاباً أسمر اللون شديد السمار يتحدى الإنجليز ويأتى إليهم ويأكل معهم ويرقص معهم ، ويسب الإنجليز فى قلب جنوب السودان ويعدهم بإخراج السيد الأبيض .. فعشقوه .. والسودانيون الذين صنعوا انفصال السودان وقبلوه دفعوا ومازالوا يدفعون الثمن فى هذا الجنوب الذي لو تمت الوحدة ماكانت له مشكلته .

ولأن وحدة وادي النيل كانت متجذرة في الضمير الوطنى المصري والسودانى ، فلم يكن من السهل القضاء عليها من أول جولة ولذا ، عندما أجريت الانتخابات فى ٢٥ نوفمبر ١٩٥٣ تحقق ماكان يأمله الوطنيون فى مصر والسودان ، فقد سقط حزب الأمة حزب العمالة لبريطانيا والعداوة لمصر سقوطاً فاحشاً .. فاز الحزب الوطنى الاتحادي الذي خاض الانتخابات حول مبدأ « الاتحاد مع مصر » بـ ٥٤ مقعداً وحزب الأمة ٢٠ مقعداً ، والجمهوري ٤ و المستقلون ١٢ ثم انضم الجمهوري للاتحادي فأصبح له ٥٨ مقعداً وللأمة والمستقلين ٣٢ .

ويقول بغدادي : « وهذا النجاح جعل أملنا فى الاتحاد مع السودان كبيرا ولكن

هذا الأمل خاب وسيأتى ذكر أسباب هذا الفشل » .

المهم أن هذه النتيجة لأول مرة انتخابات أو استفتاء فى تاريخ السودان هى كلمة الفصل فى بطلان أي زعم بأن الوحدة كانت وهماً أو مطلباً مصرياً من جانب واحد يستند إلى حق الفتح ! .. فالاتحاد كان إرادة مصرية ـــ سوادنية ، ولم يكن سراباً .. وإن كان تحقيقه صعباً . بل شديد الصعوبة .. ولكنها إمكانية تشبث بها الشعب المصري أكثر من نصف قرن ، ولو على حساب الجلاء عن مصر .. وقاتل الشعب السودانى من أجلها فى ١٩٢٤ وصوت لها فى ١٩٥٣ فى ظل الاحتلال البريطانى ..

ثم ضاعت !

هذه قضية لايجوز أن نهيل عليها التراب أبداً ..

لم تنهزم القوى الإمبريالية والعميلة ولم تيأس بل بدأت تعمل ، راهنت على أخطاء مجلس الثورة فى مصر ، وارتباطاته ، وعلى أطماع وطموحات السياسيين فى السودان .. والحركة السياسية فى السودان ، كانت صورة من الحياة السياسية فى مصر مع فارق عشرين سنة ، ومن ثم كانت طموحات السياسيين السودانيين أكثر شبقاً وشباباً كما كانوا مرتبطين مع السياسيين المصريين بعلاقات التتلمذ مع الشيوعيين والإخوان والوفد . ولاشك أن إحدى الأوراق المهمة فى يد مصر وقتها كانت « محمد نجيب » الزعيم المحبوب فى كل أنحاء العالم العربى ، والذي يشكل الحل الممتاز لقضية الرئاسة ، فالقيادات هناك ككل قيادات العالم الثالث ليس فيها عمر يقول لأبى بكر امدد يدك أبايعك .. لم يكن فيهم من يرضى بأن يرى منافسه أو نظيره ملكاً أو رئيساً للسودان ، وربما كان قطاعاً من الاتحاديين يطلب الاتحاد كراهية فى حكم عبدالرحمن المهدي أقبح صور التخلف والعمالة وقتها .. ولذلك كان الحل هو ملك مصر والسودان ، والملوك لاينتمون إلى أقليم ولاإلى طائفة .. والعرش هو رمز الوحدة الوطنية غالباً .. فلما سقط العرش ، كان المفروض أن يكون رئيس مصر الذي أسقط العرش هو رئيس السودان .. وتشاء الظروف الحسنة أن يكون هذا الرئيس نصف مصري ونصف سودانى ، فلاغبن ولاسيطرة ، ولانزعة شوفينية يمكن أن تثار .. بل هو بملامحه أكثر سودانية .. ولكن

الصراع فى مجلس الثورة ، أدى إلى سقوط « محمد نجيب » وسقطت بذلك ورقة قوية كانت فى يد مصر على الصعيد الجماهيري ، ولم يكن أحد ـــ وقتها ـــ فى مصر أو السودان يقبل ـــ راضياً ـــ حكم عبدالناصر .. والناس ترى كل ماتمنوه يضرب وينهار ، والديكتاتورية العسكرية البشعة تنشب مخالبها فى أمانينا وأحلامنا .. دون أن تسجل ـــ حتى ذاك الوقت ـــ أي انتصار ولو إعلاميا .. ولا نذهب إلى القول بأن الإطاحة بمحمد نجيب كانت ضمن مخطط دفع السودانيين لرفض الاتحاد ، على الأقل من الجانب المصري ، إلا أن الأطراف الأخرى ، الإنجليزية والأمريكية قد سعت ، واستفادت من تصفية نجيب والكشف عن الوجه الديكتاتوري فى نظام ٢٣ يوليو ، فى سحب البساط من تحت الاتحاديين الحقيقيين ، وشل تردد المذبذبين ، وتشجيع المتآمرين على الكشف عن وجوههم !

ولم يكن أعضاء مجلس الثورة بغافلين عن هذه النتيجة المحتومة .. ووقائع مناقشتهم فى أزمة محمد نجيب حافلة بالأدلة على اقتناعهم بتأثير إبعاد نجيب على الاتجاه الوحدوي فى السودان .. ومع ذلك رأوا أن استقرار السلطة فى يدهم أهم من المخاطرة بوحدة وادي النيل ، ثم يأتى من يقول كانت طموحاتهم أكبر من قدرات مصر وفكر شعبها .. لا والله بل كانت شهواتكم أكبر من أن تفسح مكاناً لأهداف مصر وتطلعات شعبها !

خلع محمد نجيب فى المرة الأولى مع افتتاح أول برلمان للسودان وبدأ الوضع غير طبيعي أن يستقبل السودانيون أول عهدهم بالبرلمان فى نفس الوقت الذي يلغى فيه البرلمان والدستور والأحزاب فى مصر وتعلق الحياة السياسية ثلاث سنوات فترة الانتقال .. !

كانت الأحزاب والقوى السياسية فى السودان فرحة بالاستقلال منطلقة إلى ممارسة حقوقها التى حرمت منها والتى قاتلت وسجنت فى سبيلها ، ولكن النظام الناصري يصادر هذه الأمانى جملة وتفصيلاً ، فهو لا يؤمن بالحزبية ، ويلغى حرية الصحافة ، ولا يؤمن بالفصل بين السلطات ويضرب رئيس أعلى محكمة فى مصر ، والذى كان يعتبر شيخ القانونيين فى العالم العربى كله ، ومعظم زعماء السودان تعلموا الحقوق على يديه ،

ويقدم مصطفى النحاس للمحاكمة ! كذلك علقوا الإخوان على المشانق وزجوا بالشيوعيين فى السجون ، وفى نفس الوقت طالبنا أو توقعنا أن يهرع الإخوان والشيوعيون فى السودان للوحدة لينالوا من الكأس التى تجرعها أساتذتهم !

ثم ماجرى على « محمد نجيب » من إذلال وامتهان ، حتى العجل الذي خصصه للذبح يوم افتتاح برلمان السودان كان يتضور جوعاً ! فضلاً عن الحملة الرخيصة عليه فى الصحف ، والسودان مازال بكراً فيه تقاليد الرجولة والقبيلة والطهارة ويرفض هذا التدنى فى الخصومة !

فالحقيقة هى أن مثقفى وقيادات السودان المخلصة انفصلوا عن النظام الناصري ، وليس عن مصر ، وما كان يمكن أن يختاروا الديكتاتورية ويتخلوا عن الديموقراطية صباح الاستقلال ليغنوا مع نجاة : « بكتنى فى ليلة عيدي » .. وهل للاستقلال من ثمرة تتعطش إليها الجماهير وتستشهد فى سبيلها وتكافأ بها أحلى وأجمل من الحرية والديموقراطية ؟!

وهل يمكن أن يختار السياسيون فى بلد بإرداتهم الحرة الخضوع لحكم ديكتاتوري يقوم على إلغاء الحريات ، وإقامة المحاكم الخاصة والمعتقلات لليسار وينصب المشانق للعمال وزعماء الإخوان ، وعندما قبل السوريون أن يدفعوا الحرية السياسية ثمناً لوحدة مع عبدالناصر كان الوضع مختلفاً فلم يكن عبدالناصر وقتها بطل الأمة العربية وأمل تحريرها فحسب ، بل كان النظام السياسى السوري ذاته قد تهرأ واحترق ، وسقط أكثر من مرة .. ومع ذلك لم تطق سوريا صبراً على ديكتاتورية ناصر فضحّت بالوحدة على أمل استرداد الحرية وخسرت الاثنين .

ورغم كارثة الانفصال السودانى ، فإن الزعامة الناصرية لم تتعلم ، أو لم تقبل أبداً أن تضحى بالديكتاتورية ، ولا أن تقيم نظاماً ديموقراطياً جذاباً لتحقيق الوحدة .. بعدما ثبت أنه يستحيل أن يقبل شعب أو بمعنى أصح القوى السياسية فى أي بلد عربى التضحية بوجودها فى سبيل الوحدة . وهكذا بعد خمس وخمسين سنة من الحكم الإنجليزى للسودان ، والحكم الرجعى فى مصر ، صوّت الشعب السودانى بالأغلبية الساحقة للحزب الذى تقدم بشعار وحدة مصر والسودان .. وبعد أقل من عامين من

حكم الثورة فى مصر وتوليها « قضية السودان » صدر قرار الانفصال ! وقاد زعيم حزب الاتحاد حملة « التصدي » لمصر ورفض هدايا مصر ورفض إرسال السودانيين للتدرب فى مصر بل وانتقل الحكم للحزب الذي أنشأه الإنجليز والذي قام على عداوة مصر ، والذي كان منبوذاً من المثقفين ، وكان الوطنيون السودانيون يتحاشونه كما يتحاشى الأشراف الشبهات ، فإذا به بفضل الأجهزة المصرية يصبح المسيطر على السياسة السودانية منذ الاستقلال حتى سقوط نظام الاحزاب !

الخيانة ...

ولكن جريمة الناصريين لا تقتصر على الفشل وحده بل يؤكد لنا صلاح سالم وجود عنصر الخيانة .. ولأن قراراً بذبح الوطن وتمزيقه ، لا يمكن دعوة الشعب إليه أو تنفيذه علناً وبالنص عليه فى المعاهدة كما حدث فى الدفاع المشترك الذي قبله رجال ٢٣ يوليو ، وإنما كان لا بد من حصر المؤامرة داخل مجموعة محدودة تعاونها الحكومتان المصرية والبريطانية على تنفيذ الاتفاق بذبح وادي النيل بمباركة أمريكية .

وقد نفذت المؤامرة بإلغاء حكومة السودان لشروط الاتفاقية التى كانت تنص على استفتاء الشعب بأن نقلت القرار للبرلمان ، الذي أعلن الانفصال ! ووافقت الحكومتان البريطانية والمصرية على ذلك ، وهنا يجب أن يتوقف التاريخ ليتساءل حول موقف الحكومة المصرية ، فتواطؤ الحكومة الإنجليزية وقبولها عين ما كانت تسعى له ، أمر مفهوم ، ولكن لماذا قبلت حكومة ٢٣ يوليو وباركت تنفيذ هذه المؤامرة ، أي التصويت بفصل السودان من قبل هذا المجلس ودون الرجوع للشعب كما تقضى الاتفاقية وبمخالفة صريحة لنصوصها ، وكان بوسع الحكومة المصرية أن تعترض فتوقف الإجراءات وتجردها من الشرعية ، بل لم يكن هناك أي مبرر لقبولها ، وبالذات لأن اتفاقية الجلاء عن مصر كانت قد وقعت ، ولم يكن لبريطانيا أية حجة فى إلغائها ، وخاصة أن مصر ليست هى التى تراجعت بل هى التى تتمسك بالاتفاقية التى سبق أن أقرتها جميع الأطراف .. إن الموافقة السريعة من جانب سلطات ٢٣ يوليو على هذا النقض للاتفاقية وقبولها أن يقرر هؤلاء فصل السودان بالمخالفة للإجراءات المنصوص

عليها ، هو موقف لايمكن فهمه إلا فى ضوء اتهامات صلاح سالم لرفاقه بأنهم كانوا يعملون على فصل السودان عن وعى وتصميم وسبق اختيار وإقرار .

وهكذا أصبحنا أمام مفهوم جديد لموقف ٢٣ يوليو من السودان .. فهى لم تفقده عن جهل أو سذاجة ، بل عن وعى وبموجب اتفاق تم مع قيادات ضباط ٢٣ يوليو أو بالذات عبدالناصر وحفنة الموالين له الأمناء على أسراره ، وليس هذا قولنا بل قول صلاح سالم فى شهادة عبداللطيف البغدادي ..

والحديث مستمر عن الذين أضاعوا الوطن بالأمس ، ويسبون الشعب اليوم(*) !

---

* أكتوبر ٩٢/٨/٢٣ .

صلاح سالم : علي صبري والسادات وزكريا محي الدين .. متفقون على فصل السودان !

أريد أن أقول كلمة للأشقاء السودانيين الذين تساءلوا عن هدف هذا الحديث . أبدأ بأن أقول لهم أن قضية الوحدة أصبحت فى ذمة التاريخ ، فكما قال مستشار ألمانيا ، إن الوحدة لا تسنح مرتين فإما أن يوجد من يخطفها من التاريخ أو تذهب إلى الأبد بغير رجعة ، ولو تردد الألمان شهراً واحداً بعد سقوط الشيوعية لأصبح الانقسام الألمانى حقيقة أزلية .

ولسوء حظ وادي النيل لم يوجد فى الخمسينات فى القاهرة ولا فى الخرطوم الزعيم التاريخى الذي يضع الوطن فوق كل اعتبار ، ولذلك لا أمل فى وحدة ولا سعى إليها ، وأقصى ما نتطلع إليه هو نوع من التكامل كالذي كنا قد شرعنا فيه فى عهد النميري الذي ــ بالمناسبة ــ أرجوه أن لا يبدد ما بقى من تاريخه بإعطاء اسمه ورصيده عند السودانيين للمتآمرين على وطنه وهو أعلم بهم . عد للسودان ياجعفر أو عش بيننا معززاً مكرماً فما بقى فى العمر « عوجه » .

فإذا كان التكامل متعذراً فنرجو ألا يستجيب السودانيون للاستفزاز المتعمد الذي تشنه بعض العناصر فى مصر من الفئة التى لا تنام الليل إذا سمعت كلمة إسلام ، وتضحك الثكلى عندما تدعى أنها غاضبة من أجل حلايب ! مهمتنا جميعاً هى إحباط مكرهم لا تزويدهم بما يخدم مخططهم .

ومن ناحية مصر فهى لا تفكر فى غزو السودان ولا الدخول معه فى حرب لا قدر الله ، تأبى الخؤولة والأعمام ، ومهما عزلت هذه العاصمة أو حردت تلك فإن الرئيس مبارك ليس صدام حسين ، ولن يغريه أحد أو يدفعه إلى حرب لا يريدها ، هو كمصري

سهل معاندته إذا لم يظلم ، وأقولها بصراحة نحن فى مصر نحس بالظلم فى قضية حلايب ، ولن نفرط فى شبر منها. نحن نعتقد أن السودان يدين لمصر بالكثير ، حدوده الحالية رسمها الدم المصري ، واستقلاله الفضل فيه لمصر ، فما كانت الحركة الوطنية فى السودان أقوى منها فى كينيا أو غانا أو الجزائر حتى يستقل قبلهم لولا كفاح الشعب المصري الذي قصم ظهر الاستعمار البريطانى ، فلاتنازعوا شعب مصر فى حلايب . وكما قلت من أسابيع لستم بحاجة إلى أرض ولاإلى عدو جديد ، لديكم الكفاية ، ووضعكم لايحتاج لافتعال المعارك فقد شهدت لكم أشد المجلات المصرية مخاصمة ، أنكم وفرتم الخبز لشعبكم ، وهذا أقصى ماتفتخر به حكومة فى العالم الثالث ، فلاتضيعوا كل شيء بدق طبول حرب ، المنتصر فيها خاسر .. إن أردتم النصيحة اطلبوا تحكيم الرئيس مبارك شخصياً فى قضية حلايب فسيرضيكم وسنرضى بما يرضيكم ويرضاه .

ونعود للتاريخ فنبدأ بسؤال .. من الذي قال :

« مسألة السودان أو مايسمى بوحدة وادي النيل لعبت دوراً هاماً فى مفاوضات مابعد الحرب فقد كان مفهوماً أنها قضية عزيزة على قلب الملك فاروق الأمر الذي لايستطيع أحد من وزرائه تجاهله ، لكن عندما اختفت الملكية أصبح الطريق سالكاً للسودان كي يستقل عن كل من مصر وبريطانيا » .

من قائل هذا الكلام ؟!

جواب : إيدن رئيس وزراء بريطانيا ؟ غلط .

عبدالرحمن المهدي عدو مصر والانفصالى السودانى ؟ غلط .

بن جوريون ... ؟ لا ، بن جوريون وإن كان أكبر مستفيد من تمزيق وحدة وادي النيل إلا أنه أذكى من أن يعلن ذلك .

شاويش الثقافة ؟ لا .. العبارة فيها من الصياغة مايفوق قدراته وطاقاته ورحم الله البخاري . كم من دكتوراه أخذت باسمه !

غلب حمارك ؟

القائل هو : محمد حسنين هيكل ! أيوه هو بتاع هيل مريم !

على أية حال هى اعتراف بما قلناه أن إلغاء الملكية كان ضرورة لإلغاء وحدة وادي النيل .. ونعود لصلاح سالم والسودان الذي أضاعوه ..

صلاح سالم اكتشف السر الأعظم فجن كما فى الأساطير وفقد الثقة فى كل شىء حتى لما حاول بغدادي أن يعزيه بأن التاريخ سيحكم بينه وبين ناصر ، رد ساخراً : والتاريخ ح يعرف منين ؟!

صلاح سالم كان شخصية دستوفسكية ، حاد الذكاء ، قد يصفه البعض بالجنون ، لاذع السخرية مع كثير من البذاءة والقسوة فى النقد ، وطنى متطرف ، مع ضحالة سياسية أدت إلى سعيه للثقافة فسقط فى مستنقع الشيوعية ، وتولت السفارة السوفيتية « تجنيده » وتثقيفه .. ولا نعتقد أنه كان على علم باتصالات أخيه مع الأمريكان ، وصلاح سالم كان شديد الطموح ، رأى نفسه محبوب الأميرات ، ومرشح لرئاسة الجمهورية الاتحادية لمصر والسودان ، ولذلك تولى الجانب الأكبر فى الكيد لمحمد نجيب فأسرف وأفحش .

صلاح سالم عهدوا إليه « بقضية » السودان ، وأصبحت قضية عمره يقترن مستقبله كله بنجاحه فى تحقيق وحدة وادي النيل .. جاء فى يوميات وكيل الخارجية البريطانية : « لابد من مواجهة مع صلاح سالم آجلاً أو عاجلاً ، لأن صلاح سالم مصمم على تحقيق وحدة السودان مع مصر بطريقة أو بأخرى » .

وقد تفرغ « صلاح سالم » لمحاربة الإنجليز فى السودان ، ومحاربة « محمد نجيب » فى القاهرة ، وفى منتصف عام ١٩٥٤ بدا وكأنه قد نجح أكثر مما يجب فى الاثنين ، فقد سقط « محمد نجيب » وأصبح الاتحاد مضموناً كما قال هو ... وبدأ الانحدار ..

لعبة السلطة كانت تستهدف ضرب نجيب بصلاح سالم والتخلص من صلاح باستنزافه فى هذه المعركة ، ولكن ذلك لم يكن الجانب المثير ، فقد اكتشف صلاح سالم لعبة أخرى أخطر ، وهى وجود قوى مصرية تعمل ضده فى السودان وتنفذ مخطط

الانفصال ! وفى البداية لم يصدق أنه عبد الناصر ، بل ظن أنها تنفذ من خلف الزعيم ! يقول البغدادي أنه بعد أن قرر مجلس الثورة منح صلاح أجازة أو رفع يده عن السودان : « قام صلاح واتصل بجمال عبد الناصر تليفونياً وكان فى حالة عصبية شديدة وقال له « أن البغدادي وحسن (إبراهيم) موجودان عندي الآن ولكن لا بد أن تعلم أن هناك مؤامرة كبرى تدبر لعدم إتمام اتحاد مصر مع السودان .. ويشترك فى هذه المؤامرة بعض المسئولين من داخل مجلس الثورة نفسه ومن خارجه ، وأن الذي سيؤدي بالبلاد إلى التهلكة هو زكريا محي الدين وعلى صبري (مدير مكتب جمال عبد الناصر للشئون السياسية) وبكره تعرف أننى قلت لك هذا ، أن على صبري ينفذ سياسة الأمريكان والإنجليز بعدما طلبت (أنا) اشتراك روسيا فى لجنة تقرير المصير ورأوا أن يتخلصوا من صلاح سالم » .

وقد اتهم أنور السادات أيضاً بالاشتراك فى هذه المؤامرة ــ والكلام لا يزال للبغدادي ــ وذلك لإرساله قاسم جودة إلى السودان ، وذكر أن قاسم جودة قد أدلى بتصريح هناك على أنه موفد من قبل أنور السادات لمعرفة حقيقة الوضع بالسودان لإبلاغه إلى الرئيس جمال عبد الناصر .

« وبعد أن انتهى صلاح من حديثه مع جمال أبلغنا أن جمال يطلب منا أن نذهب إليه ، ولكن الصمت كان قد خيم علينا بعد حديث صلاح عن تلك المؤامرة المزعومة ، والتى تحاك ضد اتحاد مصر والسودان » .

« وبعد فترة قصيرة انصرفنا من عنده ، وأخذنا طريقنا إلى مبنى مجلس الثورة ، ووجدنا هناك جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين الذي دعاه جمال للحضور ، ثم حضر عبد الحكيم ، وطلب منا أن نقص عليهم ما حدث ، فذكرت لهم حديث صلاح معى فى التليفون فى الصباح ، ثم حديثنا معه بعد أن التقينا به ، وقرار المجلس الذي اتخذ ، وتعليق صلاح عليه بأن الأجازة معناها الاستقالة ، ورفضه تنفيذ هذا القرار ، وأن استقالته ــ كما ذكر ــ مرتبطة بإعلان استقلال السودان فوراً ، ثم تكلم جمال عبد الناصر كذلك عن حديث صلاح إليه وتلك المؤامرة المزعومة ، وفى أثناء اجتماعنا هذا حضر

صلاح فجأة ودون سابق علم على حضوره . وبدأ يتحدث عن وجود تلك المؤامرة الكبرى ــ على حد قوله ، ومن أن لديه المستندات التى تثبت ذلك ، وأطلعنا على برقية من الصحفى اللبنانى جبران حايك ، وقد تواجد هناك أثناء وجود قاسم جودة بها ، وهذه البرقية التى أطلعنا عليها كانت مرسلة من جبران حايك إلى أحد وزراء إسماعيل الأزهري واسمه « يحي الفضلى » ويبلغه فيها أنه ــ أي جبران ــ قد أطلع جمال عبدالناصر على وجهة نظرهم . كما ذكر أيضاً أنه قد أطلعه على حقيقة الموقف بالسودان ، وأن مجلس الثورة قد اجتمع على أثر هذه المقابلة لمدة عشر ساعات . وطمأنهم فى النهاية خيراً ، وأنه سيرسل إليهم التفاصيل فيمابعد ، كما قرأ صلاح علينا أيضاً ماجاء بنشرة المخابرات المصرية والمرسلة من السودان ، وقد جاء بها أنه قد سرت إشاعة فى السودان عن أن صلاح سالم سيتنحى عن مسألة السودان وسيتولاها بدلاً منه أنور السادات ، وكانت هذه المعلومات مؤرخة بتاريخ ٢٤ أغسطس ١٩٥٥ ، وقد ربط صلاح بين هذه المعلومات وبين إرسال أنور لقاسم جودة إلى السودان ، وحاول أن يبرز أن هذه المؤامرة المزعومة تهدف إلى إبعاده عن قضية السودان ليتولاها أنور بدلاً منه ..

وبعد أن انتهى صلاح من حديثه سأله جمال عبدالناصر عن أسماء الذين يتهمهم من أعضاء مجلس الثورة فى هذه المؤامرة ، فأجاب بأنه يتهم أنور السادات وكذا على صبري بحجة أنه يقوم بتنفيذ سياسة الأمريكيين والإنجليز فى هدم صلاح وإبعاده عن مسألة السودان ، بعد أن اقترح اشتراك روسيا فى لجنة تقرير المصير ، وبعد أن هدأت ثورة بعض الإخوان على ــ صلاح ــ تكلم جمال عبدالناصر قائلاً « مسألة السودان قد انتهت لأن مجلس النواب السودانى سيجتمع باكر فى الساعة العاشرة صباحاً ليقرر عمل استفتاء على تقرير المصير ، ومعنى هذا استقلال السودان .. (العبارة غير دقيقة) وقد طلب السفير البريطانى مقابلة صلاح ليتكلم معه فى هذا الشأن لأن هذا يعتبر تغييراً فى الاتفاقية ولا بد من أخذ موافقة كل من مصر وبريطانيا ، وقد أذاعت لندن أن مصدرا مسئولاً فى الحكومة البريطانية قد صرح أن إنجلترا ليس لديها مانع من الموافقة على مبدأ الاستفتاء » ، ومستطرداً « وإذا كان هذا هو موقف إنجلترا فلن يمكننا المعارضة ، والمشكلة الآن أصبحت مشكلة صلاح وهى تحتاج إلى حل » .

اتهام صلاح سالم ، عززته شهادة « أحمد قاسم جودة » ، رجل « أنور السادات » الذي جاء يشهد ضد « صلاح سالم » وهذا وحده يعطى ثقلاً لما جاء فى شهادته ، معززاً لاتهام صلاح سالم بأن جمال كان يعمل ضده فى السودان فقد شهد أحمد قاسم جودة « أنه شعر أن الناس هناك تعتقد بوجود جبهتين فيما يتعلق بمسألة الاتحاد مع السودان .. جبهة جمال عبدالناصر وجبهة صالح سالم » .

وهذا دليل على أن الناس قد لمست :

ـــ وجود نشاط مصري رسمى مضاد لنشاط وأهداف صلاح سالم فيما يتعلق بمسألة الاتحاد ..

ـــ أن هذا النشاط كان نفوذه أقوى و « ماليته » أقوى ، وفعاليته أقوى وصوته أرجح .. ولذلك فقد نسبوه لقوة أكبر من صلاح سالم .. إلى جمال عبدالناصر هذا إذا لم نقل أن « هذه الجبهة » كانت تعلن ذلك صراحة .

ـــ أن هذه الجبهة كانت تعتمد على عناصر غير مصرية ، وأعمال شبه جاسوسية ، مثل البرقية الخطيرة التى كانت تستلزم تحقيق المجلس ، أو حتى سؤال : « إيه حكاية البرقية دي يا جمال » ، ولكنها كلفتت ! مع أن صلاح سالم تمكن من الحصول عليها ، وهى دليل مادي يثبت إجراء اتصالات بين جمال عبدالناصر وأحد وزراء حكومة الأزهري ـــ يحيى الفضلى ـــ بواسطة شخص لبنانى .. ومن وراء ظهر صلاح سالم المسئول رسمياً عن السودان !

ولا كلمة ولا رد من جمال عبدالناصر فلم يعلق عليها ، بل ببراعة عرفت عنه ، غير مجرى الحديث بقوله : « من هم أعضاء مجلس الثورة الذين تتهمهم بهذه المؤامرة » .. وهكذا نسيت البرقية ولم يفتح فيها حديث آخر .. كما اتسع الخرق على صلاح سالم إذ اندفع يتهم آخرين :

لا يمكن للمؤرخ أو « المحقق » أن يشك بعد ذلك بوجود نشاط لجمال عبدالناصر أو باسم جمال عبدالناصر .. مضاد لنشاط صلاح سالم الذي ثبت أنه كان مؤمناً

بالوحدة إيمان جيلنا كله بها إلى حد الطموح فى أن يكون رئيس الجمهورية الاتحادية .. وأنه أثبت فعلاً جديته وإخلاصه واحترامه لنفسه بأن ربط مستقبله بنجاحه فى تحقيق الاتحاد ، فلما فشل استقال .. ومن ثم فلايمكن أن تكون الجبهة الثانية ، إلا عاملة ضد الاتحاد .. وهذا يعزز بل يؤكد اتهام صلاح سالم ، الذي يرفض بغدادي أن يحقق فيه حتى اليوم ! بل وثبت أن عبدالناصر كان يعلم بقرار المجلس بالانفصال قبل وقوعه .. وكان يستطيع أن يثير الشارع السودانى والمصري ضده ، وكان يستطيع أن يوقف هذا القرار ، أو يمتنع عن الموافقة عليه فتسقط شرعيته حتى ولو لم يتمكن من منعه ، ولكنه قال ببساطة شديدة ودون أن يرتفع حاجب من الدهشة فى وجوه أعضاء مجلس الثورة .. قال : أنه مادامت بريطانيا ستوافق فلايمكننا المعارضة ..

لماذا يازعيم ؟!

لقد كنا نرفض ماتوافق عليه بريطانيا فى بورما وكينيا وليس عدن وحدها فلماذا نقبله فى سوداننا ... ؟! لقد قاتلنا خمس سنوات لفرض تحرير اليمن فلماذا نتخلى بسهولة ودون طلقة واحدة عن السودان ؟!

ــ ويفهم من الحوار ومن الصيغة التى أورده بها بغدادي أن الشهود كانوا مطلوبين لإقناع بقية أعضاء مجلس الثورة المصري ، من الذين لايعلمون ، إقناعهم بتأييد قرار عبدالناصر بالتخلى عن السودان ، فالشاهد الذي بعثوه ينهى شهادته مطالباً المجلس باتخاذ خطوة جريئة فيسأله زكريا محي الدين : « ماذا تقصد بخطوة جريئة » ويعلق بغدادي فى خبث « وكان قصده بسؤاله أن يفصح قاسم جودة عن فكرته « ويوضحها » ولم يتردد الشاهد فطالب بإعلان الاستقلال » ..

شعر « صلاح سالم » بأن اللعبة التى تجري ليست مجرد مناورة داخلية فى لعبة الصراع على السلطة ، بل هى جزء من لعبة أطرافها : أمريكا وبريطانيا .. وأقرب المقربين لعبدالناصر .. زكريا وعلى صبري والسادات ، وبهذه الاتهامات أصبح صلاح سالم فى عداء مباشر مع زكريا وأنور فضلاً عن عبدالناصر الذي أدار الجلسة ببراعته الفائقة فى التاكتيك .. فقد ألقى بموضوع السودان فى سلة المهملات ودعا المجلس لبحث

ماهو أهم وهو « صلاح سالم » . قال عبدالناصر : « مسألة السودان الآن أصبحت فرعية بعد فقدان كل أمل فى الاتحاد ، المسألة الآن أصبحت أجسم مما نتصور ، وهى اتهام لبعض من أعضاء المجلس بالخيانة ، وكذلك مدير مكتبى ، ومعروف أنه مدير المكتب للشئون السياسية ، ومعنى هذا أننى أيضاً أنفذ سياسة الأمريكان والإنجليز والمسألة أصبحت اليوم مسألة صلاح والمجلس وليست مسألة السودان ، لأن مسألة السودان أصبحت فرعية الآن بعد فقدان كل أمل فى الاتحاد » .

أصبح السودان ووحدة وادي النيل مسألة فرعية ، ومسألة صلاح سالم هى المسألة الرئيسية ! وهكذا سقط السودان من جدول أعمال ثورة يوليو .. وبقى أن يضرس الأبناء .

هذا مافعلته ثورة يوليو بالسودان ، قادته إلى الانفصال وقبلت الانفصال بل ساعدت عليه ، فإذا كان ذلك هو الوضع الطبيعى والثوري والتحررى .. فقد غرروا بنا وبالشعوب العربية بما بددوه من كلام وحبر وبيانات وشعارات عن الوحدة العربية والأمة الواحدة ، ورسالتها التى تتحقق بالوحدة الشاملة والفورية ، إذا كانت مصر والسودان لايجدان مايبرر الوحدة بينهما ، حتى يصبح انفصالهما هو الوضع الطبيعى ، فكل حديث عن وحدة مع أي بلد آخر هو حديث خرافة.*..

* أكتوبر ٩٢/٨/٣٠ .

الباب الخامس

لما قالوا قلنا ..
في المسألة الجنسية

٤٥ ـ الرد على أسئلة محرز مجلة حريتى .

٤٦ ـ الرد على روزاليوسف .

٤٧ ـ قاتلناك على تنزيله واليوم على تأويله .

حول كتاب « خواطر مسلم في المسألة الجنسية » ..

أوافق على أن كتابى سابق لعصره وأنه يشكل صدمة للكثير بحكم التخلف والجهل والتبعية الفكرية التى رزح تحتها المسلمون لقرون عديدة حتى تخلوا عن مفاهيم دينهم الشديدة التفوق ليقعوا فى مفاهيم الحضارة الغربية ، وأرجو أن تعذر جدتى وألفاظى فلاحياء فى العلم ولا الدين ، وقد ورد فى الأثر جواز استخدام القارص من القول فى الرد على السفهاء كما قال أبو بكر رضى الله عنه يوم الحديبية لمثل المشركين ياعاض بظر أمه أو بظر اللات ![1] .

وسأبدأ بسؤالك عن الهدف من الكتاب ؟

وإن كنت قد شرحت هذا الهدف فى كتابى ، وأعتقد أن سؤالك هو من وحى هذه العناصر التى تعوي مسعورة ضد الكتاب لأنه كشف جهلهم وتخلفهم ..

بمنطقهم لا يستطيعون التعرف على هدف للكتاب من الأهداف التى تعودوا عليها أي كسب منافع مادية ، فالكتاب التزم بالدين والعلم فى تعليله وتحليله وبيان الحلال والحرام ، وكتبهم إما لإرضاء جهة ما أو استدرار جهل الجماهير باجترار أو نقل ما سبق نشره مليون مرة .. فماذا يدفع كاتب إلى خوض مالم يسبقه إليه أحد ومواجهة قضايا قد تسبب له متاعب .. ماهدفه ؟ بمنطق تجار الشنطة من باعة الدين .. لاهدف ؟ وانظر إلى أين وصل بنا الحال بفضل نشاطهم ومؤلفاتهم ، لاأحد يستمع إليهم إلا إن كان تحت حراسة الشرطة ! أصبحوا مصدر سخرية ، وفقدوا كل مصداقية :

---

(١) ثار أفاق وهاج وماج وقال أن أبابكر لايمكن أن يقول ذلك وإنما الذي قالها هو عمر ابن الخطاب !

هدف الكتاب هو التثقيف فى قضية من أهم القضايا التى تشغل فكر وحياة الناس وبالذات الشباب ، وكانت هذه القضية تناقش فى عصور تألق الفكر الإسلامى بحرية وعلمية ووضعت لها أفضل الحلول إلى يومنا هذا ، ولكن التخلف أصابنا وأصابها فوقف التفكير بل وتراجع لنأخذ بالمفهوم الغربى الذي يضيق بالجنس .

وبسبب إحجام المفكرين الإسلاميين ، أصبح شبابنا يقرأ ويتعلم عن الجنس من كتابات وفكر أعداء الإسلام ، الذين يزرعون فكرهم ومفاهيمهم فى عقول وقلوب الشباب المسلم الذي يعيش لا بسلوك إسلامى ، ولا يوجهه فكر إسلامى بعدما تصدر الساحة جهلاء لا يعرفون من الدين إلا استمارة الصرف من التليفزيون !

هذا أول كتاب فى التاريخ يؤصل كل السلوك الجنسى الرفيع لمصادر إسلامية ويثبت تفوق الموقف الإسلامى لا فى حينه بل وإلى اليوم من المرأة ومن الحياة الزوجية ومن ممارسات الجنس .

أول كتاب يفسر للشباب الكثير من الأسئلة التى لم يهتم أحد بتفسيرها أو فسروها خطأ وبما يخالف النص والموقف إسلامياً .

خذ هذا السؤال الحائر الذي كان يحترق فى صدورهم ولا يجدون له جواباً إلا ما يقدمه المبشرون وأعداء دينهم وتاريخهم .. ما التفسير الذي قدمه شيوخ الأجهزة لهذه الكمية الهائلة من أخبار وأدب اللواط فى تراثنا ؟! هل طالب أحد منهم بمنع كتاب طوق الحمامة ؟! هل اهتم أحدهم بتفسير ما ورد فيه من فكر وأحداث لوطية تدفع الشاب المسلم حين يقرؤها إلى الجنون أو الكفر ؟

كيف يحكى الإمام الفقيه عن ظاهرة كانت تمارس بين المسلمين فى الأندلس وفى حياة وبعلم ابن حزم ، حتى أنه رأى ضرورة إثباتها فى كتابه عن العشق والعشاق ، وهى ظاهرة عشق الرجل لفتى يعشق بدوره زوجة الرجل ! وهى أمور لم نسمع بها إلا فى سان فرنسسكو فى ستينات القرن العشرين ..

أو عن صديق حميم لابن حزم يعشق جندياً ! أو حديث الجبرتى عن صديقه الذي يعشق فرنسيا ويتغزل فيه ! هل فكر أحد فى تفسير يعصم الشباب من الشك فى تاريخهم وتدين أئمتهم ومشاهير الحضارة الإسلامية ..

جلال كشك وحده تصدى لهذه المهمة وأنا أعرف أن ذلك يضيق به المبشرون وأعداء الإسلام ، ولكنهم يستعينون بالمرتزقة والجهلة من أدعياء الإسلام لمهاجمتى ومحاولة منع فكري عن الشباب .. هذا الكتاب يقدم تفسيراً وهو أن انتشار اللواطة ، ظاهرة حضارية (وتأمل أي مستنقع من الجهل سقطوا فيه عندما أخذوا هذه العبارة كأنها تعنى أن اللواطة حاجة متحضرة ألافرنكة مودرن .. ياويل أمة عندما يقود فكرها أجهل بنيها) قلنا أنها ظاهرة حضارية بمعنى أنها تصاحب كل الحضارات فى مراحل معينة .. مرحلة الانتصار التام على التحدي ، ودخولها مرحلة الترف وبداية الانهيار ، أو عندما تسقط نهائياً وتعجز حتى عن الإحساس بالتحديات الحضارية من حولها ، وأثبت أن هذه ظاهرة ليست إسلامية بل عامة فى كل الحضارات .. هل لديهم من تفسير آخر لما فى كتاب ابن حزم من قصص اللواطة أو لظاهرة ابن نواس .. إذن فليخرسوا أو ليتعلموا وليسرقوا أفكارنا ويتاجروا بها وهو ماسيفعلونه بكل تأكيد .

أزلت كل التناقض الذي زرعه التخلف والغزو الفكري فى نفسية المسلم من ناحية الاستمتاع الجنسى ، وهذه النخرة التى أفزعت إبل الصدقة مازالت تفزع إبل التنطع وماشية الجهل والتشنج الجنسى .. والقصة وردت بالطبع كما يعترفون فى أمهات كتاب التراث ، ولم نسمعهم طالبوا بمصادرتها ، مع أن الشباب يمكن أن يفهمها هناك كمظهر من مظاهر الإباحية أو التحلل ، ولايهمنى إن كانت الحكاية أو الطرفة ، قد وقعت ، ولا إن كانت الإبل قد وجدت أم مازالت شاردة ، فهى حيوانات لاتفقه نعمة الجنس ! مايعنينى هو أن مجرد إثبات الرواية ولو كانت خيالية يعنى أن الفكر الإسلامى لم يكن يجد حرجاً فى إثبات استمتاع الزوجة الصالحة بجماع زوجها والتعبير عن هذا الاستمتاع الحلال بالنعمة التى يمن الله بها علينا ، الاستمتاع والتعبير عن الاستمتاع بكافة صور التعبير ومنها إصدار الأصوات .. والغريب أنهم يقولون كيف تقول أنها نخرت ؟! كأنى

أنا الذي قلت وليس الكتاب العمدة فى التراث والذي ينسخ ويطبع ويتداول منذ ألف سنة ؟!

لقد أثبت أن الاستمناء (العادة السرية) ليس محرماً فى الإسلام[1] ، ولاهو من الأفعال الشاذة ولاحتى ضار بالصحة . وأوردت نصوصاً فى ذلك . ومرة أخرى يصرخون : إنه يبيح الاستمناء .. من عنده النص الذي يحرمها فله علينا الاستتابة ، وإلا فليأكل حذاءه كما يقولون !

فاجأتهم بأن الرجم ليس فى القرآن كما فاجأت سلمان رشدي وصحيفة الصنداى تايمس فهاجوا وماجوا مع الطبعة الأولى إلى حد الافتراء كما فعل كاتب التقرير الأول الذي كبه الله على وجهه وأبطل سحره فقد قال : « حاول المؤلف فى الصفحات ٥٥ و ٥٦ و٥٧ تقرير أن عقوبة الرجم للزانى المحصن لم تثبت فى الإسلام لورودها فى السنة دون القرآن » ألم يقرأ قولى فى هذه الصفحات « من هنا كان زنا المحصن يستحق الرجم » « والإسلام قبل أن يشرع رجم الزانية المتزوجة .. إلخ » وقد « شرحنا رأينا فى سبب تشريع الرجم » بل وتصديت للرد على من قالوا بأنها عقوبة نظرية لاستحالة ثبوتها إلا بالاعتراف ، وقلت بل يمكن بالأجهزة الحديثة ..

فإذا استكتب رجال الأمن شيخاً ضد الكتاب فقال أننى أنكر ثبوت عقوبة الرجم أمثل هذا الكذوب المفتري يناقش أم يضرب حد القذف ! ومادام هو الذي خرج أن السنة لاتثبت نصاً ، فهذا يعنى أنه لا يؤمن بتشريع السنة ولا يعتقد أنه ملزم للمسلمين أو أن بجرد الإشارة لحقيقة خلو القرآن من عقوبة الرجم يلغى شرعية العقوبة ! هذا مستوى تدينهم ولاأقول فهمهم .. ولكن سرعان ماتراجعوا فلاأحد منهم يتحدث الآن ، عن موقف الكتاب من الرجم .

أعود لسؤالك الأول والأخير .. حول غلمان الجنة ، وقد أفضت فى الكتاب فى شرح ماوصلت إليه ، أما أن هؤلاء يعارضون ولماذا يعارضون ؟

---

(١) اقرأ فى ردنا على روزاليوسف مافتح الله به علينا فى تفسير النص الذي ظن أحدهم أنه تحدانا به .

أولاً هم لا يعارضون بل يتخرصون ، ولم أسمع من أحد منهم مناقشة ولو متهافتة لأسباب رفض هذا الرأى ومصادره فى نفيه .. إلا أحدهم الذي راح يعظ وكأنه نسى نفسه أو يتهيأ للظهور فى التليفزيون فراح يحدثنا عن قباحة الفعل .. وأن الحيوانات لاتفعله ! وأظن أنه مامن كتاب فى العالم قبل كتابى أظهر وأصل أخطار ومساوىء وحكمة تحريم اللواطة فى الدنيا وأثبت هذا التحريم ، ولكن هذا الشخص .. الذي استدل من قبحها على تحريمها دنيا وآخرة ؟ لم يفكر أن هناك من يستقبحون الخمر ومع ذلك فهى فى الجنة معبأة فى أنهار وليست زجاجات ، وأعتقد أن البعض لاتستهويهم فكرة الانتصاب الدائم فى الجنة وإزالة عذرية سبعين ألفاً من حور العين كل واحدة يحمل ثوبها سبعون ألف غلام .. إلخ ، وذلك كل ليلة ليعدن أبكاراً فى الصباح ليستأنف مهمته الأبدية ، ومع ذلك فهى من نعيم الجنة لمن شاء ولاإجبار ولا منع ولا محظور فى الجنة ، وقد أوردت أكثر من شاهد على ذلك فإن كان يعرف نصاً يحرم شيئاً فى الجنة فليأتنا به أما أنا فعندي النص الذي يقول : ﴿ **وهم فى ما اشتهت أنفسهم خالدون** ﴾ الأنبياء ، ويقول الوعد الحق : ﴿ **ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون ◦ نزلاً من غفور رحيم** ﴾ فصلت ﴿ **وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ◦ وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾ الزخرف .

اشتهت أنفسهم ولم يقل ما اشتهت نفس الشيخ فلان .. أما إن هبطنا لمستوى أنه لاأحد يشتهى ذلك .. فهو لا يستحق حتى القراءة وليس المناقشة ..

والذين غزاهم الفكر الغربى عن الجنة الروحانية ودفعهم لكراهية أو الخجل من جنة المسلمين الحسية كما يسمونها ، فقد وصلوا إلى حد إنكار الاتصال الجنسى الطبيعى فى الجنة واستنكروا أن تكون حور العين للاستمتاع الجنسى وقالوا أنهن للمصاحبة والاستمتاع الروحى .. وقد أشرت إلى أحدهم فى كتابى* ..

نعم .. ! جنتنا حسية وفيها كل المتع الحسية ويباح فيها كل ما حرم فى الدنيا لأن هذا هو العدل وحسن الجزاء ، وقد قلت أن البعض يولدون ولهم ميولهم اللوطية ولكن

---

* ثم اسعفنا الله بآخر فجعلناه نكالاً كما سيرد .

ذلك لا يعنى ماوصلت إليه المسيحية واليهودية فى أوربا وأمريكا من إباحة اللواطة أو حتى رسم رجال دين لوطيين ، بل إن اللواطة محرمة فى ديننا ، والتحليل والتحريم الإلهى غير قابل للنقاش ، ومن ثم لابد للمسلم أن يلتزم بدينه ويقاوم شهواته ويطيع ماأمر الله به .. وهنا يأتى العدل بأن يمكن من تحقيق شهوته أو اشتهائه فى الجنة مصداقاً لقوله : ﴿ ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ﴾ ..

من عنده نص مخالف فليتقدم به .. وأخيراً فقد قلت : عجباً لكم أتغضبون لأننى أكدت تحريمها فى الدنيا أم لأننى تصورت إباحتها فى الجنة ؟!

الأسئلة الثانى والخامس والسادس .. احترامى للأزهر وشيوخ الأزهر .. الشيوخ فعلاً لا الادعياء الذين لا يلبسون العمامة إلا فى التسجيل .. احترامى ودفاعى لا يحتاج لدليل ، ومامن كتاب خلال الخمسين عاماً الأخيرة أنصف الأزهر وشيوخه مثل كتابى « ودخلت الخيل الأزهر .. » والبعض يفري قلبه الحسد وربما أشياء أخرى أنهم لما ورطوا اسم الأزهر فى فضيحة معرض الكتاب كنت أنا أول من تصدي لمن أرادوا الصيد فى الماء العكر ودافعت عن الأزهر وطالبت ومازلت أطالب بالتحقيق فى الحادث لكشف أسبابه .

سؤالك فيه خطأ .. الأزهر لم يرفض الكتاب ولكن المباحث استكتبت شيخاً تقريراً تقدمت به النيابة لمصادرة الكتاب . ثم كان مارويناه ونشرناه فى الكتاب بمافيه تقرير أحدهم للنيابة والذي حفل بالأكاذيب والافتراء وقد كشفنا زيفه فى الطبعة الثانية . وقد حكم القضاء بالإفراج عن الكتاب ، وطرح فى الأسواق ما يقرب من سبع سنوات ، وأعلنا عن الإفراج عنه فى أكثر من صحيفة ووزعته الأخبار والأهرام .. ولو كان هذا الدعى عنده ذرة من الشرف للجأ للنيابة فوراً طاعناً بالتزوير فى إمضائه ، بدلا من التردد على الناشر والمجلات وكأنه يساوم أو يشنع على لجنة شكلها شيخ الأزهر ! من الذى يمرغ سمعة الأزهر والشيوخ فى الأكاذيب والباطل ؟! ليتوجه فوراً للنيابة إن كان قد تعلم معنى كلمة الشرف أم نشرحها له ؟!

أما قولك ماذا أفعل لو صادر الأزهر الكتاب ..

أولا الأزهر لا يصادر كتبا كما شرحنا فى فتنة المستشار .. وإذا كان البعض يهمس بأن الأزهر يدرس ليرى هل يصادر أم لا فأغلب الظن أنه يحاول ابتزازاً ، القضاء هو الذى يصادر والقضاء حكم وصار حكمه نهائياً ولا تجوز محاكمة إنسان مرتين على نفس الكتاب فاستريحوا وأريحوا يعذبكم الله إن شاء الله .

نعم أنا قلت وأقول أن أحاديث اللواطة مطعون فيها وأوردنا كل حديث ومن طعن فيه من أئمة الحديث .. وليس هذا قولى وحدى فإن كان لدى المعترضين الحديث الذى لم يطعن فيه فليضيفوه لمعلوماتنا أو فليصمتوا صمت القبور .. وهل ترتب على هذه الحقيقة موقفا من اللواطة نفسها ؟ ألم نقل أن « اللواط هو من أبشع الخطايا فى الإسلام » فهل يجوز لشريف أن يأخذ نصا ويصرخ : إنه يقول أحاديث اللواطة مطعون فيها ويترك للقارىء استنتاج ما يشاء ؟! كأنى أنا الذى طعنت فيها ، وليس علماء الحديث ؟!

السؤال الثامن يضحكنى مثل ضحك المتنبى .. أقول لك الإمام مالك تقول لى صقر ؟! وكما قال أبو حنيفة خرجنا من الفقه للحجامة !

أما حكاية أننى لست متخصصاً فهى مثل خريج قسم الصحافة الفاشل الذى يقول لك لماذا تعمل صحفياً أنت وهيكل ومصطفى أمين وعلى أمين وبهاء وإدريس وصلاح حافظ .. لستم من المتخصصين أنا وحدى الذى يجب أن أكتب بموجب شهادتى ..!!

الحمد لله يؤتى فضله من يشاء .. وما كتبته وما فتح الله به على فى الفكر الإسلامى لايقدرون على قراءته ، وأتمنى أن يقدم أحدهم على نقده* .

---

* حديث بالفاكس للسيد محمد وهدان/مجلة حريتى ٩٢/٤/٥ .

لماذا كتبت عن الجنس ..

ولماذا لم تهتموا إلا بهذا الكتاب ؟!

أشكر الأستاذ إبراهيم عيسى على عرضه لكتابى « خواطر مسلم فى المسألة الجنسية » الطبعة الثالثة ، فهذه الكتابة وغيرها حول الكتاب تعد خروجاً عن سياسة اقتله بالصمت التى كانت متبعة مع كل كتاباتى ، فالكتاب صدر منذ ٨ سنوات وصودر وقدم للمحاكمة وأفرج عنه وطرح فى الأسواق ولم يكتب عن ذلك كله شيء ، بل أجرت زميلة فاضلة فى روزاليوسف مقابلة معى عن الكتاب عندما أفرج عنه ولم تنشر .

وأنا أعرف أن من ألف فقد استهدف وأرحب بكل حوار ، وما أريده هنا هو التنبيه لبعض النقاط التى فاتت الأستاذ إبراهيم بحسن نية بالطبع ..

أولها عتابه لنا للانشغال بالجنس فى وقت « يعيش المسلمون فى أبشع واقع مر على الدنيا » ثم عدد فعلا وبصدق بعض مظاهر هذا الوضع الذى بلا شك ستتناوله المجلة فى أعداد قادمة وقد يصل بعضه للغلاف أسوة بما يجرى فى غرفة نوم السادات ومكالمة جيهان وعبد الحليم حافظ مما جعل صفحات العدد تضيق عن أى من القضايا التى عددها إلا ليبيا .

أما عنى ففى الفترة من صدور الطبعة الأولى للكتاب إلى تعليق روزاليوسف أصدرت هذه الكتب :

١ ـــ خواطر مسلم فى الجهاد والأقليات .
٢ ـــ كلمتى للمغفلين .
٣ ـــ إنهم يبيدون الإسلام فى بلغاريا .
٤ ـــ المؤامرة على القدس تنفذ فى مكة .

٥ ــ قيام وسقوط إمبراطورية النفط .
٦ ــ ثورة يوليو الأمريكية .
٧ ــ الناصريون قادمون .
٨ ــ ودخلت الخيل الأزهر .
٩ ــ جهالات عصر التنوير .
١٠ ــ المسلمون والروس يقررون مصير العالم .
١١ ــ الرد على الشيخ الغزالى .
١٢ــ الجنازة حارة (عن حرب الخليج)
١٣ ــ ألا فى الفتنة سقطوا (عن الفتنة الطائفية) هذا منذ ١٩٨٤ فقط وأنا أكتب من عام ١٩٥٠ .

وهكذا ترى يا أخى أننى لم أترك قضية تشغل بال المسلمين إلا وعالجتها قدر طاقتى ولست أمنُّ ولا أتباهى وإنما قصدى أن أقول أنه من بين ١٣ كتاباً صدرت لى لم يفز بشرف اهتمامك ونشر المجلة إلا كتاب المسألة الجنسية مما يدل على أنها تشغل حيزاً مهما من اهتماماتنا جميعاً ، وليست همى أنا وحدى ولا همى الأوحد .

لقد أردت أن أقدم دراسة ترد على كل تقولات المستشرقين والمعادين للحضارة الإسلامية وترد فى نفس الوقت على كل الأسئلة الحائرة فى نفس المسلم ، فجاءت كما أزعم أول دراسة من نوعها بهذه الإحاطة على المستوى العالمى لأنه قل أن يلم أحد بالثقافتين الغربية والإسلامية ، كما وضعت ذلك فى إطار تفسير جديد وهو علاقة الموقف من المسألة الجنسية بالتطور الحضارى ، أما الطُرف (جمع طُرفة) التى يتصيدها البعض فلم تكن جوهر الموضوع وإنما الحوار الهابط الذى اندفع إليه بعض المنافقين الذين لما رأوا حملة مجلة حكومية ظنوا أن الفاس وقع فى الراس فهبوا مذعورين ينهشونَ فى الكتاب ، يحسبون كلَ صيحة عليهم ، حتى الذى وقع بيده قرار الإفراج وصمت ٨ سنوات والكتاب يباع فى الأسواق ونعلن عن الإفراج عنه فى الصحف لم يحتج ، ما أن اشتم أو تخيل غضب السلطة حتى راح يطوف فى الأسواق يتهمنا بتزوير توقيعه فتحديناه أن يبلغ النيابة فبلع كذا وصمت صمت القبور !

خذ مثلاً قضية اللواطة ، وأظن أنك توافقنى على أنها قضية عالمية وما خطر مرض الإيدز إلا أحد مظاهر انتشارها ، ولا يجوز أن نتغافل عنها أو نتركها لخبرات الشباب .. وقد أشار إليها بعض كتابنا فى قصصهم مثل نجيب محفوظ ويحى حقى ويوسف إدريس وقد رأيت أنهم فى الغرب يحاولون علاجها بتعديل دينهم فأباحوا زواج الشواذ ورتبوا له حقوق الزوجية ، بل وأباح بعضهم أن يكون الشاذ من رجال الدين .. هذا فضلاً عن الفرية التى ظل الفكر الغربى يجترها عن أن الحضارة الإسلامية هى حضارة عشق الغلمان .. وقد شرحت موقف الإسلام من هذه القضية وهى التحريم التام والاستنكار وإقرار العقوبة عليها ووضحت أن عدم تقرير حد فيها لا يعنى عدم تجريمها ولكن لأنها لم تقع على عهد الرسول ولحكمة إلّهية لم يفرض فيها حد مثل الزنا إذ تركها للمشرع فى ضوء تطور العصور .. فيأتى من ينسب نفسه للجنة فتوى ويقول « إن الرسول فرض فيها حدا بحديث صريح ولكن أبا حنيفة يرى »حاشا لله أن يرى أبو حنيفة رأيا بعد أن قرر رسول الله ..

وكيف سكت الشيخ عن اللجنة العليا لتقنين الشريعة الإسلامية بوزارة العدل التى لم تأخذ بهذا الحديث وقالت بالتعزير كما قلت أنا ؟!

لماذا يتمرجل على أنا وحدى ؟!

أو الذى يصمم على تحريم الاستمناء وقد أباحه جمهرة الفقهاء وفى السوق عشرات الكتب التى تقرر ذلك وهو يستشهد بالآية الكريمة : « **والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون** ﴾ .

لقد والله بكيت ليلة كاملة على المستوى الذى وصل إليه بعض المشايخ لا فى العجز عن فهم إعجاز القرآن الذى لا يقدر عليه إلا رب الكون .. لا ، فهذه فوق طاقة أمثاله إنما هو نور يهدى الله به من يشاء وينعم به على من شاء وليس لكل رجل من القريتين عظيم ، أقول لم آسف على الجهل بقدر ماأسفت على التقحم بغير عدة ، فهو يظن أن كل السلف الذين قالوا بإباحة الاستمناء إذ لم يرد فيه تحريم قد جهلوا الآية .

أما الإعجاز الذى أعماه الله عنه فهو فى دقة اللفظ ولعله يعلم أن هذه الآية كررها الله سبحانه وتعالى حرفيا فى موضعين من القرآن فى سورتى « المؤمنون » « والمعارج » .. وموطن الإعجاز فى قول الحق تبارك وتعالى فى الآيتين فى السورتين فمن ابتغى وراء ذلك وكان من الممكن طبعا بل ومن الأشمل لو قال سبحانه فمن ابتغى غير ذلك ولكن الإعجاز هو فى اختيار لفظ وراء والإصرار عليه فى المرتين .. والاستمناء هو قبل ذلك لأنه علاقة بين الإنسان ونفسه ، وهذه تأتى قبل علاقته بالآخرين ! سبحانك اللهم .. ربى ألهمنى شكر ما أنعمت به على .

ليس هؤلاء من قصدت فى حوارى ولا من أهتم بترهاتهم بل فندت افتراءات المستشرقين وأثبت أن اللواطة ظاهرة عرفتها كل الحضارات السابقة واللاحقة لحضارتنا وقلنا إنها تختفى وتستنكر فى مرحلة نهوض الأمم وفتوة الحضارة حيث العفة مطلوبة والتطهر هو الموقف السائد ، ثم تشيع فى مرحلة انهيار الحضارات ، وبعد أن أكدت حرمتها الإسلامية وجدنا أن العدل لا يستقيم إلا بمكافأة من التزم أوامر الدين وأطاع الله وكبح شهوته ، وفسرنا غلمان الجنة بأنه هذا العدل الإلهى .. وهذا كله كما قلنا من علم الغيب فنحن لا نعرف ولا نستطيع أن نتخيل كيف سيتم الاستمتاع الجنسى بين الإنسان وكائنات غير بشرية هى حور العين ونفس الشيء عن الاستمتاع بغلمان الجنة لمن ابتلاهم الله ولكنهم لم يخضعوا لشهواتهم ولا انحرفوا ..

ولم أفهم سؤالك ولماذا يُحرم الذى لايشتهى ذلك من هذه النعمة ؟! لسنا فى طابور الجمعية لابد أن تأخذ حصتك ولو ترميها ..

النعيم هو أن تنال ماتشتهى ، لا أن تحرم الاخرين مما يشتهون وأنت لاتشتهيه !! الذى لايريد أن يشرب من أنهار الخمر يشرب من الكوثر .. والذى يريد أن يكون عنينا فى الجنة لم يسأل الله شططا سينال مايريد ..

وليس صحيحاً أننى صفعت ماقلت عندما علقت على كتاب طوق الحمامة الذى بالمناسبة أعيد طبعه عن دار الهلال وكما تساءلت كيف ينشر هذا الكتاب الشديد الأهمية دون أن يفسر للشباب كيف يكون الإمام ابن حزم صديقا حميماً للوطى يعشق جنديا !

أنا وحدى فسرت ذلك بما لايسىء للإسلام .. أنا علقت على تطور اهتمامات الناس كدليل على تطور الحضارة الإسلامية من مرحلة النهوض والارتقاء إلى مرحلة فسق مترفيها وأفول نجمها ..

ربما أخطأت بين شادية وصباح وأنا أذكر أنه فيلم مع فريد شوقى وأنتم أعلم بأمور دنياكم .

لا أريد أن أصدق ما يؤكده البعض من أن الحملة على كتابى هذا موعز بها ممن حاورتهم على جبهة أخرى فنلت منهم .. وأكرر سعادتى بأن نتحاور أليس هذا ما تطالبون به .

وفى النهاية هل صحيح أنهم صادروا لك كتابا اسمه العرى .. سمعت ذلك ولم أصدقه فأرجو تكذيبه أو تعريفنا ببعض ما جاء فيه لعلنا نساندك أو ننقدك* .

---

* رد على مقال الاستاذ ابراهيم عيسى ونشرت فى رزواليوسف مايو ٩٢ .

قاتلناك على تنزيله واليوم نقاتلك على تأويله !

هو مثقف أسود القلب ابتلاه الله بما ملأ قلبه حقداً ، بدأ حياته كافراً قبيح الكفر ساقط المنطق والتعبير ، وكان من فضل الله على وعليه أن تصديت لكفره قبل ثلاثين سنة فجعلته كالضفدع الذى سحق بالحذاء فخرجت أحشاؤه وزحف متعثراً .. (انظر كتابنا دراسة فى فكر منحل ــ والغزو الفكرى الطبعة الأولى ١٩٦٤) ليعلن فجأة وبلا مقدمات إيمانه بالله وتصديه للدفاع عن الإيمان ، متخليا عما كان يدعيه من العلم الكافر !

ولكنه كان مريباً فى إيمانه كما كان معيباً فى كفره ، اختار إسلام السلطات فى كل مكان ، وبعكس كل الذين يختارون الإيمان عاد عليه إيمانه بثروة هائلة وبرنامج دائم فى تليفزيون كل الدول العربية فهو مقبول ومرغوب من كل النظم ، وتخصص فى مهاجمة كل دعوة إسلامية لا ترضى عنها الولايات المتحدة أو الدول التى تشترى برامجه ولاحظت ولاحظ الكثيرون أنه يتهجم على الإسلام بأفكار مريبة ويتقحم بادعاء تفسير مودرن للقرآن لولا أن تصدت له الكاتبة الفاضلة بنت الشاطىء فصكته صكا شديدا .

وقد لاحظت أنه يدس أفكاراً مسيحية وهندية ويردد زندقة ملاحدة الصوفيين عن الحلول والاندماج فى الله سبحانه وتعالى .. ورغم ماتكسبه من الاتجار فى برامج إسلامية من أموال وفيلل وعمارات .. فإن غضب الله عليه أوضح من أن نشير إليه .

ورغم أن كتابى (خواطر مسلم فى المسألة الجنسية) صدر منذ ثمانى سنوات ولم ينبس عنه بحرف إلا أنه سارع يهتبل الفرصة لينفث حقده الذى يجتره منذ أن كشفت كفره وزيف فكره وتهافت منطقه قبل ثلاثين سنة ! ولو كان خالص النية لامتن لى مدى

الحياة ، ولكن كتم الغل فى قلبه حتى تفجر فى مقالة بذيئة حاول فيها أن يجعل الحديث عن الجنس فى الجنة يعكس شهوات جنسية فى الدنيا ! ولو كنا فى مستواه لقلنا أن الذين ينفون الجنس فى الجنة يعبرون عن عجزهم الجنسى وكراهيتهم لما سببه لهم هذا العجز من فشل معروف فى حياتهم الخاصة والعائلية .. ولكننا نعف لساننا عما يعرفه الخاصة والعامة .. ونسجد لله شكراً أن دفعه غله وحقده إلى كشف سريرته فإذا به يتهجم على كتاب الله ويروج فكرا مخالفاً تماماً لجوهر الفكر الإسلامى . وسبحان كاشف القلوب وفاضح سريرة المنافقين فقد كشف عن الباطل الذى يؤمن به وأنه أبعد ما يكون عن الفهم الإسلامى بل حتى عن سلوك المؤمن فهو والعياذ بالله يهزأ بكلمات الله يقول :

« وأكثر المفسرين يفهم ما جاء بآيات الجنة ولذاتها ونعيمها بمفهوم لذات الدنيا فهى نخيل وأعناب وفاكهة ورمان وعيون باردة متفجرة بالمياه البلورية وأنهار من لبن وأنهار من عسل وأنهار من خمر وحوريات وأبكار وكواعب » .

وهذا الذى يسخر منه ويسفهه ليس كلام المفسرين كما يدعى للتضليل وإخفاء طعنه فى صريح اللفظ القرآنى ، بل هو نص كلام وألفاظ الله سبحانه وتعالى ، الذى وصف الجنة فأورد كل الألفاظ التى يسخر منها هذا الكاتب !

يقول عز وجل :

﴿ يطاف عليهم بكأس من معين ◦ بيضاء لذة للشاربين ﴾ ﴿ وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴾ .

﴿ وفاكهة مما يتخيرون ◦ ولحم طير مما يشتهون ﴾ الواقعة .
﴿ فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ﴾ الرحمن .
﴿ فيها فاكهة ونخل ورمان ﴾ الرحمن .
﴿ والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ﴾ الانعام
﴿ لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ البقرة

كما ذكر القرآن أنهار الماء العذب واللبن والخمر ﴿ فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار

من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم ﴾ .

هذه هي ألفاظ القرآن صريحة وواضحة وهو ما ينسبه الكاتب الكافر سابقاً الذى انتقل من كفر الجهل إلى فجور الادعاء ولو كان لا يريد الغمز من القرآن ذاته لقال ولقد فهم المفسرون كلام الله عن الأنهار والرمان .. إلخ ، ولكنه سخر مباشرة من وصف القرآن للجنة لأن نص ألفاظ القرآن هى التى قالت أن فى الجنة العنب والرمان والفاكهة واللحم والنخيل والأنهار من لبن وعسل وحور عين كواعب وأبكاراً .. فلا يجوز لمسلم أن يسخر من اللفظ .. فإذا انتقلنا للمعنى المقصود نجده يلجأ للتزييف والتزوير الذى يعاقب عليه القانون الوضعى وليس القانون الإلٓهى فحسب !

يقــول :

« ولكن القرآن يصحح لنا هذا المفهوم الضيق المحدود فيقول لنا الله جل جلاله وتعالت أنعمه أن ما جاء عن الجنة إنما هو ضرب مثال وليس كل الحقيقة .. وفى سورة محمد يقول ربنا : ﴿ **مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى** ﴾ إلى آخر الآية كل هذه الصور هى إذن ضرب مثال أما الحقيقة فهى فوق الخيال وفوق التصور فيقول لنا فى سورة السجدة ١٧ : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ .

هنا التزوير فهو أورد الآية منقوصة ويريد أن يقول أن كلمة مثل تعنى أن ذلك مخالف للحقيقة وأن ما فى الجنة حاجة غير الرمان والنخيل والحور عين ولكن الله يرمز والدليل عنده هو كلمة « مثل » بينما قال المفسرون ومنهم عكرمة « مثل الجنة أى نعتها » (أى صفتها) ابن كثير .

فالله يصف الجنة وليست كلمة مثل هنا بمعنى على سبيل المثال أو تشبه كما يحاول أن يدلس ! وقراءة الآيات كاملة قد تعطى بعداً آخر فى الفهم ولكن ما من تفسير يتفق مع

ادعائه فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ٭ مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ﴾ سورة محمد .

فالله يطرح فى بداية الآية ونهايتها نموذجين من الإيمان والكفر والآية تقدم نموذجين بنفس الترتيب ، من نعيم الجنة للطائفة الأولى وعذاب الآخرة للثانية ولكن لا يمكن لمفسر أو ملم بالعربية صادق النية أن يستنتج أن ما ورد عن الأنهار واللبن والخمر والماء هو تشبيه بشىء آخر أو على سبيل الرمز كما كان غلاة أهل البدع من المنكرة يتعسفون فى تفسير آيات القرآن لتوافق مزاعمهم .

وصحيح أن ما أورده الله سبحانه وتعالى ليس كل الحقيقة ولكن ليس بالمعنى الذى يقصده أى أنه مخالف للحقيقة ! بل هو حقيقة حقا وصدقا ولكن ليس كل حقائق الجنة لأن الجنة فيها ما هو أكثر ، فالله سبحانه وتعالى عندما قال أن فى الجنة فاكهة كثيرة مما يشتهى الإنسان ثم ذكر النخيل والأعناب والرمان والزيتون ، وجب التصديق والتسليم بوجود ذلك فى الجنة وإننا سنأكل منه ، على سبيل المثال وليس الحصر .

فالنص الإلهى ترك المجال مفتوحاً ليشمل الموز والأناناس والكيوى والكانتلوب . وهذا هو الإعجاز ولو ذكر الله كل ما على الأرض والعوالم الأخرى من الفاكهة لاحتار عقل المسلم واضطرب أمره ، وقد رأينا كيف أن عمر بن الخطاب على علمه وصدق إيمانه أستوقفته لفظة « أبا » فى قول الله سبحانه وتعالى « وفاكهة وأبا » . فراح يسأل عن معنى أبا ثم نهر نفسه فقال : « وما على ابن الخطاب ألا يعرف معنى أبا »

وقيل هو اسم فاكهة كانت فى الحبشة فماذا كان سيفعل المسلمون إذا ذكر الله الموز والبرتقال .. هذا هو الإعجاز الإلهى ، فالنوع والفعل يذكران ثم تأتى الإشارة التى تفتح الباب .. سنأكل لحم طير فى الجنة مما يشتهون وهذه تشمل كل ما على الأرض من طير يؤكل وما سينعم به الله من أنواع اللحوم التى فى عوالم أخرى أو التى سيخلقها الله مما لا

عين رأت ولا أذن سمعت ، ونحن لن نقتصر على لحم الطير بل سنأكل لحما مما يشتهون وهى فعل مضارع ليشمل الأبدية فقد يختار متنعم لحما لم يخطر على بال بشر فينال مايريد ..

عندما يذكر الله اللبن والخمر والعسل فهى كما قال عز من قائل لبن وخمر وعسل مما نعرفه واشتهيناه فى الدنيا وزهدنا فيه أو تعففنا فى تعاطى حلاله والامتناع عن حرامه ، وهى للشرب البشرى الحسى الجسدى أما صفتها فهذا من علم الغيب فنحن نعرف الآن من أصناف اللبن والخمر والعسل أضعاف ماكان معروفا على زمن الرسول ونحن نعرف التفاوت فى الصنف الواحد حسب المنتج والبلد ، وتاريخ الإنتاج والشروط الصحية واختلاف المرعى وتقدم تكنولوجيا التجهيز والتعبئة ، وهناك لبن كامل الدسم ولبن منزوع الدسم تماماً ولبن بالفيتامينات .. إلخ .

فإذا كانت الجنة هى الكمال المطلق فى كل شيء فإن الخيال البشرى يقصر عن تخيل اللبن الذى يمكن أن يتاح فى الجنة ومع ذلك فلو اشتهى فلاح مؤمن صالح لبن السريس فى الجنة لناله مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **ولكم فيها ماتشتهون** ﴾ ، ولم أعرف نطعا مثل الذى يحدد اشتهاء العباد بمزاجه الخاص فالله يقول : ﴿ **وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون** ﴾ ، نعم وليس ما اشتهت نفس مريض عاقبه الله فلم يبق له إلا شهوة البطن وسقم النفس وكراهية أفضل ما أنعم الله به على الإنسان ومن بها عليه !

وليس المفسرون هم الذين تحدثوا عن حور العين والكواعب والأبكار كما يزعم الكاتب إياه ، بل هو الله سبحانه وتعالى :

﴿ **وزوجناهم بحور عين** ﴾ الدخان

﴿ **وحور عين ◦ كأمثال اللؤلؤ المكنون** ﴾ الواقعة

﴿ **إنا أنشأناهن إنشاء ◦ فجعلناهن أبكارا** ﴾ الواقعة

﴿ **إن للمتقين مفازا ◦ حدائق وأعناباً ◦ وكواعب أتراباً** ﴾ النبأ

وعندما يستخدم المولى عز وجل نفس اللفظ فى وصف الفعل فى الجنة والدنيا فيقول عز وجل : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض ﴾ البقرة .

فلا يحق لأحد أن يقول أن لفظ الأكل والشرب إذا ورد فى القرآن عن الدنيا فهو يعنى الفعل المعروف ولكنه إذا ورد فى حديث الجنة فهو على سبيل الرمز لتعاطى أكسير الروح أو أكل وشرب الهواء ! هذا افتئات ورأى فرد مقطوع بجهله مشكوك فى قصده ، وعندما نخير بين تفسير الذى شبه المولى عز وجل أيام كفره بما نستعيذ من ذكره ، وتفسير جمهرة المسلمين لا يصعب علينا معرفة أى التفسيرين يستحق صندوق القمامة *

* مصر الفتاة ٢٠/٧/٩٢ .

المفهوم الإسلامى للجنة وتحريفـات الضالين !

كشفنا فى المرة الماضية كيف أن كاتب الدبور والنحلة يحاول أن يدس مفاهيم غير إسلامية بإنكاره الطابع الحسى للجنة ، وأنه يروج كلام المنكرين والمعطلة عن أن ألفاظ القرآن عن الطعام والشراب لا يجوز أن تؤخذ بحرفها لأنه ــ بزعمه ــ لا طعام ولا شراب ، بل ولا أجساد آدمية فى الجنة ! ورفضنا دعوته للتعامل مع اللفظ القرآنى على عدة مستويات ، فعندما يقول الله سبحانه وتعالى : إنه سيزوج رسوله ﴿ ... **ثيبات وأبكاراً** ﴾ لا يحق لمسلم أن يقول أن أبكاراً هذه تعنى البنات البكر ولكنها فى الجنة تعنى الروح القدس !!

يقول سيادته : « إن الأمر إذن غيب مصداقاً للحديث النبوى الشريف أن فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .. والنار بالمثل غيب ففيها شجرة تخرج من أصل الجحيم هى شجرة الزقوم وفيها ماء حميم وهل رأينا ناراً تخرج منها شجرة أو يوجد بها ماء فحقيقة النعيم وحقيقة العذاب غيب والخوض فى تفاصيل هذا النعيم وهذا العذاب وفهمه بمفهوم دنيوى هو تخليط وقصور فى الفهم » .

ولكنه لايلتزم بهذا القول بل يخوض إلى عنقه فى تفسير الغيب وتحديده ، وما الفرق بين من يثبت وجود الخمر واللبن والماء فى الجنة وبين من ينفى ذلك ؟

الفرق أن الأول آمن وصدق بظاهر كلمات الله وتفسير الرسول وكبار الصحابة والمفسرين أما الثانى فخاض فى الغيب بلا حجة ولا سند وأعلن أن ليس فى الجنة من طعام لأننا لن نكون بشراً بل سننسلخ من هذا الطور البشرى لنكون كائنا آخر يتخلص تماماً من هذا الجسد « الدنىء القذر » الذى لا يليق بمرحلة الجنة ..

من الذى تقحم الغيب ؟ من الذى افترى على الغيب ؟ من الذى فسر الغيب ؟

بمفهومه الدنيوى المشوه ؟ أم أن له طبيعة غير دنيوية يتميز بها عن سكان هذه الدنيا ؟ ما دمنا جميعاً بشراً فنحن لا نستطيع أن نفهم نعيم الآخرة إلا بمفاهيم الدنيا ، وبما ورد فى القرآن ، فعندما يتحدث الله عن لحم نأكله فى الجنة ولبن نشربه فلا يمكن أن نفهمه إلا بمفهوم الدنيا فنقول صدق ربنا سنأكل لحما ونشرب لبنا .. والذى يرفض ذلك لا يتميز بمفهوم أرق ولكنه ينطلق من مفهوم دنيوى شاذ ومشوه ، هو يحتقر جسده ويكره احتياجات هذا الجسد فينفيه وينفيها عن الجنة ، هو مفهوم دنيوى ولكن بالمخالفة فالذى يسيل لعابه وتلهث أنفاسه كلما حدثوه فى الجنس هو شبق مريض مثله مثل من يتقيأ كلما سمع لفظة جنس .. كلاهما خاضع لشهوات الجنس ولكن بمفهومين نقيضين وليس أن الذى يتقيأ هو العفيف الطاهر ملاك أو مخلوق لا جنسى !

يقول : « ونفترى على الله ورسوله إذا ظن أحدنا أنه عرف الجنة تفصيلا وأحاط بلذتها ونعيمها فهى غيب بل غيب الغيب ونلتزم بكلمات ربنا فلا تعلم نفس ما أخفى الله لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ، ولا نقول ما قاله المفسر السلفى أن الجنة هى الاستلقاء بين الأشجار وأكل الثمار وفض الأبكار فذلك خيال مادى كسول وأفق حسى ضيق ونفس لا تكاد تتسع لأكثر من شهوة البطن والفرج » .

صدقت والله فى هذه رغم أنفك !!

فأنت الذى افترى على الله ورسوله وأنت الذى زعمت أنك اخترقت حجب الغيب وعرفت ما فى الجنة تفصيلاً وأحطت بلذتها ونعيمها فنفيت ، بحسم وإصرار وتأكيد من لا يخامره شك ، كل ماجاء عنها فى القرآن والسنة ، فقلت أن ليس فيها أكل لأنه ليس لنا جهاز هضم ولا فتحة شرج تخرج منها بقايا الأكل ، وليس فيها عواطف مما كنا نحس فى الدنيا لأن جهازنا النفسى مختلف ، وليس فيها جنس لأن وظيفة الجنس انتفت وزعمت أننا لن نكون فيها بشراً بل سنتطور إلى كائن أرق ، ومن ثم فالقول بالأشجار والثمار وفض الأبكار هو كما تقولت « خيال مادى كسول وأفق حسى ضيق ونفس لاتكاد تتسع لأكثر من شهوة البطن والفرج » !

من غيرك اقتحم الغيب وحدده وحسم وجزم بنوعية النعيم فى الجنة ويشاء الله أن يجعلك أنت شاهداً على نفسك فتعترف أنك قد افتريت على الله ورسوله .. أما نحن فأخذنا بظاهر القرآن فيما قاله واعترفنا بعجزنا عن الإحاطة بالغيب فيما لم يرد فيه نص ويمكن الرجوع لكتابنا الذى التهم بعضه وخلطه بفاسد الفكر فى جوفه فجاء بهذا الخلط المتناقض المتهافت ..

وهو مستمر فى غيه فى اقتحام الغيب بالجزم والقطع لا فى مجرد التخيل بل نفى ماجاء به النص واستقر عليه الإجماع ! فبعد أن نفى الأكل والشرب والحور العين والكواعب والأبكار فى الجنة ينتقل فيحرم الجنس يقول : « والذين يتصورون الجنة من خلال غددهم التناسلية نقول لهم أنه لن يكون فى الجنة تناسل ولا حمل ولا ولادة .. ولهذا يسمى ربنا هذه النشأة بأنها النشأة الأخرى يميزها عن النشأة الأولى التى نحن فيها الآن .. ولكل نشأة نظامها التشريحى والوظيفى المناسب نمط الحياة الخاصة بها .. نحن إذن بصدد ميلاد جديد ونفوس جديدة وأبدان جديدة ونشأة مختلفة ، ومن الأمثلة التى ضربها ربنا على تلك التحولات فى النشأة حكاية الفراشة الجميلة الرائعة الملونة التى تخرج من الشرنقة وكانت بالأمس دودة قذرة تأكل الفضلات وهى الآن قد غدت فراشة لا تتغذى إلا على الرحيق وهى تشريحيا شيء مختلف تماماً مع أنها نفس الكائن ، تلك أمثلة يضربها ربنا ليفهم اللبيب لمحة عن النشأة الأولى والنشأة الآخرة » .

وهكذا نكون قد انتقلنا خطوة أخرى على درب الفكر المنحرف الذى يروج له والمخالف لعقيدة المسلمين .. هنا انتقلنا لفكرة تناسخ الأرواح التى جلبها من الهنود فكما تتطور الفراشة من الدودة « القذرة » (ولاحظ القذرة هذه لأنها تعكس نظرته للمرحلة البشرية) إلى كائن مختلف هو الفراشة كما يقول الهنود بانتقال الروح من جسد الإنسان إلى الكائن الأعلى أو إلى كائن أحط وفقا للحسنات والسيئات !!

وربنا لم يضرب مثلا بالفراشة ــ كما يدعى ــ لينبهنا لمصير الإنسان ، لم يرد ذلك فى قرآن ولا سنة إنما هو من تخريجاته ، ولو أراد الله به مثلا ما جعله فى حالة واحدة وفى حشرة بل لجعله فى سائر الحيوان أو الإنسان نفسه ! فذلك تفسير فرد لا يجوز أبداً

التغرير بقراء صحيفة يومية من أشباه المتعلمين بالقول إن الله ضرب به مثلا ! وسبحان القائل : ولا تضربوا لله الأمثال !

أما عقيدتنا فهى الإيمان بالبعث لهذه النفوس وهذه الأجساد بعينها : ﴿ **قال من يحى العظام وهى رميم ۝ قل يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾ يس .

ولو كانت فراشة أو كائن جديد لما كان هناك سؤال عن العظام أو ماتبقى من هذا الجسد الآدمى بعينه ، ولا كان الحديث عن خلقها أول مرة فهو الخلق الآخر أى الخلق لثانى مرة أو كما قال اللفظ القرآنى بصريح العبارة هى إعادة للخلق الأول للإنسان بعينه الذى مات وأصبح عظاماً أو تراباً ، ولذلك كان التحدى والرد بأن خلقها أو بعثها بعد أن وجدت بالروح الخالدة أو ببقايا الجسد وإن يك قد غدا تراباً هو خلق أسهل من خلقها أول مرة من العدم المطلق : ﴿ **وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ الروم .

ولو كان المتقحم قد درس اللغة العربية لعرف أن الإعادة لا تكون إلا لنفس الشىء فالفراشة ليست إعادة للدودة بل إنهاء لها .

﴿ **... فقال الكافرون هذا شىء عجيب ۝ أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد ۝ قد علمنا ماتنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ﴿أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد** ﴾ ق ..

﴿ **وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا** ﴾ الإسراء .

﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** ﴾

والإيمان بهذا البعث هو أحد شروط الإيمان التى بغيرها لا يكون الإنسان مسلما فنحن نؤمن بأن هذا الإنسان سيبعث بإرادة الله بروحه ولحمه وعظامه وشحمه يمثل بين يدى المولى عز وجل ويحاسب على ماارتكب فى هذه الدنيا ، وبغير ذلك لا يكون عدل ولا عقل فما العدل أو الحكمة فى معاقبة الفراشة عما ارتكبته الدودة القذرة وهى ما

جنت ولا تحس بإحساس الدودة .. كذلك لا عدل فى مكافأة الفراشة عما أحسنته الدودة ..

إنكار البعث بالجسد ليس من الإسلام ..

نحن نؤمن بالبعث بهذا الجسد ونؤمن أيضاً أنه بعد أن تتم المحاسبة فإن الله سبحانه وتعالى سيخلق ما لانعلم لكى يصبح هذا الجسد قادراً على التمتع بالثواب أو التألم بالعذاب .. وهذا فى بعضه ليس رجماً بالغيب لأن النعيم الذى وعد به الرحمن يقوم على الخلود وهذا الإنسان أو الجسد الذى نؤمن ببعثه بعينه أو إعادته قد خلق للموت فعسى أن يأمر الله أن يكتسب خاصية الخلود حتى يمكن الاستمتاع الأبدى بما وعد الرحمن من فاكهة ولبن وخمر وماء عذب وأبكار وحور عين وولدان مخلدين ، وما نشاء ونشتهى من متع فكرية ، ولابد من نشأة أخرى تمكن جسد الكافر من تبديل جلده كلما أنضجته النار وتمكنه من شرب ماء كالحميم وأكل شجرة الزقوم وفى تفاصيل هذا لا نملك إلا القول : ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون** ﴾

ما الفرق إذن وأين نقطة الخـلاف ..

الفرق هو فى جوهر الإسلام وفيما يختلف به عن سائر الأديان ، فاليهودية لا تعرف البعث ولا العالم الآخر ، ولم ترد بها أية إشارة عن حياة أخرى وجاءت المسيحية بالبعث للروح فقط وليس بالجسد .

والجنس عند غير المسلمين ـــ كما شرحنا فى الكتاب ـــ مرتبط بالتناسل فالصالحون والصالحات هم الذين قمعوا الجنس وتخلصوا أو تخلصن منه سعيا إلى الطهر والنقاء فإذا جاء ملكوت الله فالبعث سيكون بالروح فقط والروح لا تأكل ولا تشرب ولا تمارس جنسا فقد تخلصت من الجسد الذى يمارس كل هذه النواقص .. هذا هو الفهم غير الإسلامى الذى يرفض بشدة ويستنكر صورة الجنة الحسية بما فيها من طعام وشراب وجنس ، وهو مايردده حرفيا الكاتب المذكور عندما قرر أنه لا جنس فى الجنة لأنه لا تناسل ، بينما الإمام الحافظ أبو عبد الله بن قيم الجوزية (ولد سنة ٦٩١ وتوفى سنة ٧٥١

هجرية) يفسر لماذا خلق الله الجنس فيقول : « يحفظ به الصحة ، ويتم اللذة وسرور النفس ، ويحصل به مقاصده التى وضع لأجلها ، فإن الجماع وضع فى الأصل لثلاثة أمور هى مقاصدة الأصلية :

حفظ النسل ودوام النوع إلى أن تتكامل العدة التى قدر الله بروزها إلى هذا العالم .

ثم إخراج الماء الذى يضر احتباسه واحتقانه البدن .

وفى قضاء الوطر ونيل اللذة والتمتع بالنعمة وهذه وحدها هى الفائدة التى فى الجنة إذ لا تناسل هناك ، ولا احتقان يستفرغه الإنزال » .

وقد تحدينا وقتها أن يضيف عالم سبباً آخر ولكننا كنا نعرف أن جاهلاً سينقص من هذه الأسباب بحكم الغزو الفكرى والجهود المبذولة لمسخ جوهر الإسلام .

فمن منظورنا .. جاء الإسلام دين الأمة الوسط بجنة فيها متع الجسد من طعام وشراب وجنس ، كذلك نص القرآن على متع الشق الروحى وهو ما أشار إليه الحق عن النعيم الذى لا نعرفه والذى منه التطلع لله سبحانه وتعالى ، أما كيف يتم ذلك فلا نعرف والخوض فيه هو خوض فيما لا عدة له ولا مايفيد أو كما قيل الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال بدعة .

فكاتب دودة القز وقديماً حلة الملوخية ، عندما عارض ما قلناه إنما انطلق من مفهوم لا مبتكر ولا إسلامى ، ونتحداه بما شاء أن يذكر فارقاً واحداً بين مفهومه عن الجنة والمفهوم الكاثوليكى .. فارقا واحداً .. وعندها يلزمنا الاعتذار والاستغفار .

والشكر لله واجب أن سخر هذا ليعزز ماقلناه فى الكتاب عن أن الذين يعارضون تفسيرنا ، لا يكتمل موقفهم إلا بمعارضة كل اللذات الحسية فى الجنة(*) ، ورفض تعريفها الإسلامى !

الباب السادس

الحوار الذى أجهضوه !

الحوار من طرف واحد ... أو للجميع !!

منذ العيد ونحن نعيش فى حمى هيستيرية تعلن انتهاء الحوار وحتمية الضرب بالنار ف المليان وتعليق المشانق للعاصى والطايع ، بدعوى أن التيار الإسلامى لا يؤمن بالحوار وأنه لا حرية لأعداء الحرية ..

والسؤال هو : هل صحيح كان الحوار متاحاً وتخلى عنه الآخرون ؟

ما هو مفهوم الحوار عندهم ؟ وهل مارسوه أو أتاحوا أية فرصة للطرف الآخر ليعبر عن رأيه ؟

هل يمكن أن يكون الحوار من حق طرف واحد له وحده أن يتكلم وأن ينتقد وأن يهاجم بل وأن يسف ويهدم كل القيم ويتخطى كل الأعراف ، فإذا حاول الطرف الآخر الرد عليه فهو تحريض وإرهاب واستعداء .. إلخ

وقد يظن هذا البعض أنها شطارة أو أنه يفرض بذلك إرهابه ويشل الطرف الآخر ويمنعه من الرد وبذلك تعلن هزيمته قبل أن يفتح فمه .. ولكن الحقيقة أن الطرف الذى يمنع الحوار لا ينتصر ، حتى وإن سيطر على الإعلام ، وضرب بيد من حديد وعلق المشانق لمخالفيه بلا محاكمة إلا صرخاته وتهديداته .. لأنه فى النهاية لا ينتصر إلا الرأى الصحيح !

اعترفوا أنكم فرضتم الحوار مع هذا التيار وأهم من ذلك — من وجهة نظركم — فشلتم فى تصفيته وأخيراً لم تجدوا ما تعايرونهم به إلا أنهم سباكون وبياعو سمك ..

ليكن ..

ولكن يجب أن تعترفوا أيها السادة التقدميون جدا أن هؤلاء « الرعاع » قد وجدوا

من يهتم بهم ويحترم شخصيتهم ويعينهم فى منصب أمير ونائب أمير بصرف النظر عن أصولهم الطبقية ومن ثم كسب ثقتهم وطاعتهم .. أرونى أى حزب منكم أو مؤسسة تستطيع أن تبقى عاملاً سبع ساعات فى انتظار تحقيق الهدف الذى يعرف يقينا أن مكافأته عليه هى الإعدام على الأقل ؟!

اعترفوا أنكم فشلتم فى محاورة هؤلاء وأنكم حصرتم أنفسكم فى المستغربين الذين لا جذور لهم فى هذا الشعب ، ولكن مصر هى السماكين والسباكين والنجارين وحملة المؤهلات المتوسطة .. ومادمتم تسدون أفواهنا وتريدون منع حتى وزير الأوقاف من الحديث باسم الدين وترهبون بواحد اسمه بهى الدين حسن ندوة العلماء فإن هؤلاء المعذبين فى الأرض لن يعدموا من يحاورهم ويقنعهم ..

معظم هؤلاء من الصعيد حيث العرض أهم من الحياة ألف مرة .. ولكنكم سمحتم لأنفسكم أن ينشر فى كبرى المجلات المصرية ما زعمت كاتبته أنه نص ما يطلبه أمير الجهاد من زوجته أن تقول وتفعل لحظة القذف فيها !! وسمحتم باسم حرية الفكر أن يتهم أمير الجهاد ونائبه بأنهما يسقطان العدة ويخلطان الأنساب ويهزآن بالقرآن .. حرية فكر ! وحرية كلمة ! وحرية تعبير .. تمام !

فقط أين حق الرد ، ولو قال أحد أن هذا بشع وهذا فسق وهذا قذف ، وهذا استفزاز ، تنهالون عليه بالاتهامات وتمنعونه من الكلام .. بل حتى الذى ذهب للعزاء ضربوه ، والمستشار الذى أدان ولكنه فى نفس البيان عارض الهيستيرية الموجهة ، قوبل بعاصفة من التهديدات والدعوة لضمه لقائمة الاتهام ! فالحوار عندهم هو الهتاف خلفهم وترديد ما يقولون !

وقبل أن يصدر أى بلاغ من الدولة صدر قرار اتهام من محرر فى جريدة الجمهورية ينتحل صفة المتحدث باسم الشعب المصرى ! مع أن القانون لا يسمح بتشكيل جمعية لتحفيظ القرآن إلا بعد الذى والتى ، ولكن هذا الإنسان شكل لجنة واعترف بها وتصدر بيانات أشهرها البيان الذى قال إن المسلمين يمارسون مع الأقباط نفس ما تفعله قوات إسرائيل مع الفلسطينيين ! ولم يقدم للمحاكمة ولا رد عليه أحد ولا تساءلت

الأجهزة عن شرعية تمثيله للمصريين والنطق باسمهم .. بل اشتهر وأذاع راديو إسرائيل تصريحه ثلاث مرات ! واستحلى اللعبة وقد عرف من أين تؤكل الكتف ، فسارع وأعلن أن لجنة العلماء هى التى حرضت .. وهى تهمة عقوبتها السجن وقد تكون الإعدام .. أما ما هى حيثيات هذا الاتهام لندوة العلماء فلأنها تجرأت وردت ولأنها استجابت لنداء لجنة الأحزاب التى نادت : « فمن له اعتراض فليتقدم » .. وتقدمت الجماعة باعتراضها .. وبذلك كفرت واستحقت أن تقدم للمحاكمة بتهمة التحريض .. ماذا نفعل إذن وكيف نتحاور ؟!

أنا شخصياً التحقت بدار أخبار اليوم فى عام ١٩٥١ وكنت من محرريها الدائمين فى عام ١٩٦٦ وكلها تواريخ سابقة على نشر أى حرف للسيد المستشار بعشرين سنة على الأقل .. ومع ذلك فسيادته يكتب فى جميع الصحف وينشر تعاليمه عن التفسير بالعموم أو الخصوص فى الإذاعة والتليفزيون ، ولكن عندما رددت أنا عليه فى صفحة الرأى للشعب وهى مفتوحة للبادى والظاعن وابن السبيل .. فإن المستشار يقيم الدنيا ويعلن أن الصحيفة قد تم اختراقها وأنه لايمكن أن يكتب جلال كشك فيها ويمكن من الرد على سيادته إلا لأن الرجعية دفعت مال قارون لكى ينشر ماأكتب ! وذلك بهدف إرهاب من يسمحون بصوت خارج إطار الحلف الأمريكى الصهيونى المطالب بإزالة الإسلام .

وندوة العلماء ــ كما تقول ــ سلمت باليد ردا على ما نشر فى إحدى المجلات ولم تجده المجلة صالحا للنشر أو ليس فى مستوى الحوار المهذب العلمى الذى نشر بها !

لا توجد صحيفة ولا كاتب من التقدميين إلا وردد معزوفة أن شركات توظيف الأموال تمول تنظيم الجهاد والإرهابيين .. والحمد لله لاتوجد مؤسسات فى تاريخ مصر خضعت بالكامل لتفتيش وتحقيق وإشراف الدولة مثل شركات توظيف الأموال .. ولم تعلن الدولة عن ضبط مليم دفع للتنظيمات الإسلامية أو للمشتغلين بالإسلام .. ومع ذلك مازال هذا الاتهام يسلط مرة كل ٢٤ ساعة قبل الأكل وبعد الأكل .. فهل يستطيع واحد من هؤلاء أن يعرفنا بمؤسسى شركة النيل ومواردها .. وسر اختيارها إلخ إلخ ..

الحوار عندهم هو حق طرف واحد فى التشنيع والتشهير والتزوير وترديد دعوة هيرتروج فى برلمان بولندا ..

من الذى يقتل الكلمة ؟!

منْ الذى يستفز الجماهير ؟!

من الذى يحمل أهدافه للدولة ويثير عليها غضب جماهيرها ؟!

نحن نقبل الحوار ونصر عليه اقتناعا منا بأننا نملك الحق والقدرة على الإقناع به ، فأتيحوا حق التعبير للجميع .. نعم للجميع حتى ولو كان من المسلمين ومن رعاع الشعب يا حضرات التقدميين المتنورين جداً ..!

ملحوظة : نحن أول وآخر من أفتى بأنه لا يجوز أصلا تصفية مخالف للدين الإسلامى بسبب فكره ، وإلا سقط مبدأ حرية العقيدة ، وهى لا معنى لها إلا حرية الكفر بالإسلام(*) .

حتى وزير الداخليـة ممنوع يسشتهد بالقرآن !!

صحفى مصرى كتب فى صحيفة عربية تصدر فى لندن ينتقد بيان وزير الداخلية عن حادثة اغتيال فرج فوده فنقل عن الوزير قوله : « كنت أتابع مايكتبه الدكتور فرج فوده فأختلف معه وأتفق » ، وانفعل الصحفى فعلق : « وبهذه العبارة التى سمعها وقرأها عشرات الملايين يكون الوزير قد محا كل عبارات الثناء التى وجهها لفوده وعبارات الإدانة للجماعات المتطرفة فإذا كان الوزير المتدين يختلف مع بعض ما يكتبه فوده فإن ذلك يعنى أنه لم يوافق على ما اعتبره شططا فى آرائه الدينية ، وخاصة أن الوزير دافع عن استمرار تكثيف البرامج الدينية فى أجهزة الإعلام وكان حريصا كل الحرص على أن يختم كلمته بالآية : ﴿ **ربنا لاتزغ قلوبنا بعد أن هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب** ﴾ حرفيا (٩٢/٦/٢٢) .

وبذلك يتضح الموقف المطلوب أو قل الموقف غير المقبول ولا حتى من وزير الداخلية وهو :

محظور عدم الموافقة أو الاعتراض على حرف مما كتبه الدكتور !
ممنوع الموافقة على استمرار البرامج الدينية فى أجهزة الإعلام !
لا يجوز الاستشهاد بالقرآن وبالذات بهذه الآية !
فإن فعلت فأنت من المتطرفين ولو كنت وزير الداخلية !
المسألة هاصت(*) !

---

* مصر الفتاة ٩٢/٦/٢٩ .

صدقت أنا والله عاطف عليهم ![*]

سعدت بمقالتك المنشورة فى عدد الجمعة الماضى بعنوان « مع من نتحاور » واستنتجت ، رغم أن مقالكم لم يصرح باسمى ، أنها فى القسم الأول منها تشير إلى مقالى المنشور فى صحيفة الأخبار والذى يبدو أنه سيسبب لى الكثير من المتاعب ، وقد تفضلتم فوصفتمونى بالعاطف على الشباب الذى تردى إلى ارتكاب جرائم العنف والتطرف ، وهو شرف لا أدعيه وأيضاً تهمة لا أنكرها ولا أتخيل مصرياً صادق الوطنية إلا وهو يعطف على أى شاب مصرى يتردى ، فما بالك بشاب يتردى وهو يعتقد أنه يخدم وطنه ويلبى دعوة الله ورسوله .. أليس هذا أحق بعطفنا ونصحنا وقلقنا من أولاد الذوات الذين ترددوا فى المخدرات والجرائم ؟

صدقت أنا والله عاطف عليهم مشفق عليهم آسف منهم وعليهم ، وما عاد فى العمر ما يلزمنا بتقية ، ولا أهبط إلى مستوى استخراج شهادة باستنكار الاغتيالات والإرهاب كلما أردت أن أتحدث فى هذا الموضوع ، فكتاباتى وتحليلاتى واستقرائى للتاريخ والسنة فى هذه القضية معروفة ومنشورة (انظر كتابى : خواطر مسلم عن الجهاد والأقليات) . ولكنى دعوت إلى المحاورة بدلا من شهر المسدسات ، فالقول بأنه لا جدال مع من يلجأ للرصاص هو نفس منطق المتطرف ، هو أيضاً يتساءل نفس سؤالك مع من نتحاور ؟ أنتحاور مع الذين يهاجموننا بالرشاشات والمصفحات ويطلقون النار قبل الإنذار .. أنتحاور مع الذين يدعون علنا لإبادتنا وإلغاء جميع الضمانات القانونية والاحتكام إلى الرصاص وحده .. ليكن إذن الرصاص فى مواجهة الرصاص كل الفرق أن بندقيتكم مرخصة من وزارة الداخلية وبندقية المتطرف مرخصة من مفتى التنظيم ..

---

* رسالة موجهة للاستاذ ابراهيم نافع تفضل ونشرها بالأهرام .

لا .. ليس هذا هو الحوار الذى يريده ويحرص عليه المخلصون من أبناء مصر ، إنما نريد الحوار الذى يخرج ما فى القلوب ، ويقارع الحجة بالحجة فى ظل فرصة متكافئة ، لنصل إلى جذور المشاكل كلها ونتلمس الحل الأفضل ، للأسف هذا الحوار معدوم ، ليس بسبب قمع حكومى بل بسبب سيطرة وإرهاب البعض من أصحاب المصالح والاتجاهات والقوى التى تخوض حرباً ضد الإسلام بصرف النظر عن الصيغة التى يعبر بها المسلمون عن أنفسهم ، هم يريدون رأس الإسلام وليس رأس الإرهابى ، بل هم يتمنون عملا إرهابيا كل يوم ليهدروا دم الإسلام والمسلمين .

هؤلاء لا يريدون الحوار ولا يسمحون به ، وأيضاً يستحيل الحوار بسبب الوضعية العجيبة لصحافتنا التى تخضع لنظام الالتزام المملوكى لكل مسيطر على عمود فيها كامل الحق فى التصرف فى مساحته أو عزبته أو إقطاعيته وإهدار أى حق للطرف الآخر فى الحوار مهما كانت مكانته ومهما كانت عدالة قضيته ، أستاذ الجامعة لا يستطيع أن يرد على اتهامات تلميذه إذا كان هذا الطالب النجيب قد ورث أو التزم ركنا فى صحيفة .

بل خذ حالتنا نحن ، أنت تتهمنى بتهمة قد تؤثر على حريتى وأنت قد اهتممت بالتعليق على مقالى فهل أملك أن أرد عليك فى الأهرام أو حتى أن أحاورك فى أى مجلة أو صحيفة فى مصر ؟! وماذا أفعل عندما تتكلم أنت وحدك ولا أملك أن أدافع عن نفسى ؟ أليس هذا أفظع من ضرب السياط وأهدر لكل الحقوق والضمانات .. لو كان سنى يسمح بأعمال الطيش ربما استفززت إليها ولكن أمام إغلاق أفواهنا وعجز سننا لا نملك إلا أن نكظم الغيظ ! ثم تتحدثون عن الحوار وأن المدافع الرشاشة هى التى تحول بين الحوار ؟! أنا لا أعرف أن أستخدم سكينة بصل وقد هوجمت فى الأسبوع الماضى وحده مرتين فى الأهرام وعرض لى دفاعا عن هيكل فى ثالثة فهل أملك الرد أو التوضيح ؟

وأخيراً لقد اهتممت كثيراً بحديثك عن الذين يروجون أنباء مفتعلة عن الفتنة الطائفية فى مصر ، ومن قبل كتبت أنت أيضاً ملتاعا مما وصفته بحملة عالمية ضد الإسلام .. وهذا هو حسك الوطنى وشعورك كمسلم رغم كل الاعتبارات التى تفرض عليك التحفظ .. وأنا أسألك : هل سمعت لهؤلاء الذين يتحدثون عن الكلمة وحقوق

الإنسان والحوار كلمة واحدة فى نفس الاتجاه الذى أشرت إليه . أعنى استنكار هؤلاء المهجرين ومواقفهم التى تسىء إلى مصر ؟!

هل قرأت لدعاة ضرب المتطرفين المسلمين بالحديد والنار كلمة استنكار واحدة لهؤلاء الخونة الذى باعوا أنفسهم لأعداء مصر بالخارج ويدمرون سمعتها وينشرون الكراهية لها فى عواصم الدول التى هاجروا إليها كما قلت واستنكرت أنت ، وتثبت المعلومات أنهم يحركون بعض الخيوط داخل مصر ؟

هل قرأت كلمة واحدة لهؤلاء ضد المؤامرة العالمية والحرب الشاملة التى تشن ضد المسلمين ؟ بل هل رأيت كيف يرفضون استنكار مذابح البونسة لمجرد أن المذبوحين من المسلمين ؟

سيدى نحن ندعو للحوار ولو مع الذين لم يحملوا السلاح بعد .. نريد الحوار المفتوح الذى لا يتحرج ولا يتخوف .. لنقذف بالمسدسات بعيداً ونتواجه بالكلمة شرط أن يكون الحوار للجميع فتباح حرية القول وفرصة القول للجميع .. أما إذا فضل البعض المواجهة المسلحة فلعل كل الذين قرأوا مقالتك عن المؤامرة العالمية ضد الإسلام سيقولون أنهم يذبحوننا تنفيذاً لهذه المؤامرة .

مع تحياتى ولو لم تنشر* ..

---

* الأهرام ٤/٧/٩٢ .

ومن أجل شعبنا نطالب بالحوار

سيدى ، أحب أولا أن أهنئك على السنة الحسنة التى سننتها فى الصحافة المصرية وعسى أن يكون لك أجرها وأجر من يتبعك فيها إلى يوم الحل الشامل ، لا ينقص ذلك من أجورهم ، وأعنى فتحك تطوعا باب الحوار ، وقوفك فى وجه دقات طبول أكلة لحوم البشر الذين تنادوا بالدم والمشانق ودعوا إلى إزالة كافة أشكال التعبير الإسلامى حتى فى برامج الإذاعة والتليفزيون ، أما إلى أى مدى ستتسع حرية القول والنشر فلنتركها للتجربة .

وسأقبل دعوتك للمحاورة على أساس أننى مدافع أوعاطف على هؤلاء الشباب ! ليكن : إن الكريم إذا دعى للذبح أجاب .. وسأحاول أن أشرح وجهة نظرهم وأرد على بعض ماجاء فى كلمتك ، وكنت أود أن أقول أننى سأقبل دور محامى الشيطان ، ولكن خشيت أن يظن بى التهرب أو الاعتذار ، واسمح لى أولاً أن أقول أنه مامن سند دينى ولامصلحة سياسية فى الإرهاب الفردي ، وتبريره بأن الرسول قد أمر بعمليات اغتيال لبعض الأفراد المعادين للإسلام ، هو تأويل فاسد ، كما أن استنكار نسبة ذلك للرسول هو تأويل مغرض ، فالرسول لم يأمر بحادثة اغتيال واحدة وهو فى مكة رغم قسوة ماتعرض له المسلمون من اعتداء وقهر وصل إلى حد محاصرتهم فى الشعب وتعريضهم لما يشبه الموت جوعاً ، وكان مع الرسول من المؤمنين من لو أمرهم أن يشقوا له صدور أئمة الكفر لماترددوا ولاعجزوا ، ولكنه لم يفعل ، أما ماحدث فى المدينة بعد إعلان الدولة ودخولها فى حرب ، كان الاغتيال هو إحدى وسائلها ، ومن أعمال السيادة وفى إطار أمن الدولة ، والذين يحاولون غمز الإسلام بالرغم أن الرسول لايمكن أن يأمر بهذا الفعل ، يتعامون عن الاغتيالات التى تنفذها جميع الدول وأن آخر ماوصلت إليه الديموقراطية الأمريكية فى نهاية القرن العشرين هى اشتراط أخذ موافقة الكونغرس قبل

اغتيال المخابرات الأمريكية لرؤساء الدول ! ومن الناحية السياسية فإن الإرهاب الفردي لم يحقق أي هدف لممارسيه إلا تدميرهم فى النهاية ، والثورة الإيرانية إن كانت هى نموذجهم لم تسبقها حادثة اغتيال واحدة ولا قنبلة ولا نسف بل تمت بالتحرك الشعبى .. والذي لا يستطيع تحريك الجماهير للاستشهاد هو الذي يلجأ للانتحار .

ولن نطيل بل نعود لحديثنا فأقول : يبدو أنه وقع خلط فى موقفى ، مع موقف آخرين ، فظننت أننى معارض لإصدار قانون جديد لمكافحة الإرهاب ! كما تكرمت وسألتنى هل تتنازل الدولة عن سلطاتها الدستورية لأمراء القرى والمدن الذين أقاموا سلطة داخل الدولة ؟ وهل سمعت عن دولة مركزية تتنازل عن مبدأ سيادة القانون ؟

وإذا كان لى أن أعبر عن وجهة نظر المعنيين بالقانون فأقول أنهم لا يخشون قانوناً جديداً فهم يعتقدون أنهم لا يعاملون بموجب أي قانون بل هم — كما يقولون — فئة أهدرت حقوقهم وأهدرت دماؤهم يطلق عليهم النار وهم يسيرون فى الشارع أو وقوفاً على باب الجامعة أو إذا امتنعوا عن رؤية ممثل كوميدي !

يقولون أن القانون يحمى حق من يمارس الزنا أو اللواطة أو الرقص ويمنع حق بناتهم فى تغطية رؤوسهن ، وتعتقل زوجاتهم وأولادهم كرهائن ، وتقتحم قراهم وتحرق مساكنهم ويهتك عرضهم فى الصحافة ويوصفون بأشنع الصفات .. القانون بالنسبة لهم فى أجازة تامة بل يظنون أنه دخل معهم السجن ، واعذرهم فأسلافهم كان يقول لهم حمزة البسيونى وشمس بدران : ربنا متعلق فى الزنزانة اللى جنبك .. ! وحاشا لله أن يكون عهد مبارك مثل عهودهم .

أمثل هؤلاء ياأستاذنا الكبير يخشون من قانون جديد .. إن الذي يطالب بقانون جديد للإرهاب أسوة بما فى بريطانيا وغيرها هو رجل يتمتع بروح فكاهية حادة فى مرارتها !

فى تلك الدول لا يمكن أن يطالب المواطن بحمل بطاقة شخصية ولا يقال عنه المتهم إلا بعد توجيه الاتهام وأذكر فيلماً نسيت اسمه كان عن شخص استعد لاغتيال الرئيس

الأمريكى فاحتل موقعاً فوق أكبر ملعب للفوتوبول فى يوم المباراة الكبرى وبالصدفة اكتشفت كاميرات التليفزيون موقعه ورصد بمدفعه والمنظار الموجه لإصابة الرئيس لحظة مروره ، وتشكل فريق عمل وكان الحل طبعاً هو إصابته برصاصة قناص وكان هذا ممكناً ومضموناً ولكن أثار اعتراض أنه لا يمكن للبوليس أن يطلق النار بدون إنذاره ودعوته لتسليم نفسه ، ولكن يخشى لو أنذروه وهو فدائى أن يطلق النار فيحدث ذعر فى المدرج ويموت نصف مليون على الأقل ، وخلال ساعتين تدور أحداث الفيلم حول اكتشاف وسيلة تضمن حماية الحق القانونى للإرهابى وأرواح الجمهور وحياة رئيس الدولة ، هذا هو العالم المتمدن الذي يحتاج لقانون خاص للإرهاب ، أما هنا فيقول الإرهابى قالوا للقرد حيسخطوك !

إن الدولة من حقها القبض والإعدام لأنها تلتزم بالقانون حرفياً ، فإذا تخلت عنه أصبحت مجرد عصابة أكبر حجماً وأكثر بطشاً ، الدولة تصيح باسم القانون فترتفع كل الأيدي أما إذا قررت الدولة تلبيس الناس طرحة أو « أقتله وأقتل اللى يتشدد له » فالضحية هى الأمن والاستقرار واطمئنان الناس وشرعية الدولة .

يقول الإسلاميون لا يوجد قانون فى مصر يسمح بضرب نائب فى البرلمان على قفاه وإنزاله من الأتوبيس ، ولا يوجد قانون يحظر على الناس الصلاة فى الصحراء ومع ذلك تنشغل الدولة كل عيد فى تنظيم منع هذه الصلاة !

ولا يوجد قانون يلزم المصريين بالصيام والإفطار وفق ما يقرره المفتى ! ولقد استطاعت الكنيسة إلغاء العيد وإلزام الأقباط بذلك ولم تتدخل الدولة فلماذا المسلمون وحدهم يجب أن يصوموا ويفطروا ويعيدوا وفق تعليمات مأمور المركز !

أما السؤال حول من الذي بدأ الإرهاب فهو من قضايا الميتافزيق أو عودة لقصة البيضة والدجاجة ، هو جدل جدير بعائلات الصعيد فى حساب قوائم الثأر كم قتيل لهذه العائلة وكم قاتل .. ليست هذه هى القضية بل كيف نوقف مسلسل العنف وكيف نزيل غربة المتطرفين .

تكرمت وسألتنى هل تتنازل الدولة عن سلطاتها الدستورية لأمراء القرى والمدن الذين أقاموا سلطة داخل الدولة ؟

والجواب يحتاج لسؤال : كيف تمكن هؤلاء من إقامة سلطتهم ؟ لقد قرأت فى صحيفة أن أميراً من هؤلاء تمكن من أن يجعل حتى المسيحيين يلجأون إليه لفض خلافاتهم . والغريب أن الكاتب علق غاضباً : « وهكذا ينتزع سلطة الدولة والحزب » ! والأغرب أننا قتلناه (كما جاء فى أهرام ٥ يونيو) .

وقرأت منذ سنوات تحقيقاً ممتازاً فى الأهرام عن عين شمس أو الزاوية الحمراء ذكر كاتبه أن هذه الجماعات استطاعت أن تقيم إدارة ذاتية للحى ، نجحت فى خفض الأسعار ومنع الغش ووفرت العلاج وقضت على محنة الدروس الخصوصية بتوفير مجموعات التقوية المجانية ومنعت المخدرات .. لماذا لا نحاول فهم ظاهرة اتجاه المجتمع للبعد عن مؤسسات الدولة وحل مشاكله ذاتياً .. لماذا لا نحاول الاستفادة من هذا الاتجاه .. لماذا ندفع هذه العناصر للقتل ؟ هل أتحنا الفرصة لهذه الشخصيات أن تصل لمجالس المدينة أو القرية بالانتخابات فإن انحرفوا كما يفعل الآخرون سقطوا وسقطت دعوتهم وإن نجحوا أفادوا البلد حتى لو استفادت دعوتهم ..

إذا كانوا قد فرضوا سلطتهم بالإرهاب كما تقول فإن ذلك يعنى فشل الدولة فى أهم واجباتها ، ولكننى أستشهد بما جاء فى الأهرام للدكتور أنيس أنهم لو كانوا يرهبون الناس لما تعاطفوا معهم ورفضوا التعاون مع الشرطة .

نحن أمام ظاهرة خطيرة تهدد بانهيار الوطن ، نحن نعيش فعلاً حرباً أهلية . كيف نوقفها ؟ كيف نجفف مصادرها ؟ كيف نقنع جميع الأطراف أنهم شركاء فى هذا الوطن وأن أفكارهم ومبادئهم يسمح بالدفاع عنها والدعوة لها فى ظل القانون ؟ .

وأشكرك على ماتفضلت به على من تعريف وأقرك على ماذكرت حول تعبير الحركة الوطنية فى شبابنا عن الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط ، وأود أن أضيف أننى اهتممت جداً ومن وقت مبكر بهذه القضية ومن بين المصريين الأحياء اعتبر

صاحب أقدم كتاب عن الفتنة الطائفية وهو كتابى الأول « مصريون .. لاطوائف » الصادر عام ١٩٥٠ والذي رضى عنه الأقباط وأثار ضدي ثائرة الكتاب الإسلاميين (هاجمه الشيخ محمد الغزالى وقتها فى كتابه « من هنا نعلم ») وربما أكون أيضاً مؤلف أحدث كتاب فى الفتنة الطائفية وهو « ألا فى الفتنة سقطوا » الصادر هذا العام ، وهو الكتاب الذي أرضى بحمد الله العنصرين فنشر المرحوم فيليب جلاب فى جريدة الأهالى نص البرنامج الذي طرحته فيه للوحدة الوطنية ، كما تفضلت بنشره صحيفة « الشعب » منذ أيام .

ومن ثم يحق لى أن أقول فى قضية الوحدة الوطنية التى جعلتها أنت نقطة البداية رغم أن الذين ليس لديهم من العلم مالدينا ، سيتساءلون : مسلم قتل مسلماً ماعلاقة ذلك بالفتنة الطائفية ووحدة عنصري الأمة ؟! ولكن أنت تعرف وأنا أعرف وجود صلة متشعبة الأطراف ، ومن ثم أستأذنك أن نفتح ملف الوحدة الوطنية وعلاقة ذلك بالدعوة إلى الحل الإسلامى والإرهاب والأحداث التى تسمى بالفتنة الطائفية .

كلنا يا سيدي ندعى الاهتمام بشعبنا الوفى المكافح ، وثق أن الإرهابى الذي بالصدفة هو أقرب طبقياً منى ومنك إلى هذا الشعب الأبى المكافح ، (يدعى نفس الاهتمام)(*) ، وكلنا نعتقد أننا نتحرك من واقع الفزع على مستقبل هذا الشعب الذي يمر فى مرحلة تهدد الشعب والوطن والتاريخ والهوية بالفناء الكامل ، ولكنا نعتقد أننا نملك الحل .

سيدي إذا شئت متابعة الحوار فإنى سأطرح بدوري بعض الأسئلة لعلك تجيبنى عليها :

السؤال الأول هو : هل يسمح للتيار الإسلامى بأن يروج لفكره ويدعو الشعب لانتخابه لكى يتولى السلطة ويقيم حكومة إسلامية بالانتخابات تؤكد هوية مصر الإسلامية وتحاول حل مشاكل مصر من وحى تعاليم الإسلام ؟ أم أن هناك فيتو أو أكثر من فيتو ضد الحل الإسلامى من ناحية المبدأ ؟! وإذا كان هناك فيتو فمن من ؟ وماهو

---

(١) هذه الكلمات سقطت من الأصل .

السبيل إذن أمام المؤمنين بالحل الإسلامى للاحتكام للشعب ؟

إن شئت أن نواصل الحديث ونفتح كل الجروح أعاهدك ألا أتحفظ وأن أكتب دون رعشة ولاتقية ، فمادمت أنت قد قبلت أن تتحمل بشجاعة مسئولية النشر فعار علينا أن نخذلك ..

أرجوك أجبنى هل من حق الإسلامى الوصول للسلطة سليماً ؟(*) .

(*) الأهرام ١٩٩٢/٩/٧ .

أردنا الحوار وأرادوا خراب الديار ..

مش لاعب ! وماتفقناش على كده .. وعينى فى عينك !

والله يرحم يوسف طلعت عندما كان جمال سالم يجلس فى منصة القضاء يقضى فى الناس بالإعدام والسجن ويظن أن الدنيا قد صفت له ، ويشاء الجبار العدل أن يأخذه أخذ عزيز مقتدر ، بل ها هى الوثائق تنشر عن اتصالاته بالأمريكان ، وزميله فى يوليو المشئوم خالد محي الدين يتهمه بأنه كان صوت أمريكا فى مجلس النكبة المعروف عند العامة بمجلس الثورة .

فى محكمة القردة اندفع جمال سالم يشيد بيوسف طلعت ! ولم تفت اللعبة على يوسف ، ربما لأنه كان نجاراً من عامة الناس ، يتمتع بالذكاء المصري الفطري ، لم يفته مايهدف إليه الجالس قهراً على منصة القضاء فقال له « أيوه كبرنى كبرنى علشان راسى قيمتها تكبر على المشنقة » !

تذكرت ذلك وأنا أقرأ ماأغدقه على الأستاذ الكبير إبراهيم نافع من ثناء ، والقياس مع الفارق طبعاً فلاأنا يوسف طلعت ولاهو حاشا لله أن يكون جمال سالم ولاأي جمال ، فكلانا من فئة الكتبة حملة الأقلام طعناتنا على الورق ، وخلافاتنا متحضرة ، أو هكذا يفترض .

وقد رأيت أن أبادر بالرد ، لتدارك الأمر وقبل أن تصيب كلماته بالإحباط ، قوماً نريد أن نشجعهم على الحوار ، وأسعدهم فعلاً مابدأناه ، ولكن للأسف ، خابت الآمال لماترك مقارعة الحجة ودبج حيثيات إعدامى نشرها فى انتظار تصديق المجلس العسكري والعياذ بالله أن نعود لأيام أخذ الناس بالشبهات أو بكتابة كاتب دون تبين ، ذلك عهد قد غبر ولن يعود .

وبداية لقد دعينا للحوار فاستجبنا بروح رياضية ونية صافية ، والحوار لا يقوم إلا بين فريقين مختلفين فى الرأي يعرض كل منهما حججه بقدر ما يستطيع ، ولأن الأستاذ الكبير هو الذي معه الورق فقد كان من حقه أن يفرق ودوري أن أسحب من الأرض فسحبت وجانى شايب وحكم على أن أشرح وجهة نظر المطاريد ، وبنفس الروح الرياضية قبلت الدور ، وقد كنا ننظم فى أيام المدرسة حواراً بين قطار ودبابة ، ويبذل كل منا جهده فى إثبات فوائده كدبابة أو قاطرة ثم تنتهى المناظرة ، لا القطار يدهس الدبابة ولا الدبابة ينبغى لها أن تحطم ضلوع القطار ! وقبل المدرسة كنا نلعب عسكر وأفندية ، ولا يعنى هذا أن يلبس العسكر الأفندية قضية ! ولا أن الذي كان من حظه أن يكون عسكرياً هو أفضل الاثنين ! وبهذا المفهوم للحوار ، وباقتناع أنه لا يضار كاتب ولا شهيد ، قبلت دعوته للحوار مع أن أمثالنا ، لم يعتادوا الحوار من أمثالهم .

وإذا بها تقلب بغم ! وإذا به يحاول تلبيسى قضية ، وهرع من يحذرنى قائلاً : الحكاية مش حوار دي المسألة فيها تار وأن لهيكل جنوداً من عسل !

ولم أصدق ذلك فإن ما انتقدته من هيكل لم أقصد به مكان النشر ، وإذا كانت الصحيفة قد أخطأت فلأنها نشرت دون قراءة أو قل دون قراءة دقيقة ، وهذه ليست مسئولية رئيس مجلس الإدارة ، والذي لا أعلم بادر واختصر النشر وأعاد نشر ما كتب فى صحف أخرى ضد هيكل لأول مرة فى تاريخ الصحيفة !

وقد أردنا بالحوار أن نستخرج كل ما يدور فى أعماق الناس لعلنا نصل إلى كلمة سواء ، لا أن نستعرض قدراتنا على الثناء على من لا يحتاج لكلماتنا أو من إذا مدحه أمثالنا وأمثالهم ، تمثل بقول أمير المؤمنين : « إنا والله أقل مما تقول وأكبر مما فى نفسك » !

وقد قلت فى أكثر من مقال أنه لا مشكلة مع قيادة الدولة ، بل لا تزال هى الملجأ الأخير ، وقلنا أن هناك عناصر لها عداواتها الخاصة مع الإسلام والإسلاميين ويريدون أن يجندوا الدولة لحسابهم فى هذه المعركة ، ويلعبون على جميع الحبال ، فهم هنا يظهرون الولاء والحرص على النظام فإذا أتيحت لهم الفرصة أنشبوا فيه أنياب حقدهم ، وانظر إلى مراسل مجلة المخابرات الأمريكية الذي أعطاه حرامى المصحف مجلة من مال الشعب

المصري يصدرها ويتظاهر فيها أمام الشباب أنه يدافع أو حتى يمثل الدولة والنظام لكى يوقعوا بين الدولة والشعب ، وفى صحف العراق ينفث حقده على الإسلام ويدق طبول الحرب ضد الإسلام وليس الإسلاميين كما يتجمل هنا ، ويتطاول على العهد ورئيسه .

هو غاضب على اليسار لأنه لا يقر بطن الإسلام يقول : « إن ما يكتبه اليسار عن الإسلام أشبه ما يكون بالاعتذار ولا يبدو مقنعاً بل أقرب إلى الانتهازية الفكرية والسياسية أو الرعب من الزحف الجارف » .

هو لا يريد اعتذارا ولا صلحاً مع الإسلام بل مذبحة يورط فيها الدولة لخدمة أهداف الذين اختاروه من بين المصريين جميعاً ليكون الأمين على فكر ومال المخابرات الأمريكية ، وهو يقول فى مجلة بالخارج أن « صلح الدولة مع دين غاضب يسمح بفتح الملفات المغلقة فى الأعماق مع دين آخر » .

وبعد أن يفتح كل الجروح بزعم الدفاع عن الأقباط ومهاجمة السادات الذي : « تطاول على فريق أصيل من مواطنى مصر » .

ثم يكشف ما فى قلبه فيقول أن الوهم بالخلاص من الثورة المضادة بإعدام السادات : « ينقشع تدريجياً أمام علامات لا تخطىء ... ثم يعدد علامات استمرارية الثورة المضادة فى عهد مبارك فى الآتى حرفياً : « إعدام الإسلامبولى ، الإصرار على إبعاد الأنباشنودة ، نجاح الغزو الصهيونى للبنان ، تحريم كتابات هيكل ويوسف إدريس ، إضافة قانون الطوارىء وقانون نقابة المحامين وقانون منع نشر الوثائق قبل عشرين عاماً ، وقانون المطبوعات إلى قائمة التشريعات المضادة للديموقراطية فى عهد السادات ، استمرار التطبيع مع العدو الصهيونى بقدم ثابتة ، استمرار التبعية للغرب لدرجة تسليم الاقتصاد المصري نهائياً إلى عجلة الاحتكارات الغربية ، اعتراض الأزهر على كتابات لويس عوض وتوفيق الحكيم وزكى نجيب محمود » ، (حرفياً مجلة الوطن العربى ١٠/٧/٩٢) .

هم هنا يطالبون برأس أئمة المساجد ، وهناك يكون على خالد الإسلامبولى

ويعتبرون إعدامه من خطايا عهد مبارك !! وهؤلاء تعطيهم وزارة الثقافة مجلات خاصة !

والغريب أن هذا المدافع عن الأقباط وعن خالد الإسلامبولى لا هو بالقبطى ولا المسلم ! نفس الشيء بالنسبة لتروتر الذي تهجم على الأستاذ الكبير إبراهيم نافع عندما انتقد كتابات الخونة فى المهجر عملاء الموساد والسى أي أيه ، فإذا بتروتر هذا يحمل لواء الدفاع عن الأقباط فى المهجر !! وحاشا لله والوطن أن يكون تروتر قبطياً بل هو يحمل اسم واحد من ألد أعداء كنيستنا القبطية ، مبشر بروتستنتى هو أول من مزق وحدة الأقباط وزرع الفتنة فى الصعيد والتقط من التقط فتسموا باسمه !!

لا أريد أن أفتح الملفات ولكن كما ترى ، صناع الفتنة ليسوا من المسلمين ولا الأقباط ، وأن هؤلاء والذين يمكتونهم من السيطرة على الحوار لا يضمرون إلا الشر للمسلمين والأقباط والدولة ومصر .. ومن هنا رحبت بالحوار بين الأقلام الشريفة المنتمية لمصر وحدها ، ولكن للأسف وجدت الأستاذ الكبير إبراهيم نافع يتهمنى بمحاولة « تبرير الجرائم » ووجدت أن عريضة الاتهام تبدأ بوصفى بأننى وكلت نفسى عن الارهابيين دون وكالة ، ويتكرر ذلك فإذا تحول الاتهام إلى الإدانة ، سقط تحفظ « دون وكالة » وأصبحت متطوعاً وطامعاً فقد وكلت نفسى للدفاع عن الجماعات الإرهابية « تطوعاً عنهم وتقرباً منهم » .

وهكذا يريد أن تنطبق على التعديلات الجديدة فى قانون مكافحة الإرهاب ! وليست هذه هى آداب الحوار ولا هى فى مصلحة أحد إلا الذين يريدون بمصر سوءا . سلم الله وجه أستاذنا الكبير .. ولو كنا فى غير العهد لصرخت : الله الله فى دمى ! وهربت خلف جبال الواق الواق قبل أن ترسلنى الزبانية خلف الشمس ، ولكن الحمد لله الذي آمننا من الخوف .

وإنما راعنى أن يهبط الحوار إلى الاستعداء والإرهاب والاتهام بالتقرب للإرهابيين ، ولا أرد إلا بما علق به كريم على أحد كتبى : « لو أردت النفاق لمدحت الأحياء وليس الأموات » والذين يريدون التقرب ، يتوددون للعسس وليس للمطاريد .

ماالذي فى ديروط يغري الانتهازي بالتقرب إليها وهى كما تقول صحيفة تباع فى مصر : « تعيش حظر تجول من الثانية عشرة ظهراً إلى السابعة صباحاً ، توقفت الحياة تماماً وأصبحت مدينة مهجورة ، البوليس مشط القرية عدة مرات » (الحياة ٩ أغسطس ١٩٩٢) .

وهذا شاهد آخر على اللعب على الحبال ، فلاشك أننا نعرف أن جريدة التجمع هى ألد أعداء الإسلاميين وهى تطالب برأسهم فى كل سطر ولكنها تدس السم فى العسل وإن كان عسلهم ذاته هو السم القراح ، وانظر ماذا كتبوا : « فى خطبة الجمعة ندد خطباء المساجد بالحصار المفروض ، وأثناء تجول مندوب الأهالى أكد له كافة الأهالى وخاصة أطباء مستشفى ديروط المركزي وبعض أعضاء المجلس الشعبى بديروط أن النقيب أيمن سعد من قوات الاقتحام الخاصة بديروط والذي يقود كمين مدرسة الأقباط يجبر المواطنين على الانبطاح أرضاً وإذلالهم والاعتداء عليهم بالضرب » . (الأهالى ١٢ أغسطس) لامع هؤلاء ولاهؤلاء ، بل مع الفتنة وحدها يريدون إشعال النار بأمل أن تحرق أول ماتحرق النظام الذي يدعون النطق باسمه ، لذا عندما تنشر نفس الصحيفة فى نفس العدد الخبر التالى : « تقرير أمنى رفع لوزير الداخلية ووزير التعليم حول المدارس التى تسيطر عليها التنظيمات المتطرفة وعددها فى القاهرة والجيزة وحدها يزيد عن ٧٨ مدرسة ، خطورة هذه المدارس كما قال التقرير الأمنى أنها تقوم بتربية جيل جديد على مبادىء التطرف ولها كتب دينية غير كتب الوزارة وعلمت الأهالى أن الاتجاه لوضع هذه المدارس تحت سيطرة وزارة التعليم » .

أنا وأنت نعرف أنه لايعنيها الدين ولاالتعليم ولاالمدارس وإنما تريد أن يقارن المسلمون بين ذلك ومانشر فى نفس صحفهم عن وجود ٧٧ مدرسة يشرف عليها الفاتيكان وأكثر من ٨٥ مدرسة فى مصر ، يديرها ويمولها تنظيم مسيحى من المهاجرين الذين يحملون الجنسية الكندية .. ماالذي يمنع الصعيدي من التساؤل لماذا مدارس المصريين المسلمين فقط هى التى توضع تحت الإشراف ؟!

أردنا أن نقطع الطريق على هؤلاء بفتح حوار مخلص من أجل مصر ، أردت أن نجد

حلاً لمشكلة ديروط بالحوار لا بالاقتحام ولا الكمين ولا الحصار ولا الانبطاح ، لكى ندخر هذه الألفاظ لعدو البلاد ، ولكن الأستاذ الكبير نصب لى أنا الكمين ثم انهال يقصفنى بالتهم لعلى أنبطح أو أقتحم !

والأستاذ الكبير يعرف أننى عندما أنتقد ماأخالف فيه السلطة ، أنتقد بلا تحفظ ولا مجاملة ، ولا توجد سلطة فى العالم العربى ، سلطة واحدة ، لم أنتقدها ، فليس ثمة ماأرجوه ولاأخشاه ، أنا والله لاأخاف ، ولاأرجو ولاأتقرب لأحد ، إلا الله سبحانه وتعالى وهذا الشعب الذي نرجوه ونطمع فى محبته .. وزغب الحواصل لهم من يفلق الحب والنوى ، وهو وحده من نسأل أن يغفر ، عليك سلام الله ياعمر .

وليست السلطة ماأخشى فأنا أكثر تصديقاً لثنائك على العهد الذي نعيش فيه ، وإنما أخشى الذين مازالوا يفكرون بعقلية الأمس ويمارسون أساليب الأمس ، وهو ماشهدت به حتى لجنة حقوق الإنسان فقد اعترفت أن النظام أتاح لها الفرصة كاملة لكى تتعرف على الحقيقة ولكن بعض الأجهزة كما قالت اللجنة هى التى تشكل ممارساتها مايسيء إلى النظام وسمعة الوطن ..

الجميع يعترفون أننا نواجه مايستوجب تضافر كل الجهود وصفاء كل النوايا لنصل إلى حل يضمن للوطن استقراره وللشعب حرية اختياره ، وقد كنت أود أن يكون الحوار الذي دعوت إليه هو السبيل .

كنت أود أن تكون هذه سنة حسنة ، نتحاور فيها بلاإرهاب ، وبغير حاجة لتأكيد الإخلاص ، ونفى التهمة بعد كل سطر ، ولكن هيهات غلب الطبع التطبع وقديماً قيل أن زيوس إذا أعجزته الحجة أبرق وأرعد ..

هذا فراق بينى وبينك ، فلاحوار ولاضرر ولاضرار ، وإن شئتم أن نكسر الأقلام ونعود حيث كنا ، فعلنا غير آسفين ، فليس لنا رغبة فى دنياكم ، إن أردت إلا الإصلاح مااستطعت ، وإن أجري إلا على الذي خلقنى وإليه المصير*.

---

* مصر الفتاة ٩٢/٨/٢٤ .

ما بين إدكو .. وديروط

دود الفساد يأكل المواطنين وهم أحياء

ماحدث فى إدكو لايختلف فى جوهره عماحدث ويحدث فى ديروط وغيرها من مدن الصعيد ، وإذا كانت الصورة قد بدت مختلفة فذلك لأن الإعلام ، لأسباب لانعرفها ، سمح له بالوقوف هذه المرة فى صف الرعية وليس فى صف العساكر ، فلم يتهم الأهالى بالتطرف ولا الأصولية ولا الانتماء لجماعة إسلامية ولا محاولة قلب نظام الحكم من خلال برنامج كمبيوتر .. أو نسف الوحدة الوطنية ، ولم تنطلق الاتهامات بالعمالة للخارج والقبض من إيران والسودان ، ولا أعلن عن ضبط مجاهدين عائدين من أفغانستان ، بل انفجرت الصحف فى غضبة غريبة ولا نقول مريبة تهتف : ارفعوا ايديكو عن إدكو !

وهذا التغيير فى التناول الإعلامى الذى سمح بنشر الحقائق ، لعله يستمر ويفتح الباب لحوار حول الأسباب والعلاج ، وقد ذكر تحقيق المصور أن الجماهير الغاضبة كانت تحطم كل ماله علاقة بالدولة ، وأن مجلس المدينة نال الجانب الأكبر من عناية هذه الجماهير ، حتى دكته دكاً ، ولو سقط رئيس المجلس فى يدهم لخر صعقاً ، وجاء ذلك تعبيراً عن المكانة الخاصة التى للمجلس فى قلوب جماهير شعبنا الضاربة ، إقراراً وعرفاناً بخدماته ، وفى اعتقادى أنه لو أتيحت الفرصة لجميع أهالى مصر التى كانت فى أيام الميتافيزيق محروسة بالأولياء وأصبحت فى المجتمع الاشتراكى كما يقول فؤاد نجم محمية بالحرامية ، لو أتيحت الفرصة لشعبنا الطيب للتعبير عن مشاعره النبيلة نحو كل مجلس مدينة ، لما كانت حرارة التعبير أقل مماحدث فى إدكو !

فإذا كانت العلاقة فاترة بين الرعية والعسكر فى مجموعها ، فهى متوترة وعدائية مع

مجالس المدن أو المؤسسات التى تدير الحياة المدنية للمجتمع والتى تشكل مراكز الفساد البشع فى حياتنا ، وذلك ماجعل جماهير غاضبة من تصرف الشرطة تصب غضباً أشد على مجلس المدينة ! وقديماً اشتكى بيرم التونسى من المجلس البلدى لأنه يقاسم بائعة الفجل والمواطن رغيف العيش ، ولكن المجلس البلدى كان يحصل ذلك عن طريق الضرائب التى يفرضها القانون ، وينفقها على خدمات المدينة ، والمجلس البلدى بالذات الذي كان يهاجمه بيرم التونسى وهو مجلس الإسكندرية ، الذى جعل منها عروس البحر الأبيض فعلاً وكان سكان القاهرة يحسدون الإسكندرية على نظافتها وخدماتها ، التى أصبحت بفضل مجلس المحافظة وتوابعه ، أرملة أو مزبلة البحر الأبيض ، مجلس المدينة يقاسم المواطنين لقمة العيش بدون قانون ولاضريبة ولكن باسم الفساد والرشوة والاختلاسات التى هى حديث الحاضر والغائب ، والأموال التى تؤخذ غصباً من المواطنين تنفق على تنمية ثروات أعضاء المجلس خاصة وتحسين أحوالهم وتسليك مرافقهم .

والأنكى من ذلك أن جانباً كبيراً منها هو ثمن السكوت على كل مايؤذي المدينة وسكانها فمامن عمارة تسقط إلا وخلفها مسئول فاسد فى مجلس المدينة رخص بها خلافاً للقانون والقواعد والذمة والضمير ، ومامن مدرسة ولامستشفى تنهار فيها الخدمات ولا مواصلات أو مرافق تتعطل ، وإلا خلفه مجلس المدينة أو مجلس المحافظة أيهما أفسد ، وبالنسبة للمواطن العادى فإن الأجهزة مسئولة مسئولية مباشرة عن ستين بالمائة من متاعب حياته ، ولاأستطيع أن أتصور أكثر من عشرة بالمائة من رؤساء المدن يمكنهم الغضب لشرفهم والتقدم للمحكمة بمايثبت أنهم لم يتربحوا من عضوية المجلس .. وأتحدى !

وقد قلت مرة أن الفساد موجود منذ الأزل وفى كل مكان ، ولكن الفساد من هذا النوع أعنى المتغلغل فى صميم الأجهزة التى تحتك بالشعب مباشرة هو أسوأ وأخطر الأنواع ، فنحن نسمع عن رشاوى وعمولات فى الكونجرس أو البنتاجون أو دولة خليجية وهو شر فظيع ولكنه محدود بخسارة الميزانية العامة وإثراء البعض بغير عدل . ولكن المواطن الأمريكى والخليجى لايرشى عسكرى البوليس ليوقف سيارته فى المكان

الخطأ ، ولا يستطيع أحد أن يدفع رشوة ويحصل على ترخيص قيادة وهو أعمى أو جالس على القهوة لم يدخل إدارة المرور فى حياته !! ولا يحدث إلا فى النادر جداً أن يصدر ترخيص بناء مخالف عن طريق الرشوة .. ومن ثم يبقى الهيكل العام للمجتمع سليماً ، وحياة المواطن آمنة ، والفرصة قائمة لضبط الفساد عند القمة ، ولكن عندما يستشرى الفساد ابتداء من عسكرى البوليس ومنادى السيارات كما افتخر أو مزح عبد الناصر مرة ، ويستشرى حتى يصبح أسلوب حياة ويمنع المواطن من الحصول على حقه ، ويدمر هيكل المجتمع فذلك هو الفساد البشع أو السوس الذى ينخر فى قواعد المجتمع فينهار من الأساس ، كما يخلق الشعور بالغربة وعدم الانتماء والحقد على السلطة ثم على الوطن والرغبة فى دكه كله ويسود شعار بيت أبوك خرب خدلك قالب ..

ماذا حدث وكيف أصبح الفساد أسلوب حياة ! كيف أصبح كل من يشغل منصباً ، يعتبر أن من حقه استغلاله لمنفعته الشخصية والعائلية ولا يشعر بأى غضاضة ولا خشية لعقاب أو فضيحة ! كيف تحول محافظ كان من الشباب الثورى فى ١٩٦٨ إلى مسعور ينهب بأيديه ورجليه .. كم من الصحفيين رفض شاليها أو فيللا .. أين مدير الشركة الذى لم يعين المحروس .. أين حامل ختم النسر الذي يوقع به طواعية وبلا مقابل ؟!

لا أظن أننى سأجيب على هذا السؤال الآن ، ولكنى سأحاول أن أتحدث عن رد الفعل عند المواطن وكيف يتصرف مع هذا الفساد فى حياته اليومية ..

الذين معهم أو الذين يريدون فوق حقهم أو غير ما يسمح به القانون ، يقتسمون النهيبة عن طيب خاطر مع الموظف الفاسد فى ضوء المادة عشر تاشر من ميثاق الفساد الوطنى التى تنص على أن التعامل مع المواطنين يتم فى إطار سياسة شيلنى وشيلك ، تأكيدا لحقيقة أن القفة اللى بودنين يسرقوها اتنين ، وتفسير الإمام الفاسق لقولهم النبى قبل الهدية ، وما أكدته تجارب شعبنا أن طباخ السم بيدوقه ، وكلما زاد السم زادت حصته ، كما ورد فى التراث : ارشوا تشفوا ، واللى دفع القرش ابنه زمر ، وهين قرشك ولا تهين نفسك ، واللى تعرف ديته اقتله .. إلخ .

وهكذا يسلك (من التسليك) هؤلاء مصالحهم أو مفاسدهم ، ويحولون الفاتورة إلى الشعب فهو فى النهاية الذي يسدد كل الرشاوى ، على جميع المستويات ، ما يأخذه مجلس المحافظة فى الردة يدفعه الشعب فى الرغيف ، وما يتقاضاه مجلس المدينة ومافيا الشهر العقارى والصرف الصحى والبلدية أو مهندس التراخيص والمكتب الهندسى الذى ينصحك موظف البلدية بالحصول على الرسومات منه تلقى فى صندوق الزبالة بعد الحصول على الرخصة وأخذ كل مرتش حقه ، يتحمله كله من ستقع الشقة فى أرابيزه فى النهاية ، وهذا بدوره يحملها لزبائنه ، إن كان جزاراً أو طبيباً ، حتى أصبحنا لا نأمن على كلاوينا إذا أجريت لنا عملية تربنة فى الدماغ !

أما المواطن الذى ليس معه المال ولا النفوذ الذي يقايض عليه ، ولا يريد أكثر من حقه ، فهو إما أن يدوخ السبع دوخات وينهب ماله وحقه وكرامته وينتهى فى السجن لابس قضية تعد !! أو يسعى إلى واسطة يتودد بها أو يرهب بها الموظف الفاسد .. ويتربص الدوائر حتى إذا تراخت قبضة الشرطة أحرق مجلس المدينة الفاسد المفسد ، وطار كل مظهر للسلطة التى لم تحمه من الفساد ، بل كانت فى معظم الأحيان أداة وحماية لهذا الفساد ، هذا ما فعلوه فى إدكو ، أما فى الصعيد فلجأوا لأسلوب آخر ، انفصلوا من البداية عن المؤسسات وأقاموا مجتمعهم المنعزل بإدارته المستقلة فإن اضطروا للتعامل مع الجهاز الجاهلى ــ كما يسمونه ــ تعاملوا بالسلاح ! .. وسارع الفساد فى الإعلام يتهمهم بكل الصفات ويحرض عليهم حتى إسرائيل .

القضية لم تعد تتحمل اللف والدوران .. إنها باختصار : إذا لم تستطع الدولة اقتلاع الفساد من جذوره فسيلتهم الفساد الدولة .. جميع المؤسسات فاسدة ، جميع القوانين التى تنظم تعامل الناس أصبحت وسيلة للفساد .. لقد ذهلت عندما أردت بيع سيارتى فى لندن فاكتشفت أننى غير مطالب بدخول أى مكتب حكومى ولا توقيع ورقة واحدة ! الذى اشترى السيارة كتب لإدارة المرور يبلغهم أنه اشترى السيارة رقم كذا من صاحبها فلان فأرسلوا لى خطاباً يقول إذا لم ترد علينا خلال أسبوعين سنعتبر البيع سارياً ولم أرد وتم بيع السيارة ولم أسمع عنها من تاريخه ، وتستطيع أن تقضى حياتك كلها لا تدخل مكتباً ، فاتورة كل شيء تصلك بالبريد وتدفع بالشيك وبالبريد وانتهى الأمر ،

وعندنا يجب أن تذهب شخصياً لسبب واضح هو أن البيه عندما يحضر يدفع أكثر ، ولا يمكن تسجيل توكيل فى الشهر العقارى لشخص آخر بدفع الرشوة نيابة عنك ! فى أوربا وأمريكا يمكنك شراء وبيع ألف منزل دون أن تدخل مكتباً حكومياً واحداً بل يتم كل شيء فى مكتب المحامى الذي يمثل البائع والمشترى ولا تسجل حالة تزوير أو نزاع على ملكية بين كل مليون حالة وعندنا إذا وقعت توكيلاً لمحام تقضى بقية عمرك فى إزالة آثار هذا التوكيل ! وتطوف سبع مكاتب وعشرين ألف توقيع ، وفى النهاية ليس فى مصر أى استقرار لملكية العقار ولا أمان على ملكيتك إلا إذا كنت قبضايا وبلطجياً أو على وفاق مع تنظيم مسلح ، وبدون استقرار ملكية العقار لا وجود لاقتصاد أو تنمية أو استثمار .

لم تعد لدينا مستندات ولا وثائق ولا دفتر خانة،أى مواطن له مصلحة فى إخفاء شهادة ميلاد ، يدفع باكو واحداً ، فيمزقون له الدفتر الذي يضم السنة التى ولد فيها ويتلطم ألف مواطن تم محوهم من الوجود رسمياً .. ! لا توجد دولة فى العالم تطالبها بشهادة ميلادك فتقول لك : السجل مفقود .. إلا مصر .. مصر التى أحبها من الصبح لحد العصر !

لى قريب ابنته طالبة تلبس عدسات ملتصقة ، وفقدتها فى مطار لندن ، ولأنها لا يمكن أن تعيش أو تدرس بلا عدسات فقد اشترى أهلها فوراً عدسات أخرى وأرسلت بالبريد السريع من واشنطن ، وهو الذى يسمى عندنا نجاح مصر ، ولكن واحد ابن حنت صنف العدسات الملتصقة على أنها من الكماليات ، ولذلك لا يمكن أن تسلم مباشرة إلى المرسل إليه ، بل لا بد أن تدخل الدائرة الجمركية ، وهى تركن هناك لكى يحاسبوك على أرضية إن سلموها لك ، والخبثاء يقولون : بل بعد أن يثبت إنها ليست على مقاس أحد ولا يمكن بيعها ! والجن الأحمر لا يعرف أين هى ولا البريد السريع يعنيه أن يخطرك بوصولها مع أن هذه مخالفة صريحة للاتفاقية مع البريد الأمريكى مما يهدد بقطع المعونة ! لقد رأيت والد الفتاة : يصرخ . إلهى ينطس فى نضره الذى قال إنها كماليات .. العمى كماليات ياولاد .. طيب وصلوها وخدوا اللى انتوا عايزينه ، وهو لو كان عندنا دكاترة عندهم ضمير كنا جبناها من بره ليه .. ورحت أعزيه بطرائف مثل كيف ذهبت

لطبيب عيون مشهور جداً أنا وابنتى فكتب لنا كشفين فى كل كشف عين منى وعين من بنتى ، وكيف فشل ابنى فى أن يشرح لصديق أمريكى لماذا لا توجد أحزمة نجاة فى السيارات المصرية فقد حاول أن يفهمه أن الحكومة تعتبرها كماليات وتتقاضى خمسين جنيها على كل حزام ولذا يقوم المستورد بقطعها ويادار مادخلك شر ! بينما يلزم القانون فى الخارج كل مواطن بربط الحزام أو تغرم العربة التى ليس فيها حزام !.

باختصار أن الدولة أصبحت أقل من طموحات الطامحين وأعجز عن تحقيق احتياجات المواطنين العاديين ولابد من حل ، فما من شعب يقبل أن يأكله السوس والدود وهو على قيد الحياة ، والفساد يأكلنا ياحضرات السادة فإما أن تحاربوه أو ترفعوا إيدكو ، قبل أن تصبح مصر كلها ديروط وإدكو" ..

أولاد أوزوريس .. وأولاد إبليس !

سيتساءل المخلصون لماذا تأخرت فى التعليق على هذا الخبث الذى يعد أخطر ماكتب ضد تاريخنا وعقيدتنا وأخبث مانشر بهدف ترويج الفتنة وترسيخها ، وتمزيق الأسس التى تقوم عليها الوحدة الوطنية ، وأعنى هذا الذى نشر على غلاف إحدى المجلات ..

نعم كان المفروض أن أتناوله فور صدوره ، ولاأعتذر بمعاركى على أكثر من جبهة ، ولكنى تأخرت عمداً فى انتظار أن يتحرك أحد ممن يدعون الاهتمام بالوحدة الوطنية أو العروبة أو الذين يتباكون على المشروع القومى !!

انتظرت أن يغضب أحد لتاريخنا وأسلافنا المسلمين الذين جاءوا من الصحراء بكلابهم وجرادهم ومبادئهم المتفوقة على سائر الحضارات والإمبراطوريات المعاصرة ، فتعاون معهم أسلافنا الأقباط فحرروا مصر من الاحتلال البيزنطى وعربوها ، ووضعوا أسس وحدتنا الوطنية بحماية كنيستنا المصرية من الإبادة .. وأقاموا حضارة أثارت الدنيا عشرة قرون ، وجعلوا مصر جوهرة الشرق حتى جاء مغولى الملامح ، مغولى الدم ، متفرنس الفكر والضمير ، يهيل عليهم التراب ، ويضرب بقرنه فى صخرة الوحدة الوطنية زاعماً أن المسلمين العرب عندما جاءوا إلى مصر حولوها إلى رمال وخرائب يرتع فيها سوس غريب وهو يقصد أجدادنا العرب المسلمين .

بل وينحط إلى درك لم يصل إليه مبشر أسود القلب ، ولاجرؤ عليه عضو فى إخوان الحرية فى سنوات الاحتلال البريطانى ، ولا حتى خطر ببال المعلم يعقوب وهو فى برميل الخمر الذى حمل جثته إلى فرنسا ، نعم فرنسا بالذات التى تعرف كيف تستأجر العملاء وتحاول فرضهم على مصر فتلفظهم الحرة الشريفة لينبذوا بالعراء إلى حيث ألقت .

إلى أى مستوى تدهور كاتب الفتنة ؟ إنه يروج بين المواطنين المصريين أن المسلمين استباحوا أبناء وبنات الأقباط أو أولاد أوزيريس وبناته كما سماهم .

وإليكم ماقاله ، عبدالذى يعطى ، ولما لم يكن لما قاله أى علاقة بالشعر ، ولما كنا لا نقر ما لجأت إليه بعض المجلات من نشر النثر وكأنه شعر ، مما يدخل فى دائرة الغش التجارى ، فقد رأيت أن أعيد ما كتبه إلى الصيغة الطبيعية التى ينشر بها مثله من النثر .. قال الآتى :

« همج رمت بهم الصحارى « الصحارى هى الجزيرة العربية التى جاء منها العرب والإسلام » جنة المأوى « مصر » تهر « كلابهم » إشارة لقول الشاعر « تغشاهم الضيفان لا تهر كلابهم » فيها وتجأر فى المدى قطعانهم ، يمشون فى سحب الجراد كأن وجوههم لغربان ، وأعينهم لذئبان ، وأرجلهم لثيران ، يدوسون البلاد ويزرعون خرابهم فى كل واد .. رمل منازلها وكانت حدائق للظلال الخضر فصارت خرائب سبخة يتصاعد الكبريت والقطران فيها ، رمل غريب يرتعيها متناسل كالسوس ينخر فى البلاد وساكنيها ، وأهلها الذين تصحروا صاروا دمى « محشوة بالرمل » أبناء أوزريس « يقصد الأقباط » صاروا لليباب وجوعهم وأكفهم أهداب أعينهم أصابعهم لحاهم خبزهم رمل . خطاهم فى الغدو وفى الرواح ، أبناؤهم وبناتهم رمل مباح ، ياأيها الرمل ارتحل ، ياأيها الرمل ارتحل .. « الجملة مكررة وأظن أنها خطأ مطبعى » واذهب لشأنك يا جراد ١٩٩٢/٧/٣ .

هذا ما نشر فى مصر على غلاف أكبر المجلات « سنأ وورقا » ويقدم له بدق الطبول للتنبيه له والتحريض عليه وبه .

هذا مايلقن لأولادنا وبناتنا الأقباط .

إذا لم يكن هذا هو مايجرمه قانون الوحدة الوطنية فماذا ؟

هذا هو ما كتب فى لبنان .. وهو ينقل حرفياً فى مصر ليفعل فيها ما فعل فى لبنان بين غفلة المخلصين ، ونشوة تجتاح قلوب المتربصين .

لقد قلنا من أربعين سنة أن الأمة إذا انقسمت حول الحدث التاريخى ، فاعتبره فريق منها نصراً قومياً والفريق الآخر هزيمة قومية أو كارثة ، فقد انقسمت إلى قوميتين .

وقلنا أنه بحمد الله لا يوجد حدث تاريخى واحد ينقسم حوله المصريون ، فالفتح العربى هو نصر يعتز به المسلمون والأقباط لأنه لم يكن مجرد تحرير للأقباط بل أنقذهم حرفياً من الفناء والإبادة .

فقد كان أبناء أوزوريس وبناته فى زمن الفتح العربى يتعرضون لأحد اختيارين الإبادة أو تبديل عقيدتهم . وقد اختار المصريون مايتفق مع خلقهم وهو الاستشهاد .

كانت مصر تعيش حرباً شاملة ضد قوات الاحتلال ولكن بسبب عدم تكافؤ القوى ، كانت النتيجة الوحيدة المحتومة لو استمر الحال هو إبادة المصريين ، ولذلك سموا هذا العهد بعصر الشهداء .

ولن نعيد ما كان يدرس فى الكتاتيب قبل عصر التنوير الذي خيم بجهله وتزويره على يد كتاب مشبوهى الدوافع معروفى الروابط .

فقد كان الرهبان وفى مقدمتهم البطريرك وهم قادة مصر فى ذلك الوقت مشردين هاربين فى الصحارى وجبال الصعيد لا يتوقعون ولا ينتظرون إلا الاستشهاد .

وهنا وقعت المعجزة كما وصفها وأرخها أولاد أوزوريس الخلص جاءت النجدة مع الهمج الذى رمت بهم « صحراء » العروبة آكلة « الجراد » من وجوههم ، كوجوه الغربان وأعينهم لذؤبان وأرجلهم لثيران ينقلون كلمة القرآن «أليس هذا ما استدرجت القارىء إليه أو ماأردت أن توحى به من هذا السجع :الغربان ، الذؤبان ، الثيران ، يا حليف الشيطان ، وللدنيا والآخرة خسران ، وفى الشعر والنثر خيبان ، ومع حرامى المصحف تتآمران فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟

جاء هؤلاء فحموا أولاد أوزوريس وحموا دينهم وكنيستهم التى سجلت أن هذا الغوث الإسلامى هو مصداق الرؤيا التى رآها أحبارهم ورهبانهم .. الفتح الإسلامى هو

المعجزة والنجدة والغوث وماقبله كان عصر المذابح والشهداء الذين قتلتهم السلطة المسيحية الرومية .

هذا ماشب عليه المصرى ، هذا ماسطره التاريخ فى ضمير المصريين .

أما الخلاسي الذى باع روحه سبعين مرة فيزيف التاريخ ، ويحفر فى قلب المصريين لينتزع الوحدة الوطنية وليزرع الفتنة السوداء يقول لهم : الفتح العربى خرب بلادكم وحول حدائقها إلى أرض سبخة يرتع فيها السوس العربى ويستبيح أولادكم وبناتكم .

اللهم فاشهد أن هذا ماأريد به وجه الحقيقة أو الوطن .

اللهم فاشهد أنهم يريدون الفتنة ويسعون لها ويمكنون من ذلك .

اللهم فاشهد أنهم بمال هذا الشعب يهيلون تراب الأكاذيب على تاريخه ويقطعون عروق الوحدة الوطنية .

اللهم فاشهد أنه بهتان كبير ينشر على أغلفة المجلات ولا يرتفع صوت واحد يعترض .

ماذا أصاب القوم وماذا أخرس ألسنتهم .. أما فى قومى من فتى رشيد ؟

إنا لله وإنا إليه راجعون* ..

---

* الأخبار ٩٢/٨/٣١ .

فهـــرس

ايداع رقم ٩٣/٢٣٣٩ دولى رقم ٦ - ٣ - ١٠ - ٢٦٠ / ٩٧٧

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
جمهورية مصر العربية - تليفون: ٩٠٤٣٤٢